المؤلف الأكثر مبيعًا في العالم

السلسلة الجديدة لنادي السيدات لجرائم القتل

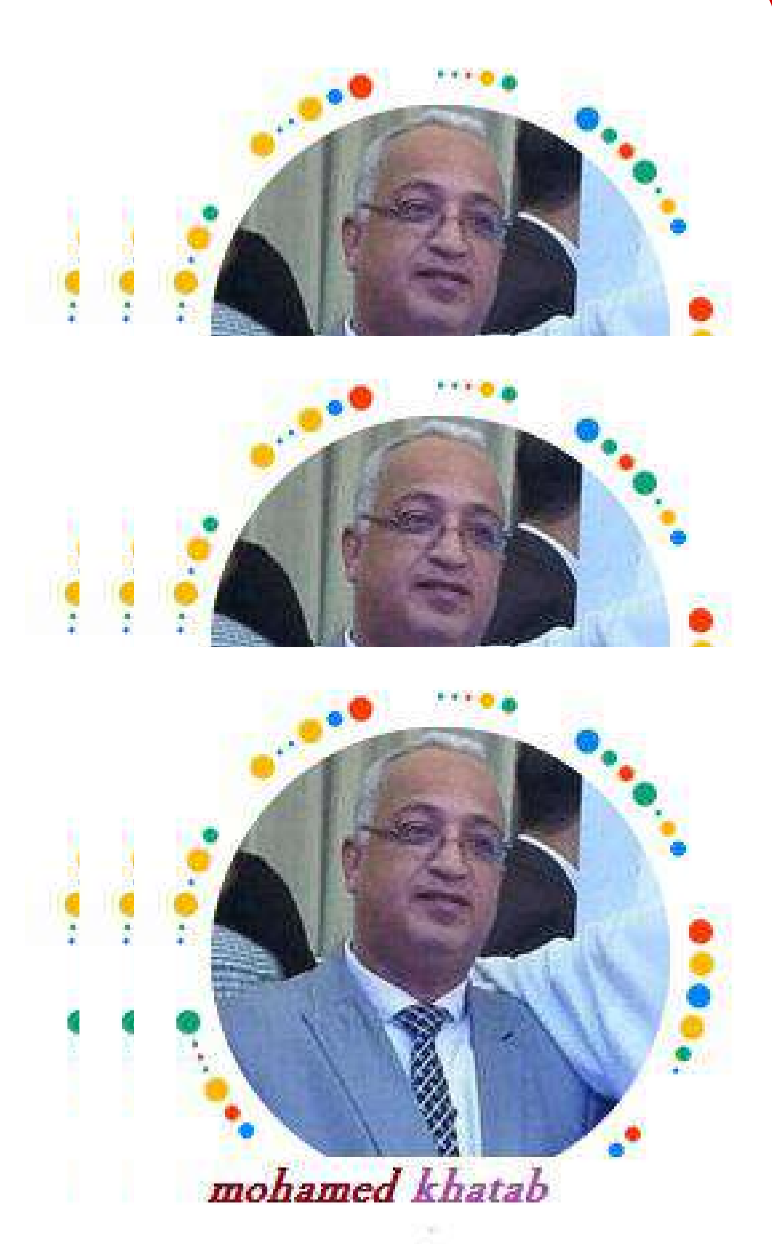
جيمس باترسون

الخطيئة 14 القاتلة

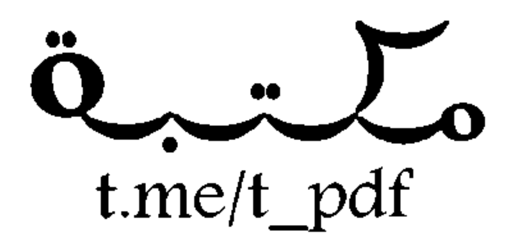
وماكسين بايترو

مكتبة ٧٠٣




mohamed khatab

الطبعة الأولى ٢٠١٩



العنوان: 39 شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية
تليفون وفاكس: 37811478 02 2+ - 35858900 02 2+
موقعنا على الإنترنت: www.languageshome-eg.com
صفحتنا على الفيس بوك: ilh98@
لمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: info@languageshome-eg.com

رقم الإيداع: 2018/23033

الترقيم الدولي: 978-977-827-024-2

الخطيئة 14 القاتلة

جيمس باترسون
وماكسين بايترو

مكتبة 703
سُر مَن قرأ



14th DEADLY SIN

JAMES PATTERSON
AND MAXINE PAETRO



إشادة بسلسلة روايات جيمس باترسون لنادي السيدات لجرائم القتل

الخطيئة ١٤ القاتلة

"يقدم باترسون وبايترو روايتهما الناجحة الجديدة. يمكن قراءة كل رواية بشكل مستقل، لكنك سترغب في قراءة جميع روايات السلسلة الأربع عشرة. ستجد أن لديك مجموعة جديدة من الأصدقاء. وكل سطر به من الغموض ما يحبس الأنفاس. إنها رواية لا يمكن تفويتها".

– موقع FreshFiction.com

"لقد فعلها باترسون وبايترو مجددا في أحدث رواية من سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل، وهي عمل جديد يدل على مهارة الكاتب، الذي يقدم روايات متقنة ومشوقة دون ذرة واحدة من الملل".

– *آر تي بوك ريفيوز*

"يعتبر الكثيرون أن سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل هي أفضل سلسلة قدمها باترسون بالاشتراك مع مؤلف آخر. إذا لم يسعدك الحظ بقراءة رواية منها، فإن هذه الرواية ستكون بداية ممتازة. وبرغم أنها رواية تناسب جميع الفصول، فإنها قد تكون الأنسب على الشاطئ لهذا الصيف".

– موقع BookReporter.com

UNLUCKY 13

"تحرك هذه الرواية قارئها منذ الصفحة الأولى. حافظ باترسون وبايترو على الإيقاع وملآ روايتهما بالمواقف التي غالبا ما تحاكي الأحداث في العالم الحقيقي. إنها رواية تمنح متابعي السلسلة والقراء الجدد القدر نفسه من المتعة".

– موقع BookReporter.com

"إثارة بلا توقف. قصة رائعة أخرى بقلم باترسون وبايترو".

– موقع FreshFiction.com

"رواية سريعة الإيقاع حتى النهاية. الرواية بها العديد من المنعطفات بحيث تبقي القراء متلهفين لمتابعة الأحداث حتى النهاية. إنها إضافة رائعة لهذه السلسلة الشهيرة".

– ويست أورلاندو نيوز

12TH OF NEVER

"كالعادة، لا يخيب السيد باترسون ظننا أبدًا! لقد ارتقى إلى جميع التوقعات، وبالطبع ... تركنا متلهفين للرواية التالية".

– موقع BaumanBookReviews.com

"يعطي باترسون وبايترو القراء قيمة ما يدفعونه دائمًا، وهذه الرواية دليل جديد على ذلك. ستجدون أنها مؤثرة وقوية من البداية إلى النهاية، بل وإلى ما بعد النهاية. وبمجرد أن تبدأ القراءة، لن تستطيع التوقف".

– موقع BookReporter.com

11TH HOUR

"تتسارع الأحداث بسرعة الصاروخ، ولا تتوقف الرواية عن تقديم المفاجآت حتى النهاية. كما أن مفتتح الرواية كان جذابا ومتقنا. باترسون وبايترو يستهدفان رضا القارئ ويأسرانه من البداية.

– موقع Examiner.com

"كل فصل سريع الإيقاع ومليء بالإثارة والتشويق، وسيحبس أنفاسك من البداية".

– موقع NightsandWeekends.com

10TH ANNIVERSARY

"فصول هذه الرواية قصيرة مشوقة، وأحداث سريعة الإيقاع تحبس الأنفاس. إنها رحلة لا مثيل لها، فلا تفوتها".

– موقع NightsandWeekends.com

"نسج باترسون وبايترو ثلاثة ألغاز سريعة الإيقاع تتضافر معا في رواية واحدة مشوقة نوصي بها بشدة".

– لايبراي جورنال

THE 9TH JUDGMENT

"هذه الرواية تمثل كل ما يجب أن تكون عليه روايات الإثارة والغموض الممتازة. إنها تصدم القارئ وتجعله يتابع الأحداث بكل شغف وصولا إلى صفحة النهاية".

– موقع BookReporter.com

"رواية جديدة بقلم باترسون وبايترو لمعجبيهما المخلصين الذين لا يملون ما تجود به قريحتاهما".

– موقع: TheReviewBroads.com

THE 8TH CONFESSION

"كانت النهاية مذهلة لدرجة أنني تمنيت أن تكون بحوزتي رواية أخرى لباترسون كي أبدأ فيها على الفور".

– موقع Bookalicio.us

"إثارة وغموض وجرائم قتل مرعبة".

– بابلشرز ويكلي

"رواية جديدة بطابع روايات باترسون المميز- لابد من قراءتها".

– موقع TheNovelBookworm.com

7TH HEAVEN

"روايــة ممتــازة من روايات باترسون تصلــح لمعجبيه القدامى وكذلك لقراء السلسلة الجدد".

– موقع TheRomanceReadersConnection.com

"رواية محبوكة سريعة الإيقاع ذات شخصيات شديدة الجاذبية. لذا يمكنني بسهولة أن أفهم سبب شعبية هذه السلسلة، وأرغب في المزيد!".

– *آركون ريكورد- كورير* (أوهايو)

THE 6TH TARGET

"تحفة فنية جديدة".

– موقع 1340magbooks.com

"رواية شديدة التشويق، من النوع الذي لا يكتبه سوى باترسون".

– موقع EdgeMiami.com

THE 5TH HOREEMAN

"هؤلاء الذين لم يقرأوا أيًا من سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل يخدعون أنفسهم".

– موقع BookReporter.com

"رواية عذبة ورائعة... باترسون رائع كالعادة".

– موقع NewMysteryReader.com

4TH OF JULY

"رواية مذهلة مشوقة، ويجب قراءتها".

– موقع RebeccasReads.com

"روايــة قوية مليئة بالأحداث غيــر المتوقعة. وبمجرد أن تبدأ في القراءة لن يمكنك التوقف. ولن تندم على اقتنائها".

– موقع EdgeBoston.com

3RD DEGREE

"اشتــر هذه الرواية؛ فمن خلالها ستفهــم لماذا يطلقون على باترسون المؤلف صاحب الأعمال الأكثر جاذبية في العصر الحالي".

– موقع Bestsellersworld.com

"رواية مذهلة ومرعبة. التشويق لا ينتهي في هذه الرواية، والحبكة مبهرة!".

– موقع Myshelf.com

2ND CHANCE

"بطلات ملهمات، وحبكات ثانوية مشوقة وإيقاع سريع مشوق. يقدم باترسون رواية تشويق جديدة من سلسلة روايات نادي السيدات لجرائم القتل".

– *مجلة بيبول*

"روايــة تشويــق رائعة سريعة الإيقاع لصاحــب المؤلفات المشوقة الأشهر في الوقت الحالي".

– *سان فرانسيسكو كرونيكل*

"عمــل ممتــاز جديد مــن باترسون. روايــة تشويق من الدرجــة الأولى، مليئة بالألغاز والأحداث غير المتوقعة والمشاهد القوية".

– *بابليشرز ويكلي* (مراجعة متميزة)

1ST TO DIE

"لا أستطيع أن أصدق مدى مهارة باترسون. إنه بارع دائماً".

– *لاري كينج، يو إس إيه توداي*

"يكتب باترسون كل مشهد ببراعة منقطعة النظير، بكل تفاصيله الدقيقة، ما يبرز ملامح الشخصيات ويقوي الحبكة الدرامية. هذا كله يجعل القارئ يرى الصور تتوالى أمامه كأنه يجلس في دار سينما".

– مايكل كونيلي؛ مؤلف *Nine Dragons*

"إن منعطفات الرواية الذكية والحبكات الفرعية المتقنة تبقي القارئ مشدودا للرواية حتى آخر صفحة".

– مجلة *بيبول*، (صفحة الكتب المتميزة للأسبوع)

"رواية مثيرة للغاية".

– *شيكاجو تريبيون*

"هذا العمل المشوق سريع الإيقاع والصادم سيجبرك على قراءته والانتهاء منه في جلسة واحدة".

– *دنفر روكي ماونتين نيوز*

إلى سوزي وجون، وبريندان، وأليكس، وجاك!

الجزء الأول

الفصل
1

كان صباحًا مشمسًا من شهر مايو، وتحت شمسه المشرقة انطلق جو موليناري نحو المتنزه بصحبة كلبته مارثا الذكية والظريفة، وجولي صغيرته الرضيعة البالغة من العمر تسعة أشهر.

كانت جولي داخل حمالة الأطفال، يلاصق جسمها صدر أبيها المريض، وكانت ترفع بصرها من وراء كتفه وتلوح بأصابعها نحو البحيرة، واثقة تمامًا بأنها كانت تتفوه بكلمات حقيقية، وأن والدها سيتبع توجيهاتها بكل سعادة.

قال جو للطفلة: "هل تحملين رخصة لإلقاء مثل هذه التوجيهات؟".

"بكل تأكيد"، هكذا أجاب جو نفسه بأفضل نبرة استطاع بها تقليد صوت جولي، لو كانت قادرة على التحدث بالطبع. وأكمل: "نحن نعرف مَن المسئول هنا يا أبي. وكل ما عليّ هو أن أشير بيدي وأغمغم بكلماتي الواثقة. هيا! سأسابقك حتى المقاعد هناك، بالقرب من البط".

عبث جو بشعر جولي، ثم قبض بإحكام على سلسلة مارثا، وراح يتأمل المشهد من جديد. مسح بعينيه الطريق إلى المقاعد، متأملًا الأشخاص الذين يسيرون بصحبة كلابهم، وعربات الأطفال، وظلال الأشجار، وحركة المرور التي يمكن رؤيتها من خلف مياه البحيرة. ثم توقف قليلًا لتأمل رجل في منتصف العمر يدخن سيجارته، ويحدق بتركيز في هاتفه.

هــذه كانت عــادات جو كعميل فيدرالــي سابق، ورجـل كان حتى وقت قريب نائــب مدير الأمن الداخلي، وقد صار الآن مستشارًا متخصصًا في تقييم إدارة المخاطر للشركات الكبرى والوكالات الحكومية وغيرها من الهيئات الأخرى.

ومنذ ستة أشهر، التحق جو بوظيفة يقضي فيها ثماني عشرة ساعة في اليوم، ويمارس عمله في أغلب الأحيان من مكتبه في غرفة النوم الاحتياطية. لقد كان يعمل على مشــروع متشابك، ملــيء بالتعقيدات العمليــة والسياسية. لكنه شعر بالرضا حيال مــا آل إليه هذا المشروع. وهكذا استقر بارتياح على مقعد شاغر يطل على جانب من البحيرة يسبح على صفحته مجموعة من البط.

ضحكت جولي وضربت الهواء بقبضتيها بينما كان جو يخرجها من الحمالة ويجلسهــا على حجره. جاءت مارثا وحاولت لعــق وجه جولي مداعبة إياها، لكن جــو تدخل وجذب كليته البوردر كولي إلى جانبه. كانت جولي تحب مارثا، وظلت تغمغم ضاحكة بكلامها غير المفهوم. ثم قطع هذا الجو رنين هاتف جو.

لــم تكن النغمة المخصصة لرقم زوجتــه ليندسي. أخرج الهاتف من جيب قميصــه، ورأى أن المتصــل كان بروكس فيندلاي، المديــر التنفيذي الذي كلفه بمهمــة في مينــاء لوس أنجلوس. تخيل جو الرجــل – كان لاعبًا سابقًا في فريق كــرة القدم لطلاب الجامعات، وكان لائقًا بدنيًا، بشعر أشقر خفيف، وغمازتين جذابتين.

كان من الغريــب استقبــال مكالمة مــن فيندلاي في هذا الوقــت المبكر من الصباح، ولكن جو أجاب على الهاتف.

قال فيندلاي: "جو. معك بروكس فيندلاي. هل هذا وقت مناسب للتحدث؟".

كان يشوب نبرة فيندلاي بعض البرود والفتور، ما جعل جو في حالة تأهب.

ما خطب فيندلاي بحق السماء؟

الفصل
2

قال جو لفيندلاي: "يمكنني التحدث، لكنني لست أمام حاسوبي".

رد فيندلاي: "ما من مشكلة في ذلك. اسمع يا جو، أنا مضطر لإلغاء اتفاقنا. الأمر لا يسير على ما يرام. أنت تعرف الوضع".

قال جو: "في الواقع، أنا لا أعرف الوضع. ما المشكلة؟ أنا لا أفهم".

ظهر حشد من الصبيان الصغار أمام جو، وكانوا يتصايحون ويركلون كرة قدم على الطريق الأسفلتي. وفي الوقت نفسه، كانت الرضيعة تملي على جو مجموعة جديدة من التوجيهات. وضع جو يده على معدتها وتمنى ألا تبدأ بالصراخ؛ فجولي يمكنها *الصراخ* بشكل صاخب للغاية.

أردف جو قائلًا: "هل تسمعني يا بروكس؟ لقد أنفقت الكثير من وقتي على هذا المشروع. أنا أستحق تفسيرًا وفرصة لتصحيح الـ...".

"شكرًا يا جو، لكن الأمر خرج من يدي. سنتولى الأمر من هنا. اتفقنا؟ لا تزال اتفاقية عدم الإفصاح سارية بالطبع، وبالنسبة للشيك، فقد أرسلته بالبريد. اسمع، لدي مكالمة واردة، وعليَّ الذهاب. اعتنِ بنفسك".

وانقطع الاتصال.

ظل الهاتف في يد جو لبضع لحظات قبل أن يعيده إلى جيبه. *يا للعجب*. هكذا دون اعتذار، أو حتى تفسير لحفظ ماء الوجه! الأمر يشبه عملية بتر سريعة وشرسة.

أخذ جو يسترجع محادثته الأخيرة مع فينـدلاي، بحثًا عن أي مؤشرات لم ينتبه لها، أو تلميح بشكوى ولو من بعيد، ولكنه لم يتوصل لشيء. لقد بدا فيندلاي سعيدًا بعمله في الواقع، وكان جو على يقين من أن تحليله الأولي حول الإجراءات الأمنية الخاصة بالحاويات في ميناء لوس أنجلوس كان ممتازًا.

إنه لم يتوقع هذا حقًا.

بعد تجاوزه للصدمة والارتبـاك، تأمل جو واقعه الجديد. الأمر لن يقتصر علـى مجرد خسارة في الدخل، فهناك الخزي الناجم عن اضطراره لشرح هذا الأمر لأول شخص سيجري معه مقابلة للحصول على وظيفة جديدة.

كانت هذه الفكرة لا تحتمل.

أراد الاتصال بـ ليندسي، لكن لماذا يفسد يومها هي أيضًا؟

نظـر جو لابنتـه التي صارت متململـة، وقال: "هل يمكنـكِ تصديق ذلك يا جولي؟ فُصل والدك لتوه، عبر الهاتف! هكذا *ببساطة*".

ثم أعاد الطفلة مرة أخرى إلى الحمالة، فرفعت يدها ولمست وجنته.

"أنـا بخير يا جولي. أظن أن علينا جميعًا العودة إلى المنزل الآن. أرغب في كوب من مخفوق الموز، فما رأيكِ؟".

بدت جولي وكأنها على وشك البكاء.

كانت الطفلة الصغيرة تعكس مشاعره.

قـال جـو: "لا بأس يا عزيزتي. لا تبكي. يمكننـا العودة لرؤية البط في وقت لاحـق، بل يمكننا العودة كل يوم خـلال الفترة القادمة. سأضـع لك بعض قطع الخوخ في المخفوق، اتفقنا؟ أنت تحبين الخوخ".

ثـم ردَّ جـو على نفسه مقلـدًا صوت الرضيعـة: "بكل تأكيد يـا أبي"، وجال ببصره عبر الحديقة ثم وقف حاملًا جولي.

"هل أنت جاهزة يا مارثا؟ هيا يا فتاتي الطيبة".

نبحـت الكلبـة وقفـزت، فتركها تتحـرك بحرية حتـى غـادروا المتنزه، ثم سحبها برفق بينما شقا طريقهما عبر مجموعة من البنايات باتجاه المنزل.

فـي ذلك الوقت، لم يكـن جو يفكر في الفاكهة أو الثلج أو مخفوق الموز، بل كـان يفكر في فينـدلاي، متخيلا هذا اللعين الجبان وهو يـدور ويدور بلا توقف داخل الخلاَّط.



في ذلك الصباح، كنت أجلس على مكتبي بينما كان الضوء يتدفق من النوافذ المطلة على شارع بريانت ويغطي فرش الأرضية في غرفة مخفر الشرطة.

كـان شريكـي المفتش ريتش كونكلين يقف خلفـي إلى اليميـن، بينما كان وارين جاكوبي رئيس الشرطة يقف متململًا خلفي من جهة اليسار.

قبل بضع سنـوات، أصيب جاكوبي برصاصتين، واحـدة في ساقه والأخرى في وركه، ما جعله يهرم قبل الأوان. كان مثقلًا بحوالي خمسين رطلًا من الوزن الزائد، ومفاصله تطقطق كلما سار، بينما قضى الألم على حس الدعابة اللاذع الذي كان يتمتع به.

قـال: "انتظري حتى تري هذا"، وأعطانـي أسطوانة مدمجة، وتنهد بصوت عال بينما كنا ننتظر أن يبدأ "حاسوبي البطيء اللعين" في العمل.

وضعـتُ الأسطوانـة في محـرّك الأقراص، فأصـدر أزيزًا، ثـم ظهر على الشاشـة مقطع فيديو بتاريخ اليوم في الساعة ٢:٠٦ فجرًا. كانت الكاميرا مثبتة أسفـل أحد أعمـدة الإنارة ذات الضـوء المرتعش في مربع سكنـي شبه مهجور بحي تندرلوين، وهو الحـي المعروف بخطورته. كانت الصورة مشوشة، ما يدل علـى أنها كاميرا مراقبة رخيصة تستخدم كدعامـة للعمود أكثر من كونها أداة للتصوير.

قال جاكوبي: "إنه شارع إليس، وهؤلاء هم الحثالة"، ثم أشار بإصبع مكتنز شبيه بالنقانق نحو ثلاثة ظلال لأشخاص يظهرون في المشهد. كانوا رجالًا يرتدون قبعات سوداء وسترات زرقاء خُطّ على ظهرها بحروف بيضاء هذه الكلمات: قسم شرطة سان فرانسيسكو. كان هؤلاء الرجال يحملون بنادق آلية ويتحركون بثقة نحو متجر لصرف الشيكات مفتوح طوال ساعات الليل، تعلو نافذته لافتة صفراء تقول: **بايداي لونز لتسييل وصرف الشيكات.**

اعتدلت في جلستي، ثم استدرت متطلعة إلى جاكوبي.

ما هذا بحق السماء؟

قال جاكوبي: "اللعنة على هؤلاء الأوغاد. يصعب عليَّ رؤيتهم. ألا يمكنكِ أن تزيدي من دقة الصورة؟".

رددت قائلة: "ما تراه هو أقصى ما يمكن رؤيته".

لثوانٍ طويلة وقاسية، شاهدنا رجال الشرطة هؤلاء يتقدمون على طول الشارع التجاري المظلم الذي تصطف على جانبيه مبان منخفضة. وأخيرًا، توقفوا أمام واجهة المتجر المضاءة ودلفوا من الباب في صف واحد.

بعد لحظات، انطفأت الأنوار داخل المتجر. ثم انفتح الباب على مصراعيه فجأة، وخرج أحد رجال "الشرطة" حاملًا حقيبة كتف تحت ذراعه، وتلاه الرجلان الآخران، اللذان كانا يحملان حقيبتين مماثلتين.

وبعد أن صاروا يسيرون في مواجهة الكاميرا، تطلعتُ فيهم باحثةً عن أي علامة مميزة في وجوههم – أي شيء يمكنه مساعدتنا عند إدخاله في أحد برامج التعرف على الوجوه.

لكن الوجوه كانت كلها متشابهة.

وأخيرا فهمت السبب. كان الأشرار يرتدون أقنعة من اللاتكس تخفي ملامحهم تمامًا. بعد خروجهم من المتجر بلحظات، ابتعد الرجال المرتدون سترات الشرطة عن نطاق الكاميرا سريعًا.

قال جاكوبي: "يا إلهي. فليخبرني أحدكم، أرجوكم، أن هؤلاء الرجال لا ينتمون إلى الشرطة".

الفصل 4

شعـرتُ بالغثيـان مما شاهدته للتو فـي مقطع الفيديو. ومثـل جاكوبي، كنت آمـل أن يكون ما شاهدناه مجرد عملية سطو مسلح يقودها رجال يحبون المزاح لا أكثر، لا ضباط شرطة فعليين.

سألت جاكوبي: "هل نجم عن هذا أية وفيات؟".

رد قائلًا: "حالة واحدة. لم يفصح المالك عن رقم الخزانة السري فأطلقوا النـار عليـه وأردوه قتيلًا. لقـد تبادل بضع كلمـات مع المسعفين قبـل أن يلفظ أنفاسـه الأخيرة بفعل النزيف الشديد. أخبرهم أن رجال الشرطة هم من فعلوا ذلك. كما تم استجواب الفتى الذي كان يعمل في مسرح الجريمة، والذي قال إن خزانة الطابق الأرضي كانت تحتوي على حوالي ستين ألف دولار".

أطلق كونكلين صفيرًا طويلًا.

واصل جاكوبي حديثه قائلًا: "هذه هي الجريمة الثانية من النوع نفسه. قبل بضعة أيـام، سرق ثلاثة رجال في قبعات وسترات الشرطـة متجرًا إسبانيًا. لم يسفر الهجوم عن وفيات، لكنها كانت عملية سرقة ضخمة أخرى. ولست بحاجة لأن أقول إنه يجب إيقاف هؤلاء الرجال، وإلا سيلام كل رجل وامرأة يرتدون زي الشرطة على هذا سواء كانوا مذنبين أم لا".

أومأنا أنا وكونكلين موافقين، بينما واصل جاكوبي الحديث.

"فرقـة مكافحـة السرقات تعمل بالفعـل على هذه القضيـة، لكنني أخبرت بـرادي بأنني أريـد أن يعمل كلاكما معهـم بعد أن أصبحت لدينـا جريمة قتل. هل تعرفين فيليب بيكلني يا بوكسر؟ إنه رئيس فرقة مُكافحة السرقات. اتصلي به. أنتِ وكونكلين ستعملان مع رجاله. هذه هي أهم قضية لدينا الآن".

قلت: "الأمر تحت السيطرة يا سيدي".

غادر جاكوبي المخفر ساخطًا وهو يغمغم لنفسه.

ربما تقـوم فرقة مكافحة السرقات في الوقت الحالـي بتمشيط شارع إليس بينمـا يعمل الخبراء الجنائيون على فحص مكتب بايـداي لونز لتسييل وصرف الشيكـات. وكل مـا نأملـه الآن أن يكون بينهـم شخص واشٍ، أو أن تترك هذه العصابة المحترفة أي دليل خلفها.

اتصلت بـ فيل بيكلني وكررت عليه تعليمات جاكوبي؛ فأخبرني بما يعرفه عن القضية حتى الآن.

قـال الرقيب فيل: "حتى الآن ممنوع الاقتراب من مسرح الجريمة. لقد منع فريق التحقيق الجنائي الدخول إلى حين الانتهاء تمامًا من عملية الفحص، وهو ما سيحدث غالبًا في وقت لاحق من هذا اليوم".

وأخبرني أنه سيحضر لنا لقطات من أول عملية سطو مسلح لعصابة سترات الشرطة، ذلك الذي كان على المتجر الإسباني.

وقال: "مقطع الفيديو صار تحت يد المدعي العام، لكنني سأطلب الحصول على نسخة لأجلكم في أسرع وقت ممكن".

اتصلـتُ بالشرطـة الإداريـة وطلبتُ الحصـول على كشـوف ساعات العمل لجميـع أفـراد الشرطة من جميـع الرتب في المخفـر الجنوبـي؛ فربما يمكننا وضع قائمة برجال الشرطة ممن لم يكونوا بالخدمة عند حدوث عمليتي السطو هـاتين.

وبالنسبـة لي، كان السؤال الأول هو: هل كـان هؤلاء اللصوص رجال شرطة حقيقييـن، أم أنهم مجرد محتالين في ملابس الشرطة؟ في كلتا الحالتين، لقد منحهـم زي رجـال شرطة مهلـة قصيرة قبـل أن يكتشـف الضحايا أنهم تحت التهديد.

أعد شريكي الطيب شطيرتين وأعددتُ أنا القهوة، ثم استقررنا في مكتبينا المتواجهين، وشمرنا عن سواعدنا استعدادًا للعمل على هذه الجريمة الغامضة.

الفصل
5

بعد ساعات من محادثتي مع فيل بيكلني، كنا أنا وكونكلين لا نزال في انتظار أن يرسل مكتب المدعي العام مقطع الفيديو الخاص بأولى سرقات عصابة سترات الشرطة التي تم اكتشافها. نظرتُ إلى ساعتي، فوجدت أنني لا يزال بإمكاني اللحاق بالموعد. أخبرت شريكي أنني سأعود بعد ساعتين، ثم أضفت: "لديَّ موعد ولا أستطيع التأخر".

فتح ريتشي درج مكتبه، وأخرج علبة صغيرة ملفوفة بالورق المزركش ومزينة بشرائط قماشية مع بطاقة تهنئة، وسلمها لي وهو يبتسم ابتسامة عريضة قائلًا: "هذه هدية كلير. حاولي أن تحضري معكِ قطعة من الكعكة". ريتشي رجل وسيم؛ ولحسن الحظ، استطاع تجنب الغرور الذي غالبًا ما يُبتلى به الأشخاص الوسيمون.

التقطتُ هديته، بالإضافة إلى الهدية التي كنت أضعها في درج مكتبي العلوي، ثم توجهت إلى سيارتي في ساحة الانتظار الموجودة على الجانب الآخر من الشارع وانطلقت. وبعد مرور عشر دقائق وعبور شارعين ملتويين، أوقفت سيارتي الإكسبلورر العتيقة أمام نادي باي كلوب. وضعت بطاقة هويتي الشخصية على لوحة القيادة، ثم ترجلت من السيارة وتوجهت إلى مطعم مارلو الرائع المشيد بالأحجار، والمزينة نوافذه الزجاجية الكبيرة بمقولات عن الشراب والطعام.

حدقت عبر الزجاج الأمامي، فرأيت يوكي وكلير تجلسان في الخلف على طاولة أعدت لأربعة أشخاص، وقد بدتا مستغرقتين بشدة في حديثهما. ومن تعبيرات وجهيهما، بدا أنهما مختلفتان حول أحد الأمور وتتجادلان بشأنه. دلفت عبر الباب إلى داخل المطعم المتوهج بالأنوار، والمصمم على الطراز الصناعي. رأتني يوكي على الفور، وتطلعت إليَّ وكأنها تنتظر من ينقذها.

نادتني رافعة صوتها ليغطي على صوت المحادثات الصاخبة التي تدوي داخل المكان المبني بالقرميد والصلب: "هنا يا ليندسي".

توجهتُ نحو صديقتيّ، ووقفتْ كلير لمعانقتي. كانت تبدو رائعة في بنطالها الأسود، وكنزتها ذات الياقة المثلثة، وقلادة الفراشة الماسية التي تزين عنقها. غالبًا ما تحاول كلير اتباع حميات غذائية لإنقاص بعض وزنها، لكنني أرى مظهرها مثاليًا دائمًا.

قلت: "أحبك أيتها الفراشة. عيد ميلاد سعيدًا يا صديقتي".

ضحكت وقالت: "وأنا أحبك يا ليندسي".

عانقتني مجددًا، وجلستُ على المقعد المقابل لها بجانب يوكي. كانت يوكي ضئيلة البنيان وقد ارتدت حلة زرقاء أنيقة، بينما كان شعرها الناعم ينسدل على ياقة حريرية بلون القشدة، وكانت تزين عنقها بعقد من حبات المرجان. عندما رأيت يوكي آخر مرة قبل أسبوع، كانت تبدو أكثر سعادة مما بدت عليه الآن.

سألتها: "هل أنتِ بخير؟".

قالت: "أنا بخير".

عانقتها، وبينما كنت أعلق سترتي على ظهر المقعد، ظهرت سيندي أخيرًا، واقتربت من طاولتنا، وكانت مشرقة مثل زهرة ندية تتوهج تحت الشمس.

بدأت دورة جديدة من العناق والتقبيل، قبل أن تضيف سيندي هدية جديدة إلى كومة الهدايا المزينة بالورق الملون والشرائط اللامعة على الطاولة. وبعد تبادل التحيات أشرتُ إلى النادل.

كنت متشوقة حقًا لتناول طبق المطعم المخصوص: شطائر الهامبورجر المصنوعة من لحم البقر الفني بالعصارة، والذي يعلوه البصل المكرمل، واللحم المقدد، وشرائح الجبن والفجل، كل ذلك في خبز ساخن مدهون بالزبد، بالإضافة إلى البطاطس المقلية. وكان ما يبهجني أكثر من هذه الوجبة الشهية المرتقبة هو الجلوس مع أعز صديقاتي.

كانت سيندي هي التي أطلقت على مجموعتنا الصغيرة اسم: نادي السيدات لجرائم القتل. لقد كانت مزحة، لكنها حقيقة في الوقت نفسه؛ فأربعتنا كن محاطات بجرائم القتل؛ فأنا أعمل محققة في جرائم القتل، وكلير طبيبة شرعية بشرطة سان فرانسيسكو، ويوكي تعمل في مكتب المدعي العام ونجمها في صعود مستمر، وسيندي توماس تعمل صحفية شهيرة متخصصة في جرائم القتل بجريدة *سان فرانسيسكو كرونيكل*.

كانت سيندي أيضًا نجمة بازغة في عالم التأليف، فكتابها: "*فتاة فيش — قصة حقيقية عن الحب والقتل المتسلسل*"، مبني على قضية حقيقية عملتُ عليها أنا وكونكلين حول قاتلين معروفين، حيث تابعت سيندي تلك القضية وساعدتنا في القبض على أحد القاتلَين.

كان كتابها سيطرح في الأسواق مع نهاية الأسبوع، وكنت على يقين من أن هذا هو السبب في أنها كانت متوهجة.

بعد أن طلبنا المشروبات، صاحت كلير فجأة: "يوكي ستترك وظيفتها".

قلت أنا وسيندي في وقت واحد: "مستحيل!".

قالت يوكي: "أنا *أفكر* في الأمر، *أفكر* وحسب. إنها مجرد فكرة، أتفهمنني؟ رويدكن يا فتيات".

ردت سيندي قائلة ما كنت أتخيله:

"يا إلهي! أنا أعرف ما حدث لكِ. أنتِ *حامل*".

كانت يوكي متزوجة من رئيسي، الملازم جاكسون برادي، الرجل الصارم والعادل في الوقت نفسه. لكنهما تزوجا منذ أربعة *أشهر* فقط. لكن لم تتسن لي فرصة للتفكير بشأن احتمال ترقبهما وصول طفل؛ فقد أجابت يوكي بأسلوبها السريع التقليدي:

"لا! لا. أنا لست حاملًا. وإذا لم يكن لديكن مانع، فعلينا جميعًا أن نطلب الغداء الآن، لأنني يجب أن أحضر جلسة تحقيق خلال ساعة".

وهنا رنّ هاتفي.

نظرت إلى اسم المتصل بينما كنَّ جميعًا يحدقن إليَّ بانزعاج. كانت لدينا قاعدة واحدة في لقاءاتنا الاجتماعية التي يمنع فيها أي شيء من مقاطعتنا: ممنوع المكالمات الهاتفية.

قلت: "أنا آسفة، ولكني يجب أن أرد على هذه المكالمة".

وهذا هو ما فعلته.

الفصل
6

تركتُ الفتيات، وعثرت على مكان يمكن أن أتلقى فيه المكالمة في خصوصية.

سألت الملازم برادي: "ماذا حدث؟".

أجاب: "وجدنا جثة في شارع بالمي آلي. أنا بحاجة إليكما أنتِ وكونكلين للقيام بالتحقيق الأولي. عليكما إغلاق مسرح الجريمة، والبقاء هناك لحين وصول فريق بديل. جاكوبي يريد منكِ أنت وكونكلين العمل على قضية السطو بمكتب الشيكات، ولا شيء غيرها".

انضممت مجددًا إلى صديقاتي.

قلت: "آسفة يا فتيات. كان هذا هو رئيسي، وعليَّ أن أذهب".

ألقت يوكي منديل المائدة في سخط.

وقالت سيندي: "ما الذي يمكنك أن تخبريني إياه؟".

يمكنك إخراج سيندي من مقر الجريدة، لكن لا يمكنك أبدًا إخراج الحاسة الصحفية منها.

أجبت: "لا شيء. لا أستطيع أن أخبركِ ولا حتى عن أبسط معلومة".

قالت سيندي: "كم مرة يجب عليّ إثبات أنني جديرة بالثقة؟ كما أنكِ مدينةٌ لي".

كانت سيندي على حق في الواقع، وأنا أثق بها دائمًا. لقد أنقذتْ حياتي قبل بضعة أشهر.

لكنني قلت: "ما زلتُ لا أستطيع إخبارك بشيء. ولا كلمة واحدة".

أمسكت بسترتي، وكنت أرتديها عندما قالت كلير: "لا أصدق أن هذا يحدث *مجددًا*".

أوقفني التعبير المرتسم على وجهها. كانت غاضبة – بل غاضبة بشدة.

سألتها: "ما *الذي* تقصدين أنه يحدث مجددًا؟".

قالت كلير: "ما حدث من قبل في عيد ميلادي العام الماضي، والعام الذي يسبقه".

"هل أنتِ متأكدة؟".

"*بالطبع* متأكدة. برغم أنني أذكر في العام الماضي أننا تناولنا معظم غدائنا قبل أن تغادري الطاولة. تذكري جيدًا يا ليندسي، متى كانت آخر مرة رأيتني فيها أطفئ الشموع؟".

"أنا آسفة. لا أستطيع التملص من هذا. سأعوضكِ عن هذا يا كلير. سأعوضكن جميعًا، بما في ذلك أنا. أعدكن بذلك".

قدمت مزيدًا من الاعتذارات، وأرسلت لصديقاتي عدة قبلات في الهواء، وهربت مسرعة من المطعم. اتصلت بـ ريتش كونكلين في الطريق، وأنا متجهة إلى سيارتي، وقلت: "أنا على بُعد عشر دقائق".

"وأنا أيضًا".

دار المحرك على الفور. وانطلقت مسرعة بسيارتي الإكسبلورر نحو تقاطع مزدحم في شارع ميشن.

الفصل
7

كانت الأجواء في شارع بالمي آلي وشارع توينتي فورث تشبه مشهد دوريات الطريق السريع.

أحصيت ثلاث سيارات شرطة تقف بشكل غير منتظم، وكانت الرابعة آتية خلفي. تم تطويق الشارعين، مما تسبب في ازدحام حركة المرور داخل ممر واحد مفتوح بشارع توينتي فورث. كان المشاة قد تجمهروا في ثلاثة صفوف أمام الشريط الحاجز وهواتفهم المحمولة في أيديهم. من الواضح أنهم لم يجدوا شيئًا يفعلونه هناك أفضل من التحديق ببلاهة في جثة نازفة على معبر المشاة.

أوقفت سيارتي على الرصيف، وأخرجت كاميرتي النيكون ذات التركيز التلقائي، ووجدت كونكلين يتحدث إلى شرطي صغير، ثم عرّفني عليه. كان اسمه مارتن أينهورن، وهو شرطي مرور كان يسجل مخالفة وقوف عند وقوع الحادث.

تنقلت عينا أينهورن السوداوان بيننا أنا وكونكلين بينما كان يمشي معنا عبر مسرح الجريمة. كان يتعرق بشدة في زيه الرسمي، كما كان صوته عاليًا وحديثه متقطعًا. في رأيي أنه لم ير جثة من قبل، والآن كان قريبًا للغاية من جريمة قتل حقيقية، بل شاهدها تحدث أيضًا.

قـال: "كنـت أضـع مخالفة مرور علـى سيارة مـازدا حمـراء هناك. كانت الضحيـة تعبـر الشارع. في الواقـع، كان الكثير مـن الناس يعبـرون في الوقت نفسـه، في كلا الاتجاهين، ومعظمهم من السائحيـن". وأشار بوجهه في اتجاه موقع الحادثة، تلك البقعة السياحية الجذابة، حيث كانت هناك جداريات ملونة تُعبـر عن الاحتجاجات ضد انتهـاك حقوق الإنسان، كُتبت علـى مدار السنوات الخمسين الماضية.

قـال شرطي المرور: "لـم أشاهد الهجوم. سمعت الصـراخ فقط، وعندما تفـرق الجميـع، رأيت ... رأيتهـا". توقف لحظة لاستجماع شتـات نفسه قبل أن يواصل حديثه.

"أبلغت بالحادث ووصل المسعفون بعد دقيقة. أخبروني أن الضحية ماتت، فأمرتهم بأن يتركوا جثتها في مكانها؛ فهذا هو مسرح الجريمة".

قلت: "قرار حكيم".

أومـأ أينهـورن، وأخبرنا أن سيارة شرطة وصلت بعـد بضع دقائق، ثم وضع الشرطيـون شريطًـا حاجزًا، ثـم أضاف: "حصلنـا على أكبر عـدد ممكن من الأسمـاء، لكن الناس كانـوا يحاولون الخروج، ولم يكن لدينا ما يكفي من رجال الشرطـة لاحتجازهم. مـن بقي همـا هذان الشاهـدان، السيـد والسيدة ناثان جوسلين، الواقفان هناك. لقد شاهدت السيدة جوسلين الهجوم".

عندمـا اقتـرب كونكلين من الزوجيـن اللذين كانا يقفان خـارج متجر لبيع لوازم التدخين، تفحصت بعيني مسرح الجريمة وحددت موضع الضحية قياسًا بالسيارات والمباني والأشخاص. ثم انحنيت ومررت من أسفل الشريط وأبرزت شارتي لرجال الشرطة الذين كانوا يراقبون الجثة ومسرح الجريمة.

قال أحدهم: "من هنا أيتها الرقيبة. احترسي من الدماء".

قلت: "حسنًا".

ارتديت قفازي، ثم اقتربت كي أتمكن من إلقاء نظرة فاحصة على الضحية.

الفصل 8

كان مشهدًا مريعًا.

كانت القتيلة مستلقية على جانبها، بيضاء البشرة، ذات شعر بنيّ يصل لكتفيها، وفي أواخر الأربعينيات أو ربما أوائل الخمسينيات من عمرها.

كانت أنيقة المظهر، وترتدي ملابس باهظة الثمن: معطفًا واقيًا من المطر بلون بني فاتح مفتوحًا فوق سترة بيج ضيقة غارقة في الدماء. بدا أن مصدر الدم كان شقًّا طوليًا يمتد من منطقة أسفل البطن وحتى القفص الصدري، وهو جرح يتطلب قوة شديدة لإحداثه، بالإضافة إلى نصل طويل وحاد بالطبع.

لقد فقدت الضحية دمها بسرعة، وعلى الأرجح لم تدرك ما حدث لها.

ركزتُ الكاميرا على الجرح الواضح، والتقطت صورًا مقربة لوجهها، ويديها اللتين كانتا بلا خاتم زواج، وقدميها المتدثرتين في جورب، واللتين كانتا تشبهان سمكتين نافقتين على الشاطئ، بعدما انخلع عنهما الحذاء.

بجانبها، كانت هناك حقيبة يد ثمينة ماركة لوي فيتون. فتحت الحقيبة وبدأت في تصوير محتوياتها: حذاء رياضي ثمين، ومجموعة أدوات تجميل، وعلبة نظارة شمسية ماركة جيمي تشو، ورواية، ومحفظة جديدة وفخمة من الجلد البني.

عندما فتحت محفظتها، علمت أن اسم الضحية كان تينا ستريشلير. أوضحت رخصة قيادتها أنها في الثانية والخمسين من عمرها، وأنها تسكن

علـى بُعد ست بنايات من المكان الذي قتلـت فيه. كان لدى ستريشلير مجموعة كاملـة من بطاقــات الائتمان، بالإضافـة إلى بطاقات عمل أوضحـت أنها كانت طبيبة نفسية. كان لديها أيضًا إيصالات لعمليات شراء أجرتها حديثًا، بالإضافة إلى مبلغ نقدي قدره مائتان واثنان وعشرون دولارًا.

كتبت اسم ستريشلير في هاتفي، مستخدمة تطبيقًا مرتبطًا بقاعدة بيانات قسـم شرطة فرانسيسكو، لكنني لم أجد أي شيء، ولم يفاجئني هذا. حتى تلك اللحظـة، لم يكن لديَّ أي شـيء يفسر عدم سرقة هذه المـرأة الثرية. لقد شُق بطنهـا في وضح النهـار في شارع مزدحـم لا يتوقف فيه النـاس عن استخدام كاميرات هواتفهم المحمولة في كل الاتجاهات.

درتُ حـول الجثة والتقطـتُ صورًا للحشود على الأرصفـة على أمل أن يكون قاتل المرأة لا يزال واقفًا يراقب الأجواء في مسرح الجريمة.

تحرك كونكليـن باتجاهي، ولخص لي أقوال الشاهدين، مشيرًا إلى الاتجاه الذي قدمت منه الضحية.

قال: "كان السيد والسيدة جوسلين يعبران شارع بالمي آلي باتجاه الضحية. لـم تلاحظ السيـدة جوسلين القاتـل إلى أن وجّـه ضربة أو لكمـة باتجاه جذع الضحية. كل ما رأته كان رجلًا أبيض البشرة، متوسط القامة، يرتدي إما سترة أو معطفًا أو قميصًا طويلًا أسود اللون. كما أنها تعتقد أن شعره كان بنيًا".

بدا السخط على كونكلين، وكنت أشعر بالمثل. مسرح الجريمة مليء بالناس بينما أحد الشاهدين الوحيدين لم يشاهد شيئًا يذكر.

واصـل شريكي قائلًا: "بعد الهجـوم، واصل المجرم السير حتى اختفى بين الحشود. لـم ير السيد جوسلين أيًا من ذلك؛ فقد اتجه إلى زوجته عندما بدأت في الصراخ. بعدها عم الذعر والفوضى".

وهنا وجدنا سيارة لا تحمل أرقامًا تتوقف أمامنا، ويترجل منها زميلان لنا، وهما فريد مايكلز وأليكس وانج، اللذان وظفهما برادي حديثًا.

رحبـت بهمـا أنـا وكونكليـن وأطلعناهمـا على مـا لدينا مـن معلومات عن الجريمـة. أخبرتهما بأنني سأرسل لهما نسخة مكتوبة من ملاحظاتي بالإضافة إلى الصور بمجـرد عودتي إلى مقر الشرطة. بعدها سلمت القضية مرغمة إلى الشرطيين الجديدين.

كانـت هناك جريمة قتـل مريعة تنتظرنا أنا وكونكلين فـي المكتب. عاد كل منـا إلى سيارته وتوجهنا إلى مقر الشرطة. لكن في أثناء مروري بشارع برا اينت أدركتُ شيئًا فجأة، وكان ما أدركته بمثابة صفعة قوية.

كانت كلير محقَّة.

لقـد وقعت جريمتا قتـل في العامين السابقين، تحديـدًا في عيد ميلادها. وكنت على يقين من أن كلتا القضيتين لم تحلا إلى الآن.

الفصل
9

عندما انتهى هذا اليوم التعيس، ودلفت أخيرًا إلى شقتنا، حركت مارثا ذيلها بسرور، ونبحتْ مرحبة بي. عانقتها، وأمسكتُ بقائمتيها الأماميتين، ورقصت معها لبضع خطوات. ثم ناديتُ جو.

أجابني من الداخل قائلًا:

"أنا أحمِّم جولي".

حسنًا إذن.

علقتُ سترتي، ورميت حذائي، ووضعت مسدسي في الخزانة ثم أغلقت قفل الأمان. سرت بصحبة مارثا إلى المطبخ المفتوح بشقتنا الكائنة في شارع ليك، تلك التي أتيت لأعيش فيها مع جو بعد زواجنا. وبعدها بعام، ولدت جولي في المكان نفسه في ليلة مظلمة وعاصفة بينما كان جو خارج المدينة.

هذه الليلة هي إحدى الليالي التي لن أنساها طوال حياتي.

ملأت وعاء مارثا للعشاء، وصببت كأسين باردتين من عصير البرتقال. بعدها ذهبت إلى الحمام الرئيسي ومارثا تتبعني. طرقت الباب وفتحته، لأرى أكثر شخصين أحبهما في حياتي. ابتسمتُ بملء فمي.

صحت بسعادة: "يا إلهي. انظر كم هي جميلة ونظيفة".

انحنيت وقبّلت جو، الذي كان يجثو بجانب الحوض. وابتسمت جولي بينما كانت ترفع وجهها اللطيف باتجاهي، ثم رفعت ذراعيها، وصاحت بمرح،

فوضعت كأسي العصير على الطاولة القريبة. وقبلت يدها، مصدرة أصواتًا مضحكة وأنا أضع فمي على راحتها. ثم أعطيت جو المنشفة الوردية التي كانت مزينة بهذه الكلمات: **ابنتنا الصغيرة.**

أعرف أن الآباء للمرة الأولى يكونون بلهاء قليلًا، ولكن هذه المنشفة كانت هدية في الواقع.

قلت لجو بينما كان يرفع الرضيعة المبتلة بين ذراعيه: "أنا بحاجة إلى الاستحمام أيضًا".

قال زوجي الوسيم والأروع على الإطلاق: "افعلي. ما رأيك في بيتزا للعشاء؟ سأطلب من بيتزا برونتو".

قلت: "رائع. أريدها بالنقانق والفطر والبصل، موافق؟".

"لقد نسيتِ الفلفل المكسيكي الحار".

"وهذا أيضًا".

وسرعان ما وصلت البيتزا.

في أثناء عشائنا السريع، أخبرت جو عن عصابة سترات الشرطة. بعد أن أنهينا عشاءنا ووضعنا علبة البيتزا الفارغة في سلة المهملات، كانت الطفلة قد نامت، وذهب جو ليعمل في مكتبه المنزلي، المعروف أيضًا بغرفة النوم الاحتياطية. أحضرت اللاب توب إلى غرفة المعيشة ورقدت على الأريكة الجلدية الكبيرة.

واصلت العمل على قضية عصابة سترات الشرطة طوال اليوم، لكنني وجدت أنني لا أستطيع التوقف عن التفكير في تينا ستريشلير، الطبيبة النفسية التي شُق بطنها في عرض الطريق.

الآن بعد أن شبعت، وتوافر بعض الوقت لي، شعرت بأن عليَّ التحقق من جريمتي القتل اللتين حدثتا في عيد ميلاد كلير خلال العامين الماضيين.

كنت شبه متيقنة من أن هاتين القضيتين لم يتم حلهما حتى تلك اللحظة.

الفصل 10

وقف زوجي ورائي، وراحت يداه تدلكان العضلات المشدودة في رقبتي.

قلت له: "أوه، أعتقد أنني أحب العمل في المنزل".

فقال: "لا لوم عليكِ؛ فأنا الرجل الأسطوري ذو اليدين البطيئتين".

أجبت ضاحكة: "نعم، هذا صحيح".

قال: "أترغبين في المزيد من العصير؟".

"لا، شكرا لك".

قال بينما كان يضغط بخفة على كتفي: "حسنًا إذن. سأذهب للركض بصحبة مارثا".

"سأنتظركما".

وبمجرد مغادرة جو ومارثا، ذهبت للاطمئنان على صغيرتنا المحبوبة، ثم عدت إلى العمل.

دوَّنت كلمة المرور، وفتحت سجل قضايا قسم شرطة سان فرانسيسكو لبدء عملية البحث. كان فهرس الملفات يحتوي على أكثر من مجرد قوائم بالضحايا؛ فقد تم أرشفة كل قضية والتأشير عليها باعتبارها إما مفتوحة أو مغلقة أو معلَّقة. كما تم إدراج اسم المحقق الرئيسي تحت اسم الضحية في كل قضية.

وبما أنني كنت أبحث عن جرائم قتل في تواريخ محددة، لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا للعثور على امرأتين قتلتا في يوم ميلاد كلير. حدقت في الأسماء، وتذكرت الواقعتين.

بالطريقة نفسها التي حدثت اليوم، كان يأتيني اتصال وأنا على طاولة الغداء للذهاب إلى مسرح الجريمة باعتباري الضابط الأعلى رتبة، وقريبة من الموقع الذي اكتشفت فيه الجثة.

ونقرت بالفأرة على القضية الأقدم من بين القضيتين اللتين لم يتم حلهما.

قبل عامين قُتلت امرأة تدعى كاثرين هايز خارج مقهى والدها في نوب هيل. كانت هايز تعمل لدى والدها خلال النهار، وفي الليل تذهب إلى مدرستها المسائية لحضور محاضراتها في المحاسبة والتمويل. في ذلك اليوم الموافق الثاني عشر من مايو، كانت تدخن في الخارج بينما تتحدث إلى صديقة على الهاتف، وفجأة طعنها أحدهم في ظهرها، ثم ذبحها.

لم يكن هناك شهود، أما الصديقة التي كانت تحادث هايز هاتفيًا، فقد سمعت صراخ الضحية فحسب. لم تُسرق هايز، وكل ما أخذه القاتل هو سكينه، ولم يترك أدلة وراءه: لا أوراق، ولا آثار حمض نووي، ولا خلايا من جلده تحت أظافر الضحية. لم تكن هناك أدلة تقريبًا، ولم تتحرك القضية قيد أنملة. تركت كاثرين هايز أصدقاء مفجوعين وعائلة مدمرة، بينما ملف قضيها المفتوح لا يزال ينتظر من يغلقه.

لم يتغير الوضع مع يولاندا بيرو، الشاعرة التي كانت تشارك في سباق باي تو بريكرز في العام الماضي، وهو سباق شهير يقام سنويًا منذ أكثر من مائة عام. كان العديد من المتسابقين يرتدون أزياء تنكرية، وبعضهم كان يركض بملابس خفيفة، وآخرون كانوا يرتدون ملابس على هيئة سمك، ويركضون بصورة معكوسة، كما لو كانوا يسبحون ضد التيار. فلك أن تتخيل ذلك.

عثر على جثة بيرو بعد يوم من السباق في نهاية المضمار بين الشجيرات الكثيفة. كانت ترتدي ملابس العدائين، ولا شيء في ملابسها كان يميزها.

كان بجسد بيرو طعنات متعددة، يمكن لأي منها أن تكون قاتلة. وقد ذكر زوجها المنهار ودائرتها المقربة من الأصدقاء أنها ليس لديها أعداء. كانت شاعرة وتعمل كمتطوعة في الحديقة المحلية، وتحب الركض.

لم تكن يولاندا بيرو تعرف كاثرين هايز، ولم يكن بين المرأتين أصدقاء أو أقارب أو معارف مشتركون. تولت المنطقة الشمالية القضية ولم تجد مشتبهًا بهم أو شهودًا، فقط عشرات الآلاف من المشتبه بهم ممن شاركوا في السباق أو شاهدوه. وهكذا، وبدون دليل واحد، بقيت قضية يولاندا بيرو لغزًا لم يحل.

ذكرتني قضية بيرو كثيرا بقضية ستريشلير.

فهناك كثير من الناس – حشود هائلة في الواقع، بينما لا يوجد شهود فعليون.

كانـت الضحايا الثـلاث اللاتي قتلن في ذكرى يوم ميـلاد كلير، بمن فيهن تينـا ستريشلير، من السيدات البيض الجذابـات، تتراوح أعمارهن بين الرابعة والثلاثين والثانية والخمسيـن، ويعشـن على بعد أميال مـن بعضهن البعض في مناطق مكتظة بالسكان.

هل هناك ما يربطهن؟

نعم: *جميعهن تعرضن للطعن بسكين.*

كنت أحدق في اللاب توب، وأبحث عن أي شيء آخر يربط بين هؤلاء النساء المقتولات الثلاث، عندما شعرت بشخص يقبل وجنتي.

رفعـت ذراعي لأعلى مثلما تفعـل جولي، ومنحني جو ابتسامـة كبيرة وقبلة أخرى. جلس بجانبي على الأريكة، وسألني:

"ماذا تفعلين؟".

"أقلّب في ملفات قضايا قديمة".

"حقًا؟ ولماذا يا تُرى؟".

فأخبرته بكل شيء.

الفصل
١١

فتحت عيني في الثالثة والربع صباحًا. ربما تسببت التوابل الحارة في البيتزا في الكابوس الذي أفزعني، وربما شعرت بأن جو كان مستلقيًا إلى جواري بعينين مفتوحتين.

في كلتا الحالتين، كنت أعرف أن هناك *خطبًا* ما.

استدرت جهة زوجي ووضعت يدي على كم منامته، وقلت:

"جو، هل أنت بخير؟".

تنهد بقوة كادت تحرك الستائر في الغرفة. كان هناك شيء يبقيه مستيقظًا، لكن ما هو؟ استرجعت بسرعة أمسيتنا في المنزل، وبغض النظر عن سؤاله عن يومه الذي أجاب عليه بأنه كان على ما يرام، فإن محادثاتنا كانت تدور حول قضيتي، عني *أنا* فقط.

أشعرني هذا بانزعاج شديد.

هززت ذراعه قليلًا.

"جو، ماذا يحدث؟".

قال: "لم أقصد أن أوقظك".

"لم توقظني. ما المشكلة؟".

تنهد جو مرة أخرى، ثم عدّل الوسائد والغطاء، وشرب بعض الماء. وقال أخيرا: "الملعون بروكس فيندلاي. لقد استغنى عن خدماتي، وأنا لم أكن أتوقع *هذا* أبدًا".

قلت له: "*ماذا؟ لكن لماذا؟*".

"لم يعطني تفسيرًا حقيقيًا. يقول: تغيير في التوجهات، وما إلى ذلك. كانت مبررات كاذبة. كل ما قاله ببساطة هو: لم تعد معنا. سنرسل لك شيكًا بباقي حسابك في البريد".

صُدمت من الخبر، ولم تقل صدمتي بالخبر عن صدمتي بمدى البرود الذي آذى به فيندلاي زوجي. ولا يرجع هذا إلى أن ما يؤلم جو يؤلمني فحسب، بل كانت صدمتي كبيرة لأن جو كان نائب مدير الأمن الداخلي. إنه شخص واسع المعرفة، مهذب، ومؤهلاته أكثر من أن تُعد، وهو متخصص في سلطات الموانئ.

أما بروكس فيندلاي، فقد انتقل من كلية إدارة الأعمال إلى وظيفة مكتبية في لوس أنجلوس. وفي رأيي، كان توظيف جو هو أهم حدث في مسيرة فيندلاي المهنية. ربما لم يعجبه البقاء في ظل جو.

قلت: "لا أستطيع تصديق هذا يا جو. ألم تكن لديك أية فكرة عن الأمر؟".

"مطلقًا. إذا كنت قد فشلت في مهمة ما، كان فيندلاي سيخبرني بكل سعادة فيم فشلت ومتى وكيف. لذا يجب أن يكون السبب أنني لا أعجب فيندلاي، أو لا أعجب شخصًا يعلوه في المرتبة. هذا شنيع حقًا. لكن لا يهم".

سألته: "ولماذا؟".

أجابني: "لأنني لست على استعداد للتقاعد. سأحصل على وظيفة أفضل. ولكن لا بد لي من إغلاق الباب بالشكل الصحيح قبل فتح الباب التالي".

التقط جو هاتفه وضغط على بضعة مفاتيح.

يا إلهي. كانت الساعة الثالثة والثلث صباحًا. سمعت صوتًا أجش على الخط الآخر من الهاتف. قال زوجي: "معك جو موليناري يا بروكس. اسمع، لقد قطعت الاتصال هذا الصباح، فلم تتسن لي فرصة لأخبرك. لقد توصلت إلى إنجاز مهم في المشروع. نعم. إنجاز مهم جدًا. مفتاح حل اللغز بأكمله. لكنك ذكرتني بأن لدينا اتفاقية بعدم الإفصاح، لذا حذفت عملي بأكمله. لا تقلق. لقد مسحت ما كان على الأسطوانة، والمعلومات غير قابلة للاسترداد. ولن يطلع عليها أحد مطلقًا".

أمكنني سماع احتجاج حاد عبر الهاتف، لكنني لم أتمكن من سماع ما يقال بوضوح.

"لا، لا. هـذا كل شـيء. أردت أن أخبـرك أنه لا داعـي للقلق. كأن الأمر لم يكن. نومًا هنيئًا".

أغلق جو الهاتف، وقال: "أيها الوغد".

علـت وجه جـو ابتسامة ماكـرة بينما كـان يقول: "كـان هذا رائعًـا". وبدأ يضحك، وفعلت مثله، ثم أغلق الهاتف واستلقى بجانبي.

تخيلـت فيندلاي وهو يلقي باللعنات، محاولًا معاودة الاتصال، فلا يجيبه إلا البريد الصوتي، ولا يصل إلى شيء.

غفـوت بين ذراعي زوجي، وعندما استيقظت، كان جو في المطبخ مع جولي ومارثا، يحضّر فطائر التفاح.

لقد كانت بداية لذيذة لما اتضح فيما بعد أنه يوم صعب للغاية.

الفصل 12

كانت يوكي تعاني صراعًا داخليًا شديدًا بينما أوقفت سيارتها في موقف السيارات الخاص بمتنزه فورت ماسون. كانت لديها مقابلة عمل مع رابطة الدفاع في العاشرة، وعلى الرغم من أنهم هم من اتصلوا *بها*، فإنها كانت تشعر بالغثيان منذ وافقت على التحدث معهم.

كان السبب الرئيسي وراء هذا الغثيان هو أنها تحب عملها وتقدر رئيسها، ليونارد باريزي أو كما يلقبونه "ريد دوج"، والذي كان أكبر داعم لها. إنها لم تخبره هو أو أي شخص آخر في المكتب بأنها تفكر في وظيفة بديلة. لذا فإن هذه المقابلة أشعرتها بأنها كانت مخادعة.

ما زاد الطين بلة هو أنها لم تخبر برادي عن هذا أيضًا. كان زوجها رجلا حاسمًا ومتعنتًا، ما جعلها ترغب في أن تحدد رأيها قبل أن يمنحها برادي رأيه. كانت متأكدة أنه سيقول: "لا تقبلي بهذه الوظيفة".

حدقت يوكي في المشهد البانورامي المذهل، حيث يمتد الجسر عبر الخليج المتلألئ. أغلقت باب سيارتها وعبرت ساحة انتظار السيارات متوجهة إلى رصيف يمتد إلى جانب إحدى ثكنات الحصن السابق. مرت بعدّة أبواب بنية صدئة متماثلة قبل أن ترى الباب الذي يحمل لافتة "رابطة الدفاع".

دلفت يوكي إلى المكتب، وأعطت اسمها للشابة الجالسة خلف المكتب الخشبي البسيط، ثم التقطت حبة من سكاكر النعناع الموضوعة في طبق أمامها، وجلست على واحد من ستة كراسي خشبية متطابقة. فيما عدا موظفة الاستقبال، كانت يوكي الشخص الوحيد في تلك الحجرة الصغيرة، بسيطة الأثاث، والتي تكاد تكون متهالكة.

لم تستطع منع نفسها من مقارنة هذا المكان النائي وغير المألوف بمكتب المدعي العام بمقر قيادة الشرطة. هناك، كانت واحدة من مئات القانونيين والشرطيين الذين يعملون بجهد جهيد على القضايا الجنائية طوال اليوم، وفي معظم الليالي وخلال عطلات نهاية الأسبوع أيضًا. كان مكتب المدعي العام يشعرها بالنشاط، والتحدي، ويضعها في قلب نظام العدالة في سان فرانسيسكو، حيث بدأتْ أخيرًا تظهر تَميُّزها.

جعلها التفكير في كل هذا تتساءل مجددًا عما كانت تفعله *هنا*. لكنها كانت تعرف.

الشيء الوحيد الذي أرق ضميرها هو وعيها المتزايد بأن من يملكون المال يحصلون على تمثيل أفضل بكثير في المحاكم ممن لا يملكونه – أفضل بما لا يقاس. بصورة شبه يومية، يخرج شخص مسكين من السجن بعد قضائه عشرين عامًا بأكملها هناك، بسبب أن من دافع عنه كان محاميًا مبتدئًا متخومًا بالعمل، ثم تظهر أدلة جديدة توضح أن الحمض النووي يثبت أنه غير مذنب.

لم تستطع يوكي أن تتجاهل شعورها بأن العدالة ذات الوجهين لم تكن *عادلة* فعلًا.

لقد فكرت كثيرًا في أنه ربما كان عليها أن تفعل شيئًا حيال هذا الظلم، ثم تلقت مكالمة الأسبوع الماضي من زاك جوردان من رابطة الدفاع.

قال جوردان: "لقد سمعت أنكِ امرأة مقاتلة يا سيدة كاستيلانو. أعتقد أن علينا أن نتحدث".

كانت الساعة العاشرة إلا عشر دقائق، واستغلت يوكي تلك الدقائق القليلة من الصمت المطبق في مراجعة ما عرفته عن هذه المؤسسة غير الربحية

التــي يرعاها أحد كبار المحسنين ممن يفضــل إبقاء إسهاماته سرية. وتذكرت الحكمة التي سارت عليها عندما كانت تبحث عن وظيفتها الأولى.

احصلي على العرض الوظيفي. ويمكنكِ دائمًا رفضه في النهاية.

رن الهاتف في مكتب الاستقبال.

أجابتــه الموظفة الشابة، ثــم تطلعت إلى يوكي وقالــت: "سيدة كاستيلانو؟ يمكنني اصطحابكِ لرؤية السيد جوردان الآن".

دقت ساعة الجدّ.



الفصل 13

كوَّنت يوكي انطباعها عن السيد جوردان ذي الشعر الطويل لحظة أن نهض عن كرسيه للترحيب بها. كان في أواخر العشرينيات من عمره، يرتدي سترة قطنية بلون البيج وبنطالاً من الجينز، ويزين إصبعه خاتم زواج. وعلى الحائط علقت شهادته في القانون التي حصل عليها من جامعة هارفارد، وإن لم يكن بشكل بارز؛ فقد كانت شبه مخبأة خلف مشجب القبعات.

بدا لها من أول وهلة شابًّا ليبراليًّا صالحًا. وأعجبت به يوكي على الفور.

كانت قبضة يده قوية بينما كان يصافحها، وتبادل الاثنان التحية، ثم قال السيد جوردان: "من فضلكِ ناديني زاك. شكرًا على حضورِك. تفضلي بالجلوس".

قالت يوكي: "إنني لم أجر مقابلة منذ وقت طويل يا زاك. لكنني أعرف رابطة الدفاع وما تفعلونه هنا. لقد أثرتم اهتمامي في الواقع".

"هل أنت مهتمة بالعمل ساعات طويلة بأجر منخفض في مكتب متهالك؟ لأنني دائمًا أجد ذلك عامل جذب لا يقاوم".

ضحكت يوكي وقالت: "في الواقع، تقدم وظيفتي الحالية بعض هذه المزايا"

ابتسم جوردان قائلًا: "لدينا عدد قليل من الامتيازات سأخبرك عنها في وقت آخر، ولكن دعينا نتحدث عنكِ أولًا. لقد قرأت سيرتكِ الذاتية، ولديَّ بعض الأسئلة".

قالت يوكي: "حسنًا، تفضل".

وهنا، انتهى المزاح وبدأت المقابلة *الحقيقية*. سأل زاك جوردان عن عملها الأول كمحامية شركات وأسباب انتقالها للعمل في مكتب المدعي العام. ثم بدأ بالتقصي عن القضايا التي كانت تعمل عليها منذ بداية عملها في مكتب المدعي العام.

لقد خسرت يوكي معظم القضايا التي عملت عليها في السنوات الثلاث الأولى هناك، وبدا أن زاك جوردان يعرف كل قضية، وكأنه كان متواجدًا معها في قاعة المحكمة. استجوبها بشأن كل مرافعة افتتاحية ضعيفة، وكل فرصة ضائعة، وكل مرة كان محامي الخصم يدحض حججها بخبرته الأكبر.

حسنًا، لقد هُزمت في العديد من القضايا. ولكن كانت هناك عوامل مساهمة: خطأ في عمل الشرطة، أو تغيير شاهدة لشهادتها، أو انتحار المتهم قبل تقديمها لمرافعتها الختامية. لقد جعلتها الأحكام المضادة المحبطة "بالبراءة" أكثر تصميمًا على رفع مستواها وتعزيز قدراتها، وهو ما قامت به.

في تلك الأثناء، جلست هناك، مضطرة إلى الدفاع عن معدل فوزها بالقضايا مقارنة بمعدل خسارتها أمام شخص لا تعرفه، شخص قد يمنحها أو لا يمنحها وظيفة لا تريدها بالضرورة.

عندما بدأ جوردان الحديث عن قضية عبَّارة *ديل نورتي* الشهيرة، والتي قتل فيها المدعى عليه أربعة أشخاص رميًا بالرصاص، ثم قررت المحكمة أنه غير مذنب بسبب جنونه، كانت يوكي قد نالت كفايتها.

لقد ثبت بالقانون أن القاتل *كان* مجنونًا.

ولكنها كانت مضطرة لمحاكمته على عدد من قضايا القتل. لقد كانت تلك وظيفتها.

أجبرت يوكي نفسها على الابتسام، وقالت للرجل البارع الجالس أمامها: "يا إلهي! رويدك يا زاك. لطالما بذلت قصارى جهدي، كما أنني ترقيت عدة مرات. أنا حقًا لا أفهم لماذا طلبت رؤيتي. هل أحضرتني فقط لكي تتمكن من استجوابي ومضايقتي؟".

أجابها: "لا، مطلقًا. كنت بحاجة لسماع رأيكِ في هذه القضايا لأننا دائمًا المستضعفون. كيف تشعرين حيال الدفاع عن الفقراء، والبائسين، واليائسين؟".

قالــت يوكــي: "لا أعــرف"، متخلية عن خطتهــا في الحصــول على العرض الوظيفي، لأنها إن لم ترغب فيه، يمكنها رفضه بسهولة.

قــال زاك بينما ناولها ملفًــا: "أخبريني إذا ما كان هذا يهمك يا يوكي. لديَّ قضيــة بحاجة ماســة إلى العمل عليهــا. الضحية ألقي القبضــ عليه خارج وكر مخدرات حيث تــم إطلاق النار على بعض تجــار المخدرات. كان يركض وبيده مسدس. كــان لدى الشرطة سبب معقول لاعتقاله، ولكن الولد كان في الخامسة عشــرة مــن عمره وكــان معــدل ذكائــه منخفضًــا، ولسبب مــا لم يكــن والداه معه. وعلــى الرغم مــن أنه أكد أنه وجد السلاح فقط، وأنه لم يكن ملكه، أجبره رجال الشرطة على التنازل عن حقوقه، وضغطوا عليه حتى قدم اعترافًا.

بينمــا كان هذا الساذج المسكين ينتظــر المحاكمة، وبعد أسبوع تقريبًا من اعتقاله، قُتل في السجن. ربما كان سيثبت براءته إذا قدم للمحاكمة. وأنا أعتقد أنه كــان بريئًا حقًّا. أعتقد أنه كان ضحية رجال الشرطة الذين استجوبوه، وأنه مــا كان ينبغــي أن يسجن مطلقًا. علــيَّ أن أطلب منكِ شيئًا يــا يوكي. فكري في هــذا الأمر الليلة، واكتشفي كيف ستشعرين غدًا صباحًا. أنتِ خياري الأول لهذا المنصــب، لكني سأتحدث إلى شخص غيركِ أيضًا. عليَّ أن أعين شخصًا على الفور. اتصلي بي أيًّا كان ردكِ، اتفقنا؟".

الفصل 14

كانت يوكي ترقد في سريرها مستيقظة منذ أن استيقظ برادي في الرابعة وبدأ في الاصطدام بالأشياء من حوله بينما كان يحاول ارتداء ملابسه في الظلام.

قالت: "يمكنك إشعال الضوء".

قال: "لا داعي. إنه جوربي. لا أستطيع أن أحدد إذا ما كان أزرق أم أسود حتى عندما يكون الضوء مشتعلا".

ثم جاء إلى السرير، وجلس على حافته، ثم قبل زوجته، التي سألته قائلة: "ما سبب استيقاظك؟".

"انفجار في معمل للمخدرات. عودي إلى النوم. سأتصل بكِ لاحقًا".

فكرت يوكي: *لاحقًا قد تعني متأخرًا جدًا*. كان زوجها يفحص مسدسه، ويثبّت حزام المسدس على كتفه.

"برادي؟".

"نعم".

"تعال لحظة".

عاد إلى السرير ووقف جوارها في الظلام، بينما يغلق سحاب سترته الواقية.

قالت: "عليَّ أن أخبرك بأمر مهم. سأترك مكتب المدعي العام".

"ماذا؟ عم تتحدثين يا يوكي؟"

"لديَّ عرض عمل في مؤسسة غير ربحية. إنها رابطة الدفاع. الوظيفة بها مزايا رائعة، وسأحصل على نفس الراتب، لا تقلق. الفارق أنني هناك سأستطيع الدفاع عمن لا يحصلون على تمثيل قانوني مناسب. لديهم بالفعل قضية لي لأعمل عليها".

قال برادي: "هل يمكننا التحدث عن هذا لاحقًا؟"، ثم انتزع هاتفه من الشاحن ووضعه في جيبه.

قالت: "بالتأكيد. يمكننا التحدث عن ذلك. لكن عليَّ إعطاء رابطة الدفاع ردِّي".

"اليوم؟".

"نعم. ويجب أن أخبر باريزي قبل أن أعطيهم موافقتي. إنه سيغادر المدينة في نهاية اليوم".

أخرج برادي محفظته من الخزانة ووضعها في جيبه الخلفي. كانت حركاته عصبية للغاية. فهمت يوكي لغة جسده؛ إنه يفكر في شيء لا يعجبه حقًا. واكتشفت أن التوقيت الذي اختارته كان سيئًا للغاية.

قال لها: "يبدو لي أنكِ قررت بالفعل".

"لقد كان الأمر مفاجئًا. التقيت المدير بالأمس فقط، وطلب ردي خلال يوم واحد".

قال: "شكرًا لثقتكِ بي".

يوكي تثق ببرادي وتأتمنه على حياتها، ولكن لا يتعلق هذا الأمر بثقتها بزوجها.

بعد مرور خمس ثوانٍ من الصمت، قال أخيرًا: "حسنًا. أعتقد أن عليكِ أن تفعلي ما تريدينه. آمل أن تنجحي في مسعاك".

"برادي؟ من فضلك لا تتصرف هكذا".

"إنهم ينتظرونني يا عزيزتي. سأراكِ لاحقًا".

استمعت إليه بينما كان يغادر - ويغلق الباب بقوة. سمعت الباب ينغلق، وتردد صوت أمها الراحلة داخل رأسها.

لقد آذيت كبرياء زوجكِ يا يوكي. لماذا لم تسأليه عما إذا كان يوافق على هذه الخطوة؟

لم تكن مضطرة للرد على والدتها. شعرت بالتمرد. إنها تعلم تمام العلم أن برادي كان سيضغط عليها كيلا تقبل الوظيفة، وكانت لديه أسباب وجيهة. كان سيقول إن الأفضل بالنسبة لها أن تعمل في مقر قيادة الشرطة، وبالتالي تبقى قريبة منه.

ولأنه يعمل شرطيًّا منذ زمن طويل، فإنه كان سيخبرها بكل أناة بأن الأفضل بالنسبة لها أن تعمل في وظيفة حكومية آمنة، حيث ستظل ترقياتها مستمرة، وسمعتها تتوطد عامًا بعد عام، بالإضافة إلى خطة معاشات تقاعدية مضمونة. كان سيقول إن ساعات عملها قد تكون طويلة لكن متوقعة، وأنه لن يتوقف عن القلق إذا اضطرها عملها الجديد إلى ارتياد الأحياء الخطرة.

وسيكون مصيبًا في كل هذه النقاط.

لكنه سيكون مخطئًا أيضًا.

الأمان مطلوب، لكنها لديها أفكار أخرى بخصوص حياتها وقدراتها. لقد أرادت أن تقوم بعمل يشعرها بالرضا عن نفسها.

تطلعت يوكي إلى الساعة، ثم أعادت قناع النوم فوق عينيها.

حاولت العودة إلى النوم، ولكن ذلك كان مستحيلًا.

فبغضّ النظر عن موقف زوجها، لم تستطع أن تتحمل التفكير في ردة فعل رئيسها في العمل. الأمر لن يكون سهلًا.

لكن عليها أن تنتهي من هذه المسألة.

الفصل 15

رأت يوكي أن باب مكتب ليونارد باريزي كان مفتوحًا، وأنه كان بالفعل في مكتبه. كان المكتب يطل من نافذة عريضة على مشهد غير جذاب لحركة المرور بالخارج، وعلى بعض واجهات الشركات ذات الإيجار المنخفض المنتشرة في شارع براينت.

كانت مساعدة باريزي بعيدة عن موقعها، لذلك طرقت يوكي إطار باب مكتب رئيسها. تبسم باريزي لرؤيتها وأشار لها بأن، تدخل، مشيرًا إلى الهاتف على أذنه.

دخلت يوكي وأغلقت الباب خلفها، واختارت المقعد الجلدي المقابل له. وحدقت في الجدار خلفه، والذي علق عليه رسمًا كاريكاتوريًا لكلب ضخم أحمر اللون يمسك عظمة بين فكيه.

فكرت فيما ستقوله له. كانت تعرف أن الأمر بطريقة ما كان بأهمية مرافعة افتتاحية أمام هيئة المحلفين. كان لين – كما كانت تسميه – على هذا القدر من الأهمية في حياتها، لكنها عرفت أنها بمجرد أن تخبره، فمن المحتمل أن يسير الاجتماع بشكل سيئ، بناء على ما يقوله *لها*.

كان باريزي يتحدث إلى شاهد في قضية مهمة خضع حديثًا لعملية تحويل مجرى الشريان التاجي. تركت يوكي عقلها يشرد إلى أن أنهى باريزي المكالمة.

قال باريزي: "آسف يا يوكي. كان هذا جوش رينولدز. إنه ليس على ما يرام".

لقد تعرض باريزي نفسه لنوبة قلبية حادة قبل بضع سنوات. وكانت يوكي برفقته عندما حدث ذلك، وهي من طلبت له الإسعاف على وجه السرعة. فيما بعد، أعلن باريزي أنها هي من أنقذت حياته. لم يكن هذا صحيحًا، لكنها عرفت أن هذا هو شعوره.

لقد اعتبرها صديقة مقربة بكل تأكيد، وهذا هو السبب وراء الصعوبة البالغة في إخباره بأنها ستغادر.

سألها: "ماذا يدور في ذهنك؟ أهناك مشكلة يا يوكي؟".

أمسكت يوكي بحافة مكتبه وقالت: "لين، هناك عرض عمل أريد قبوله".

تبع كلماتها صمت ثقيل. سمعت يوكي صدى كلماتها يتردد في رأسها. كانت كلمات صادقة ومحترمة ومباشرة. ماذا سيفعل لين الآن؟

هل سيعانقها، أم سيخبرها أن تذهب إلى الجحيم؟

عاد بظهره فجأة إلى الوراء، ثم انحنى إلى الأمام، وأراح ساعديه على سطح المكتب ثم شبك يديه، ونظر في عينيها مباشرة، وقال: "يا إلهي! يا له من توقيت شنيع. أنتِ تعرفين أنني مسافر الليلة ولمدة أسبوع. ليس هناك ما يكفي من الوقت كي أحصل لكِ اليوم على عرض مقابل، لكنني سأحاول. أعطني بعض المعلومات. ما نوع العمل؟ ما الراتب المعروض عليك؟".

قالت: "هذا كرمٌ منك يا لين، لكنني لا أريد عرضًا مقابلًا، ولا أريد الذهاب أيضًا".

"حسنًا، لا تذهبي. حُلت المشكلة".

ابتسمت قائلة: "لكنني بحاجة للقيام بذلك. إنها رابطة الدفاع، وهناك قضية عاجلة أجد نفسي منجذبة لها. أعتقد أنني سأندم إذا ضيعت هذه الفرصة".

قال: "رابطة الدفاع. حقًّا؟ هل تفضلين الذهاب إلى منظمة غير ربحية على البقاء هنا؟ لقد اعتقدتُ أن أهدافنا واحدة في هذا المكتب. أنتِ تعملين على أفضل القضايا. إنني لم أجعلك تشرفين على قضية برينكلي فقط، بل وهيرمان أيضًا. لقد خضت صراعات شرسة كي أتمكن من القيام بهذا. أراد كل مساعد للمدعي العام في هذا المكتب الحصول على هذه القضية".

قالت: "أعلم يا لين، أعلم، ولا أريدك أن تظن أنني لست ممتنة".

"يوكي، سأحدثك بناء على تجربتي الشخصية. إن تجربة الاقتراب من الموت تغير المرء. أعلم أن هذا هو ما حدث لكِ. ما زلتِ تحاولين استيعاب أنك

أوشكتِ على الموت، وهذا صعب بالنسبة لفتاة في عمرك. سيتغير شعورك هذا في غضون ستة أشهر. أعدكِ. ارفضي العرض. دعيني أعمل على جعلها وظيفة أحلامك و...".

"لين، أنا مهتمة بقضيتي، قضية المراهق المقتول. لقد قبض عليه بالخطأ، وقُتل في أثناء انتظاره للمحاكمة. إن عائلته مدمرة، ومعهم كل الحق. رابطة الدفاع ستـ...".

كان باريزي يعرف بالفعل إلى أين كانت متجهة بخطابها. لقد شعرت بغيوم العاصفة الوشيكة تتجمع.

قال: "وهل ستقاضين المدينة؟ وشرطة سان فرانسيسكو؟ هل *ستقاضيننا* يا يوكي؟".

"هذا هو التصرف الصحيح".

قال باريزي: "*أسمعكِ*، لكن لا أفهمكِ".

تبدَّت نظرة غضب على وجه صديقها. إنها نظرة رأتها من قبل، لكنها هذه المرة موجهة لها.

اهتز مقعد باريزي الجلدي مصدرًا صوتًا مزعجًا عندما نهض من فوقه في غضب، ثم عبر الغرفة وفتح الباب على مصراعيه.

قال باريزي: "سيجلب لكِ قسم الموارد البشرية بعض الصناديق الفارغة لوضع أشيائكِ، وسيصطحبكِ أحدهم إلى الخارج. ستسلِّمين بطاقتكِ، حاسبكِ المحمول، ومفاتيحكِ على الفور. سأطلب من الحسابات تجهيز الشيك الخاص بكِ".

"لين، أنا مدينة لك. أنا أعرف كم ...".

قال: "وفري كلامكِ. سأراكِ في المحكمة. وأنا أعني *أنني* من سيقف أمامك هناك، شخصيًا".

عاد إلى مقعده وأمسك الهاتف، وضغط على بعض الأرقام، ثم استدار بمقعده بحيث صار ظهره لها، وقال "ميشيل، معك باريزي". كانت ميشيل فورست هي رئيسة قسم الموارد البشرية. غادرت يوكي مكتب باريزي، وذهبت مذهولة إلى مكتبها.

لم تكن تنوي تدمير حياتها. لقد أرادت وظيفة مختلفة فحسب. والآن زوجها مستـاء منهـا، ولين يهدد بتدميرهـا في المحكمة. وهي لم تخبـر زاك جوردان حتى أنها قبلت الوظيفة.

حسنًا، سوف تقبل الوظيفة، وستحصل على تعويض لعائلة كورديل عن وفاة ارون-ري.

ليس هناك مجال للتراجع الآن.

الفصل 16

كنت مستغرقة تمامًا في التفكير في تينا ستريشلير وأنا في طريقي إلى العمل في ذلك الصباح، فبالأمس شُقَّ جسد المرأة المسكينة بشفرة طويلة حادة. أشعر بارتباط شخصي بهذه الجريمة الشريرة، ولم أتمكن من التخلص من الشعور بأن هناك علاقة بينها وبين ما حدث للمرأتين الأخريين اللتين قُتلتا طعنًا بالسكين في الثاني عشر من مايو. السيدات الثلاث قتلن على مدار ثلاث سنوات متتالية.

يتمتع برادي بعقلية استقصائية مدققة، وكنت تواقة لمعرفة رأيه حول هذا الأمر.

دلفـت من البوابة متجهة لغرفة القـوات، ورأيت برادي في غرفته الصغيرة ذات الجدران الزجاجية في الجزء الخلفي من المخفر. كان على مكتبه، يرتدي قميصًا أزرق يبرز عضلات صدره وذراعيه البارزتين. أما شعره الأشقر الفاتح فقد كان معقودًا على هيئة ذيل حصان قصير، كاشفًا عن جزء مفقود من أذنه اليسـرى. كان هذا بسبب تعرضـه لطلق ناري خلال معركة شرسة تصرف فيها ببطولة وأنقذ الكثير من الأرواح.

إلا أن تركيزه بالكامل الآن كان على حاسبه.

حييت برنـدا، ولوحت للزملاء من المناوبة النهاريـة الذين رفعوا رءوسهم بينمـا كنت أمرُّ من أمامهم، ثم طرقت باب برادي. أشار لي بالدخول، فجلست أمامه وقلت:

"بشأن جريمة الأمس في بالمي آلي...".

قاطعني قائلًا: "نعم، مايكلز ووانج يعملان عليها".

"أعلم، لكن هناك شيئًا مألوفًا في هذه الجريمة...".

قال: "أخبري مايكلز. يتصل جاكوبي ثلاث مرات يوميًا بشأن عصابة سترات الشرطة. أنا قلق على جاكوبي. أعلم أنه لا يريد أن يتقاعد وهو يحمل وزر عدم القبض على هؤلاء الأوغاد. والأسوأ أن نحمل نحن وزر تلك القضية بعد أن فاحت رائحة القصة ووصلت للصحافة. تنهمر عليَّ الأسئلة من العديد من الصحف ومراسلي التليفزيون، بالإضافة إلى رسائل إلكترونية لا تنتهي من المواطنين القلقين".

وأشار بيده إلى حاسبه.

قلت: "أفهم هذا أيها الملازم. نحن نعمل على هذا بالفعل".

حدق في وجهي بعينيه الزرقاوين وقال: "حسنًا. أخبريني بالمستجدات".

لخصتُ مقطع الفيديو الأول للعصابة في المتجر الإسباني، وأخبرته أن الجودة كانت أسوأ من المقطع الخاص بمكتب صرافة الشيكات، لكننا مع ذلك تمكنّا من رؤية ثلاثة رجال يرتدون سترات شرطة سان فرانسيسكو ويحملون الأسلحة النارية.

ثم قلت: "استغرق السطو حوالي خمس دقائق من البداية إلى النهاية؛ وقد سرقوا حوالي عشرين ألفًا. استجوب الرقيب بيكلني صاحب المتجر الذي قال إن رجال عصابة سترات الشرطة حبسوهم في الغرفة الخلفية ثم أطلقوا النار على درج النقود وفتحوه. لقد تحدثوا بالكاد، ولم يصب أحد".

سألني: "هل تركوا أي دليل خلفهم؟".

"كلا، مطلقًا. لقد أخذوا فوارغ الطلقات، وكانوا يرتدون قفازات. سنفحص أنا وكونكلين مكتب صرافة الشيكات الذي سُرق الليلة الماضية، وقُتل مالكه، وسنستجوب الناجي مجددًا".

"حسنا. عودي إليَّ *بأي* جديد، اتفقنا؟".

هكذا أنهى برادي المقابلة. تركته منكبًا على حاسبه، وذهبت لألتقي كونكلين في موقف السيارات في براينت.

كنا متحمسين للغاية لمقابلة بن فييرا، الشاب الذي كان يعمل في مكتب صرافة الشيكات الذي قتل صاحبه رميًا بالرصاص.

لحسن الحظ، عاش الصبي ليقص علينا ما حدث.

الفصل 17

بحذر بالغ، فتح بن فييرا بضعة سنتيمترات من باب شقته بطول السلسلة المثبتة بالمزلاج. طلب الناجي من حادث السرقة والقتل بمكتب صرافة الشيكات والشاهد الوحيد عليه رؤية شارة كل منا، ففعلنا. ثم سأل عن اسمينا، ولكن بعد أن أخبرناه، أغلق الباب في وجهينا.

سمعت صوته يتحدث على الهاتف. تحدث واستمع لبضع دقائق.

ثم فتح الباب مجددًا، وإن كانت الفتحة واسعة بما يكفي هذه المرة للسماح لنا بالدخول. كان فييرا متوسط الطول والبنية، يرتدي سروالًا قصيرًا مخططًا باللون الأخضر وقميصًا يحمل شعار فريق نيويورك جاينتس. قال بينما ندخل: "اتصلت بالشرطة ... للتأكد من هويتيكما".

رد كونكلين: "حسنًا، نتفهم الأمر".

كانت شقة من غرفة واحدة في شارع بوبلار، معتمة وفوضوية. تتناثر فيها علب البيتزا والصودا، وتملأ الأطباق المتسخة الحوض، والملابس المتسخة ملقاة على الأرض. طوى فييرا سريره الذي تحول إلى أريكة، وقدم لنا مقعدين، ثم جلس على مقعد جلدي مريح وأرجع ظهره إلى الخلف ثم قال:

"أنا أتعاطى عقار زانكس. لقد وصفه الطبيب لي. أنا أخبركما للعلم فقط".

قال كونكلين: "حسنًا".

أكمل فيبرا ناظرًا إلى السقف: "لقد تحدثت بالفعل إلى الشرطة ليلة حدوث... ما حدث".

قال كونكلين: "أعلم أن هذا صعب يا بن. لقد أخبرتهم بما حدث. والآن نريد منك أن تفعل ذلك مرة أخرى. ربما تتذكر بعض التفاصيل الجديدة. نحن ليس لدينا أي دليل على هوية هؤلاء الرجال. إنهم *قتلة*. أنت رأيتهم، وعلينا أن نقبض عليهم".

تنهد فيبرا بعمق قبل أن يصف عملية السطو وإطلاق النار، والتي من الواضح أنها أصابته بصدمة شديدة.

"كما قلت، كان هناك ثلاثة منهم. كانوا يرتدون سترات الشرطة، وأقنعة من اللاتكس. لقد دخلوا بسرعة. صوب أحدهم علينا عبر شباك الصرافة المصنوع من الزجاج الصناعي، وفتح آخر باب غرفة الأمن. ثم قال أحدهم للسيد دياز: "أعطونا المال ولن يتأذى أحد"

استمر الشاب في حديثه وذكر أن رئيسه كان يحمل مسدسًا لكنه لم يطلق منه النار. من أطلق النار كان أحد اللصوص المقنعين، وذلك على ذراع دياز الأيمن. الثاني أمسك بعنق فيبرا، وصوب مسدسًا جهة رأسه، وأمره بفتح الخزانة. أخبرهم فيبرا أن الخزانة كانت في الطابق الأرضي وأنه لم يكن يعرف الرقم السري وقال: "أقسم لكما بشرفي".

طوال رواية فيبرا لهذه القصة، لم تتغير نبرته، إلا أنه كانت هناك هزة في صوته، وكنت أشعر برعبه الذي يختبئ خلف تأثير المهدئ.

أكمل قائلًا: "كان السيد دياز يتدحرج على الأرض ويصرخ، لكنه لم يخبرهم بالرقم السري رغم ذلك. بعدها أطلقوا النار على ركبته. يا إلهي، كان أمرًا بشعًا. وهنا أخبرهم السيد دياز بالرقم السري وهو يصرخ من الألم.

فتحتُ الخزانة وأخذوا منها المال وغادروا. اعتقدت أن السيد دياز سيعيش. كان دائمًا طيبًا معي. أنا لا أعرف لماذا ظللت أنا على قيد الحياة".

تناوبنا أنا وكونكلين طرح هذه الأسئلة: *هل لاحظت أي شيء غير عادي في هؤلاء الرجال؟ هل تعرفت على صوت أحدهم؟ هل بدا أي منهم مألوفًا لك؟ هل من المحتمل أن يكون أحدهم قد زار المكان من قبل؟ هل أزال أحدهم قفازيه أو قناعه؟ هل قام أي من الرجال بمخاطبة رفيق له بالاسم؟*

أجاب: "ربما نادى أحدهم الآخر باسم خوان".

لم تكن بالمعلومة المهمة، ولكننا سجلناها على أية حال.

أعطيت فيرا بطاقتي وأخبرته أن يتصل بي ليلًا أو نهارًا إذا تذكر أي شيء آخر.

وقال: "سأفعل. يعلم الله أنني لا أستطيع النوم ولا أستطيع أن أنسى".

اصطحبنا إلى الباب، وبمجرد أن أغلقه خلفنا، سمعت صوت القفل والسلسلة.

كانت محطتنا التالية هي مكتب صرافة الشيكات الذي يحمل اسم: بايداي لونز لتسييل وصرف الشيكات.

كان فريق التحقيق في موقع الجريمة ينهي عمله تقريبًا، واصطحبتنا المحققة جينيفر نوينهوف. أرتنا المحققة المكان الذي ركل فيه اللصوص الباب في الجزء الخلفي من المتجر. وأرتنا بقعة الدم الهائلة في المكان الذي نزف فيه السيد خوسيه دياز حتى الموت. نظرنا إلى الخزانة المفتوحة في الطابق الأرضي، وكان الأمر يشبه النظر إلى قبر مفتوح.

قالت نوينهوف ساخرة: "ربما لا يزيد عدد البصمات هنا عن ثلاثين مليون بصمة. لن نستغرق أكثر من قرن كي نعرف هوية أصحابها".

قال كونكلين: "وفري الوقت على نفسكِ يا نوينهوف. لقد قال الشاهد إن القتلة كانوا يرتدون قفازات".

عندما عدنا إلى السيارة، اتصلت ببرادي وأخبرته بكل شيء عرفناه، وهي معلومات معظمها تقليدي ومماثلة لأي معلومات معتادة حول عمليات السرقة والقتل والخروج دون ترك دليل. قلت إننا سنتصل في غضون ساعتين.

"هناك مكان علينا زيارته أولا أيتها الملازمة. إنها مسألة شخصية".

عندما أنهيت مكالمتي مع برادي، خلعت ربطة شعري المطاطية، وهززت رأسي محاولة تفكيك خصلات شعري والتخلص من مزاجي العكر في الوقت نفسه. عدلت مرآة السيارة ووضعت القليل من ملمع الشفاه، وطليت رموشي بطبقة رقيقة من الماسكارا.

عندما صار وجهي مقبولًا، قلت لشريكي: "حسنًا. الآن يمكننا أن نبدأ أيها المفتش".

سألني: "هل ترغبين في تشغيل سارينة الشرطة؟".

أجبته: "قم بما عليك القيام به".

رفع يده بالتحية العسكرية، ما جعلني أضحك. وبعد قليل كنا نقف خارج مبنى العبَّارات.

الفصل 18

لم يكن مبنى العبّارات بسان فرانسيسكو مرسى للعبارات القادمة من وإلى ألاميدا وأوكلاند فقط؛ فساحة ذا جريت نيف المذهلة تتميز بسقف مقنطر يبلغ ارتفاعه أكثر من ستمائة قدم، وهي تضم برج ساعة، وتعتبر مركزًا حيويًّا للمطاعم والمحال التجارية والمكاتب وأسواق المزارعين النابضة بالحياة.

دخلت أنا وكونكلين المبنى من رصيف المرفأ الواسع الذي يبلغ عرضه ثلاثين قدمًا، ومررنا بالطاولات المليئة بأشخاص يتناولون وجبات غداء سريعة، قاصدين متجر ذا بوك باسيدج لبيع الكتب بنوافذه الزجاجية الممتدة من الأرض إلى السقف والتي تطل على خليج سان فرانسيسكو.

شققت أنا وشريكي طريقنا بين الروايات الجديدة المعروضة والأرفف الطويلة التي تحمل الكتب الأخرى، حتى وصلنا إلى القسم الخلفي من المتجر، حيث جلس تسعة أو عشرة أشخاص يستمعون إلى متحدثة تقف أمام منضدة قراءة.

كانت المتحدثة هي فتاتنا الصحفية سيندي توماس.

بدت رائعة كالعادة، بثوبها الكشمير الأزرق الناعم وأمشاط الزينة المتلألئة في شعرها الأشقر المجعد. كانت تتحدث عن كتابها الجديد وتوقفت للحظة عندما رأتنا، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة واستكملت الحديث بينما كنا نجلس.

قالت: "*فتاة فيش* هي القصة الحقيقية لقاتلين، رجل وامرأة: متحابين يرتكبان سلسلة من جرائم القتل. إذا كانت تذكركم بقصة بوني وكلايد، فأؤكد لكم أن هذين الزوجين مختلفان للغاية. لقد كانا مجنونين. أكثر *جنونًا* في الواقع. وأشد *خطورة*.

كان راندي فيش وماكينزي موراليس يقتلان بشكل منفصل، ولكنهما ينفذان جرائمهما كما لو كانا يعيشان داخل عقلي بعضهما البعض".

رفعت سيندي كتابها حتى يتمكن جمهورها من رؤية صورة الغلاف المشوشة للقاتلين وهما يسيران جنبًا إلى جنب، وهي الصورة الوحيدة المعروفة لفيش وموراليس معًا. ثم أخبرت جمهورها الصغير بأنها كمراسلة لجريدة *كرونيكل*، بدأت بتغطية قضية راندي فيش بعد أن أدين بقتل خمس نساء في سان فرانسيسكو وما حولها.

أكملت سيندي: "كان لـ فيش نوع مفضل من الضحايا. كانت ضحاياه فتيات جامعيات نحيلات داكنات الشعر، وكانت ماكينزي موراليس تنتمي إلى النوع الذي يحب فيش أن يعذبه ويقتله.

ولكن لسبب ما، لم يقتل فيش موراليس.

في الواقع، كان يحبها وكان اسمها يتردد على لسانه بينما يلفظ أنفاسه الأخيرة، كما كانت هي الأخرى تحبه".

ومضت سيندي تقول إنه بعد وفاة فيش بدأت في التحري عن ماكينزي موراليس، لاشتباههم في ارتكابها ثلاث جرائم قتل، ولكنها هربت من مقر احتجازها بالشرطة. وخلال هروبها، اتهمت بقتل العديد من النساء ممن ينتمين إلى النوع الذي كان يهوى راندي فيش تعذيبه وقتله.

قالت سيندي: "التقيت مرة واحدة بموراليس، وكانت لديَّ معلومات من مصدر خاص حول مكان وجودها المحتمل. فكرت أنه إذا كان بإمكاني توفير مكان آمن لها لتتحدث، فيمكنني حينها أن أرضي غرورها. كنت آمل أن تخبرني لماذا أصبح راندي فيش معلمها، وحبيبها، ووالد ابنها.

قد تبدو لكم مخاطرة، أليس كذلك؟ أو قد يبدو أنه من *الجنون* أن تطارد مراسلة قاتلة مضطربة نفسيًّا كي تكتب عنها قصة صحفية.

لكنني كنت مهووسة بهذا العالم. واعتقدت أن قصة فيش وموراليس يمكن أن تتحول إلى ملحمة خالدة عن الحب والجريمة. في أثناء إعداد الكتاب، أدركت

أننــا لا نحصل دائمًا على الإجابات التــي نبحث عنها، لكن الأجوبة التي نحصل عليها غالبًا ما تخبرنا بكل شيء. القصة بالكامل ستجدونها في هذا الكتاب".

لقــد فعلتها. حمَّست سيندي جمهورها الذي صفق بحماسة، وطرح الأسئلة، ثم اصطف أمام الطاولة كي يتسنى لسيندي التوقيع على نسخة لكل واحد منهم.

لم أستطع التوقف عن الابتسام. كنت فخورة جدًا بها.

وقفــت بجوار الطاولة، وسمعت كونكلين يقــول لسيندي: "وقعي هذا لي. ولا تبخلي بإهداء مميز. ووقعي هذا أيضًا ... لوالدتي".

ضحكت سيندي وقالت: "بالتأكيد. كما تشاء أيها الوسيم".

كانــت سيندي وكونكلين علــى علاقة عاطفية لسنــوات، وإن كانت متقطعة، والآن، *عــادا لبعضهما* كما يبدو. تمنيت أن يستمــرا هذه المرة إلى الأبد. وقعت سيــندي الكتابيــن لرجلها ولمَن يحتمــل أن تصبح حماتهــا المستقبلية. عندما تنحى كونكلين جانبًا، طلبت من السيدة الواقفة خلفه أن تلتقط لنا صورة.

قالت: "بالتأكيد".

أعطيتهــا هاتفــي وجذبت شريكــي وصديقتــي العزيزة. كانــت سيندي في المنتصــف، ووضــع كل منا ذراعــه حولها، وابتسمنــا للكاميــرا. وأخذنا صورة إضافية.

قالت سيندي: "دعيني أر". التففنا حول تلك الوسيلة التكنولوجية الصغيرة التــي استولت على عقولنا جميعًا. كنا نبــدو سعداء في الصورة. كم مرة يحدث هــذا؟ كانــت هناك لافتــة معلقة خلف المنصــة، فوق رءوسنــا بالضبط، تقول: **المؤلفة سيندي توماس، اليوم.**

قالت سيندي: "رائع! هذا رائع للغاية. صورة مثالية ليوم مثالي".

الفصل 19

كان الرجل الذي سمى نفسه "واحد" يجلس في المقعد الخلفي للسيارة السيدان ذات الأبواب الأربعة، خلف السائق مباشرة. أما زميلاه الآخران فقد أطلق عليهما "اثنان" و"ثلاثة" لتجنب أي زلة لسان بالاسم الفعلي.

عرف "واحد" أن غباء البشر كان الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفسد هذا العمل. كل شيء آخر كان سهلًا. لم يكن هناك حراس أمن، أو كاميرا، وكان هناك الكثير من المال في الدرج وشخص واحد فقط في المتجر. على عكس البنوك، حيث يكون الأمن مشددًا ومتوسط المبلغ الذي يمكن سرقته لا يزيد على أربعة آلاف دولار، كانت مكاتب صرافة وتسييل الشيكات تحتوي عادةً على مبالغ تتراوح بين ٥٠ ألفًا و١٠٠ ألف. وبينما كانت المتاجر الإسبانية تحتوي على مبالغ أقل، كان المخزون النقدي بهذا المتجر خاصة أكبر بكثير باعتباره وكيلًا لـ ويسترن يونيون.

كان "واحد" ورفيقاه هادئين بينما كانوا يشاهدون الحركة الخفيفة للسيارات والمارة في هذا الجزء التجاري من شارع ساوث فان نيس. عندما أصبح "واحد" جاهزًا، استخدم هاتفًا غير مسجل للاتصال بالشرطة.

قال بنبرة ملحة: "قسم الشرطة؟ تعرض متجر الكحوليات في شارع جوليان *للسرقة*. لقد سمعت للتو صوت طلقات *رصاص* – الكثير منها. أرسلوا رجالكم على الفور".

أغلق الخط عندما طلبت عاملة الهاتف اسمه، لكنه عرف أنها ستبدأ الاتصالات اللاسلكية على الفور. هذا الإلهاء سيجذب أي سيارات شرطة تقوم بدوريات في هذا الحي وسترسلها إلى موقع يبعد بنصف ميل عن هدفهم الحقيقي.

على الجانب الآخر من الشارع، كانت الفتاة في المتجر الإسباني ساطع الإضاءة تقف خلف منضدة دفع الحساب، وتتسلم النقود من زبون مسن. بدت الفتاة لـ "واحد" في منتصف العشرينيات. كانت ترتدي سترة طويلة مفتوحة على ثوب بني واسع. عندما وضعت البقالة في حقيبة الزبون القماشية المخططة، تركت المنضدة واصطحبته إلى الباب الأمامي وهي تتفوه ببضع كلمات بالإسبانية بينما كانا يقفان على الرصيف.

ثم عادت إلى داخل المتجر، وأغلقت الباب الزجاجي، وأدارت اللافتة التي صارت تقول: **مغلق**. شاهدها "واحد" تسير إلى الجزء الخلفي من المتجر الطويل والضيق. وعندما أصبحت بعيدة عن الأنظار، قال "اثنان" : "إنها وحدها يا "واحد" . هل تريد مني البقاء في السيارة وتوفير بعض الوقت؟" .

سمع "واحد" صفارات الإنذار الآن، ورأى سيارات الدورية وسيارات الشرطة السرية وهي تتجه صوب شارع سيكستينث. لقد حان وقت الهجوم.

"نعم، فكرة جيدة. سيكون هذا أفضل" .

خرج "واحد" و"ثلاثة" من السيارة مرتديين سترتي شرطة سان فرانسيسكو، وحاملين قناعيهما في جيبيهما، وسلاحيهما في حزاميهما. استغرق الأمر منهما ثواني لعبور الطريق. وعندما وقفا في المدخل المظلم لمتجر البقالة الصغير، وضعا قناعيهما.

عدل "واحد" قبعته وطرق الباب ناظرًا لأسفل كي ترى الفتاة علامة شرطة سان فرانسيسكو على سترته البوليسية دون أن ترى وجهه المقنع.

وقف "ثلاثة" وظهره إلى المتجر ناظرًا إلى قدميه بينما كان ينتظر الباب ليفتح. فتحت الفتاة باب المتجر بصوت مسموع بينما رن الجرس المعلق فوق الباب.

هرع الرجلان سريعًا إلى المدخل. صرخت الفتاة، ولكن "واحد" أمسك ذراعها ودفعها للداخل مظهرًا سلاحه. رمى "ثلاثة" المفاتيح وأطفأ أنوار المدخل والجزء الأمامي من المتجر. صرخت الفتاة: "اخرجا من هنا، اخرجا!" . حررت ذراعها بعنف، واستدارت محاولة الهروب من الباب الخلفي.

صاح "واحد": "قفي والا سأطلق النار! أنا لا أمزح!".

توقفت الفتاة وصرخت: "لا تؤذياني! *أرجوكما!*".

رد واحد: "لا أحد يريد إيذاءكِ، يا آنستي. هذه هي الحقيقة. الآن ارفعي يديكِ، واستديري. نعم ... هكذا. اذهبي الآن إلى درج النقود وافتحيه. افعلي ذلك وكل شيء سيكون على ما يرام. فقط افعلي ما أقوله بالضبط".

رفعت الفتاة يديها في الهواء وقالت: "سأعطيكم المال. لا مشكلة". سارت إلى الدرج، ووقفت خلفه في مواجهة المسلحين، بينما كانت أرفف السجائر وغسول الفم ومزيلات العرق تبرز من خلفها.

تكلم "واحد" بهدوء ونعومة.

"هذا جيد. في غاية الذكاء. الآن يمكنكِ خفض ذراعيكِ وفتح الدرج. بعد دقيقة من الآن سنخرج من حياتكِ إلى الأبد".

ضغطت الفتاة على بضعة مفاتيح.

أصدرت ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية أزيزًا وانفتح الدرج بسرعة.

قال "ثلاثة": "أحسنتِ". ومال بجسده فوق منضدة الحساب بفرض أخذ المال من الدرج. لكنه لم يكن مستعدًا لمواجهة المسدس الذي سحبته الفتاة من جيب ثوبها البني الفضفاض.

الفصل 20

كان لمايا بيريز ابنان؛ أحدهما ينمو داخل جسدها، وعمره أربعة عشر أسبوعًا بالضبط، وأغلى شيء في عالمها. أما ابنها الآخر فكان هذا المتجر. لقد كان مملوكًا لوالدها، الذي وضع كل ما كان يملكه ويكسبه ليبقيه مفتوحًا، لإعالة أسرته ولرغبته في أن يترك لها إرثًا ذا قيمة عندما يرحل.

ولقد قضى السرطان عليه قبل شهر واحد.

لم يعش ريكاردو بيريز لرؤية حفيده، لكنه شعر بأن هذا الطفل كان نعمة كبرى، وترك لمايا أوراق ملكية المتجر الذي كان اسمه ميركادو دي مايا على اسمها.

وقد أحبت هذا المكان: كل لافتة مكتوبة بخط اليد، وكل رف صنعه والدها وعمها من بقايا الخشب. كانت تعرف مكان كل صندوق وزجاجة وعلبة. والآن لأنها حامل، ووحدها، كان المتجر هو طوق النجاة بالنسبة لها.

كانت قد انتقلت للعيش في الطابق العلوي بشقة والدها، وكانت تنوي إدارة هذا المكان وولادة طفلها هنا.

كان من المستحيل أن تسمح لأي شخص بأن يسرقه منها. هذا لا يمكن أن يحدث أبدًا.

وكان هناك شيء آخر.

عندما جاء الرجلان المرتديان سترتي الشرطة إلى المتجر، ظنت أنهما يرغبان في الحصول على معلومات حول عملية السطو التي حدثت الثلاثاء الماضي في مكتب صرافة الشيكات الذي يبعد عن متجرها بعدة مبانٍ. لكن عندما شاهدت الأقنعة والأسلحة، عرفت أنهما بمجرد أن يحصلا على المال، سيطلقان النار عليها.

مثلما فعلا مع خوسيه دياز.

شعرت مايا بأحاسيس في جسدها لم يسبق أن مرت بها: وخز، ودوار، وضربات قلب عنيفة للغاية. علمت أنها كانت ردة فعلها الجسدية خوفًا من الموت الوشيك. لم تكن هناك طريقة للهروب أو الاختباء، لكن ذهنها كان صافيًا وروحها مليئة بالعزيمة والتصميم، وقالت في نفسها، مستحيل *أن أسمح لهما بقتل طفلي*.

كانت تحتفظ بمسدس أبيها الصغير في جيبها. وعندما اقترب أحد الرجلين من الدرج لأخذ مالها، رأت فرصتها تسنح.

كان مسدسها مصوبًا نحو قلبه، وإصبعها على الزناد، وقالت بوضوح وحزم شديد: "ألق سلاحك".

لم تر مايا الرجل الثاني يتحرك تقريبًا. لقد كان سريعًا جدًا. هبطت يده بقوة على ذراعها، وخرجت من مسدسها طلقة، لكنها عرفت أن الطلقة أصابت الأرض.

بعدها شعرت بالرصاص يخترق جسدها وأظلم كل شيء حولها فجأة.

الفصل
21

كانت الساعة قد تخطت الثامنة مساءً عندما غادرت أنا وكونكلين مقر قيادة الشرطـة، منهكين تمامًا. اصطحبنـي شريكي إلى سيارتي التي كانت في ساحة انتظار السيارات في شارع هاريت. كنا ندردش باسترخاء عمن كان دوره لجلب وجبة الإفطار في الصباح، ثم ودعته قائلة: "سأراك غدًا إذن".

فتحـت زجاج نافـذة السيـارة وأدرت المحرك وكنت علـى وشك الانطلاق عندمـا طلبني بـرادي على الهاتـف. ضربت بيدي علـى النافـذة، وأشرت إلى ريتشي بالبقاء.

بدا برادي منفعلًا وهو يقول:

"بوكسـر، أبلـغ مجهول عن إطلاق نار قادم مـن متجر ميركادو دي مايا بشـارع ساوث فان نيس. لقد رأى رجلـي شرطة يخرجان من المتجر مسرعين. تبدو عملية سطو جديدة لعصابة سترات الشرطة. تحققا من الأمر".

أعطاني العنوان وقلت: "نحن في طريقنا".

كان ريتش لا يزال واقفًا بجانب سيارتي.

قال: "في طريقنا إلى أين؟".

توجهت بسيارتي نحو ساوث فان نيس، وشغلت صفارة إنذار الشرطة وأضواءها بالكامـل، بينما اتصل ريتش بـ جو وسينـدي لإخبارهما بأننا سنغير وجهتنا. في

غضون خمس دقائق كنت أوقف سيارتي بجوار رصيف يبعد نحو عشرين ياردة عن متجر صغير علقت على نافذته لافتة مكتوب عليها "ميركادو دي مايا".

توقفت سيارة شرطة وراءنا. خرجت من سيارتي وطلبت من الشرطيين أن يستكشفا الجزء الخلفي من المتجر. ثم تقدمت أنا وكونكلين نحو المدخل الأمامي لمتجر البقالة الصغير.

هذه دائمًا هي أسوأ لحظة، تلك التي لا تعرف فيها إذا ما كان مسرح الجريمة لا يزال ساخنًا، إذا ما كانت هناك رصاصات ستنطلق، وإذا ما كان الضحايا يُستخدمون كدروع بشرية.

كان الباب الأمامي للمتجر مفتوحًا على مصراعيه بينما كنت أقترب أنا وشريكي ممسكين بسلاحينا. كان مقبض الباب سليمًا، والأنوار مطفأة بالداخل. لكن رائحة الرصاص تملأ الأجواء.

ناديت في المدخل: "شرطة. لا يتحرك أحد".

سمعت أنينًا ثم صوت امرأة تقول: "هنا".

دخلنا المتجر. أشعل كونكلين الضوء وحَمى ظهري بينما تتبعت الصوت وصولًا إلى أرضية المتجر خلف منضدة الحساب على بعد بضع ياردات.

أدخلت مسدسي في جرابه وجثوت بجانب الضحية. كانت تتلوى من الألم وتنزف مما بدا أنها عدة جروح ناجمة عن طلقات نارية. قالت لي: "لقد أطلقوا النار عليّ، أطلقوا النار عليّ".

كان درج النقود مفتوحًا، وهناك عدة زجاجات سقطت من فوق الرفوف. لقد دار عراك هنا.

سمعت كونكلين يتحدث في جهاز اللاسلكي، وكان الشرطيان الآخران قادمين من الباب الخلفي. قلت للضحية: "تحملي. المسعفون في الطريق. ما اسمكِ؟".

"مايا بيريز".

قلت: "سيارة الإسعاف ستكون هنا في أية لحظة يا مايا. ستكونين على ما يرام. هل تعرفين من أطلق النار عليكِ؟".

قالت: "أنا حامل. عليكِ أن تنقذي طفلي".

"لا تقلقي. سيكون الطفل بخير".

لقد قلت ذلك، لكنني كنت أرى أن مايا نزفت الكثير من الدماء. كانت الدماء تتجمع في بركة على الأرض، نتيجة لجرح في فخذها ينزف دمًا غزيرًا. خلعت حزامي وربطته على فخذها فوق الجرح.

لم يساعد هذا مطلقًا.

سألتها مرة أخرى: "مايا، هل تعرفين من فعل هذا بكِ؟".

قالت: "شرطيان".

سعلت دماء، بينما كانت الدموع تتدفق على وجهها. وتأوهت بينما كانت تمسك ببطنها فوق ثوبها الغارق في الدماء، وقالت: "رجاء. لا تدعي طفلي يموت".

الفصل 22

أمسكت يد مايا بيريز وهمست بكلمات مطمئنة لم أكن أصدقها تمامًا.

أين المسعفون؟ ماذا يؤخرهم؟

قلت لها: "هذا الشرطي الذي أطلق النار عليكِ .. هل سبق أن رأيتِه من قبل؟ هل حدث أن دخل متجركِ؟".

هزت رأسها من جانب إلى آخر وقالت: "كانا يرتديان.. سترات الشرطة .. أقنعة.. وقفازات.. من اللاتكس".

"هل هناك شخص يمكنني الاتصال به يا مايا؟ هل تريدينني أن أتصل بصديق أو قريب؟".

ومضت أضواء سيارة الإسعاف عبر واجهة المتجر الزجاجية، وتوقفت السيارة خارج المتجر.

صاح كونكلين: "إنها هنا!".

وقفتُ لأفسح المجال للمسعفين.

قلت: "اسمها مايا بيريز. انتبهوا فهي حامل".

تحدث المسعفون بعضهم إلى بعض، ثم إلى المريضة، ثم رفعوها على نقالة وحملوها للخارج، فمضيت خلفهم.

كان قلبي يتألم لوضع مايا، متخيلة خوفها على طفلها الذي لم يولد بعد. وقفت أشاهد وهج المصابيح الخلفية يتضاءل بينما كانت السيارة تمضي مسرعة نحو مستشفى متروبوليتان.

ثم اتصلتُ بـ برادي.

سألني: "أهذه عملية سطو جديدة لعصابة رجال الشرطة؟".

قلت: "أخشى ذلك. كان السارقان يرتديان سترات بوليسية وأقنعة وقفازات، ولكن الضحية لم تتعرف على من أطلق النار عليها".

وبينما كنت أتحدث إلى برادي، كنت أجول بعيني باحثة عن أي مكان يحتمل وجود كاميرا أمنية به. كنت آمل في واحدة على الباب الأمامي أو عند ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية. لكني لم أجد شيئًا. خرجت من المتجر بينما لا يزال برادي معي على الهاتف، باحثة عن كاميرات في متاجر أخرى ربما التقطت ما حدث عند واجهة المتجر المنكوب على الأقل.

ثم قلت: "برادي. لا أرى كاميرات أمنية في أي مكان".

سبَّ برادي ساخطًا، وظللنا نتحدث حتى لم يعد بإمكاني سماعه مع تعالي أصوات صفارات إنذار الشرطة القادمة من كل مكان. أغلقت أنا وكونكلين المتجر ووقفنا منتظرين فريق التحقيق الجنائي عندما وصلتني مكالمة أخرى من برادي.

سمعته يقول: "لم تنج مايا بيريز للأسف".

صحت: "اللعنة! قُتلت المرأة وجنينها من أجل سرقة محتويات ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية. هل هذا معقول يا برادي؟".

"كلا. عودي إلى المخفر. سأنتظركِ".

الفصل 23

كان الوقت يقترب من منتصف الليل عندما عدت أنا وكونكلين إلى مقر قيادة الشرطة. كان برادي في مكتبه، وعلى الرغم من أننا كنا على اتصال دائم خلال الساعات الأربع الأخيرة، فقد أراد التحدث إلينا.

سلطت المصابيح الفلورية في السقف ضوءًا باردًا على الضباط المناوبين لهذه الليلة والجالسين خلف مكاتبهم، ما جعل بشرتهم تبدو شاحبة كبشرة الزومبي. برادي أيضًا بدا نصف ميت، ولم أكن بحال أفضل لا أنا ولا شريكي.

اتخذنا أنا وكونكلين المقعدين المواجهين لمقصورة برادي. مال شريكي بظهره إلى الخلف واضعًا قدمه على حافة المكتب، الأمر الذي يكرهه برادي، لكنه تغاضى عنه هذه المرة.

قال كونكلين: "أسلوب العصابة لم يتغير عن المرتين السابقتين. لم يترك الجناة أي شيء خلفهم عدا فوارغ الرصاصات في جسد مايا بيريز. سيرسلها الطبيب الشرعي إلى المختبر".

قال برادي: "علينا أن نبحث في كل مكان متوقع وغير متوقع".

فقلت: "على افتراض أنهم الجناة أنفسهم، فعلينا أن نعترف أنهم في غاية المهارة والذكاء يا برادي".

أخبرته أننا في الصباح كنا نراجع سجلات الشرطة مجددًا باحثين عن الدافع: فربما يكونون رجال شرطة طموحين لم يحصلوا على التقدير الذي

يتطلعـون إليـه، أو رجـال شرطـة ساخطيـن، أو موقوفين، أو محاليـن للتقاعد المبكر. ثم قلت: "لكن حتى لو كانوا من رجال الشرطة فعلًا، فإنهم قد لا يكونون تابعين لقسمنا، أو حتى مدينتنا".

أومأ برادي موافقًا، ثم قال:

"سأجند أشخاصًا إضافيين لهذه القضية".

كنت أركز على العمل الذي ينتظرني، وجاء تعليق برادي ليفاجئني بالكامل.

قلت: "فريقٌ آخر؟".

"لقد أعارني قسم مكافحة جرائم السرقة المحققين سوانسون وفاسكيز، بالإضافة إلى الرجال الأربعة الذين يعملون تحت إمرتهم".

كان تيد سوانسون وأوزوالدو فاسكيـز معروفين بمهارتهما كشرطيين، لكن تكليفهمـا هما ورجالهما بهذه القضية بـدلًا من محققين من قسم جرائم القتل كان إخلالًا بسلم القيادة. لم أكن سعيدة بهذا، وقرأ برادي تعبير وجهي.

قـال: "هذا هـو كل ما نعرفه حتى الآن: خلال ستة أيـام تمت ثلاث عمليات سطـو كبيـرة، بالإضافـة إلى قتيلين. لا يوجـد دليل واحد، مـع اهتمام إعلامي موسع، وضغط من القيادات العليا.

لذا، لا تغضبي يا بوكسر. سوانسون خبير بجرائم السرقة والقتل. وفاسكيز نشـأ فـي الشارع. سواء كـان الفاعلون من رجـال الشرطة أو مجـرد مخادعين متنكريـن في زيهم، فلـن يهم. إذا لم نقبض على هـؤلاء الأوغاد، ستكون جميع وظائفنا مهددة. أفهمتِ؟".

أنا أحترم برادي، بل وأشعر نحوه بالمحبة في بعض الأحيان. لكنه كان يثير غيظـي الآن. لـم يكـن سوانسون أو فاسكيـز أفضل مني أو مـن كونكلين في أي شيء.

تابع قائـلًا: "تواصلا مع سوانسون وفاسكيز. أريد منكم جميعًا أن تمشطوا المكـان جيـدًا إلى أن تصلـوا لأي معلومـة أو أي شخص. يجـب أن تتوقف هذه الجرائم، ولا أبالي أي شخص منكم سيوقفها".

قال كونكلين: "سنتولى الأمر يا سيدي".

قلـت وأنا أصر علـى أسناني: "نفهم هذا تمامًا أيهـا الملازم". شعرت بأن النوم سيجافيني هذه الليلة.

الفصل 24

تقع البناية السكنية المشيدة من القرميد في نهاية شارع مسدود إلى جوار بقية البنايات المكونة من ثلاثة طوابق عند تقاطع شارع تايلور مع شارع إيدي، وهي أسوأ منطقة في حي تيندرلوين.

دفعت يوكي البوابة الخارجية، وضغطت على زر الاتصال الداخلي الذي يحمل اسم "كورديل".

دوى صوت الجرس وصعدت يوكي ثلاثة طوابق قذرة تمتلئ جدرانها برسومات الجرافيتي، ودقت على الباب الواقع في نهاية الردهة. فتح الباب وظهرت امرأة من خلفه.

"أنا يوكي كاستيلانو. أرسلني السيد جوردان من رابطة الدفاع. هل اتصلوا بكِ؟".

"نعم، نعم، تفضلي بالدخول".

كانت السيدة كورديل امرأة أمريكية من أصل أفريقي، شديدة النحول، وتبدو في الأربعين من عمرها. كانت ترتدي ربطة رأس حمراء فوق شعرها بينما أطلت قفازات مطاطية صفراء من جيب سروالها.

سارت يوكي خلفها في رواق طويل وضيق ودخلت غرفة معيشة مزدحمة بقطع متباينة الطراز من الأثاث. كان هناك رجل مسن يجلس على مقعد وثير، بينما ترتاح يده على عربة أطفال كان يهزها بلطف.

قدمت السيدة كورديل لها جد آرون–ري الذي كان يدعى نيل كورديل، ثم أخبرتها أن زوجها في العمل.

قالت: "زوجي محطم تمامًا. إنه لا ينام، ويتكلم قليلًا. لقد دمره موت آرون–ري".

جلست يوكي على أريكة بنية اللون، بينما جلست السيدة كورديل في مقعد كبير باللون نفسه. وعلى الطاولة بينهما رُصَّت صور آرون–ري كورديل. كان مبتسمًا في هذه الصور.

قالت يوكي: "فلنتحدث عن ابنكِ".

التقطت أم الصبي إحدى الصور من فوق الطاولة واحتفظت بها في يدها في أثناء حديثها: "كان آرون–ري في الخامسة عشرة. كان كبير الحجم، وبدا أكبر من عمره الحقيقي، لكنه كان يمتلك عقل طفل".

أومأت يوكي برأسها. لقد أخبرها زاك أن آرون–ري كان متأخرًا ذهنيًّا، ولكنه لم يتورط في أي نوع من المشكلات قبل حادثة سجنه وقتله.

أكملت والدة آرون: "كان يذهب إلى المدرسة كل يوم، أو هكذا ظننا. لقد اكتشفنا مؤخرًا أنه كان يتردد على أماكن مشبوهة".

علقت يوكي: "كان هذا بعد حادث إطلاق النار في وكر المخدرات؟".

أومأت السيدة كورديل، ثم أكمل الجد القصة:

"ما حدث هو أن آرون–ري رأى تجار المخدرات الثلاثة يُقتَلون رميًا بالرصاص، ففر إلى الشارع، لكن رجال الشرطة طاردوه وألقوا القبض عليه بتهمة قتل هؤلاء الرجال. كانت مزحة. آرون–ري كان لديه عقل طفل في الخامسة من عمره. لم يكن يعرف حتى كيف يطلق النار من مسدس".

ثم بدا أن السيد كورديل أدرك أنه كان يهز الرضيع بشدة، فقال متوجهًا ببصره إلى العربة: "عذرًا يا صغيري"، وشبك يديه بحزن. كان مضطربًا وحزينًا على حفيده.

قالت يوكي للرجل المسن: "بحسب ما أفهم، عثرت الشرطة على المسدس مع آرون–ري".

"نعم، هذا صحيح. لقد *أخذ* السلاح فعلًا. غالبًا لم ير فيه أكثر من مجرد لعبة. قبضت الشرطة عليه واستجوبوه لساعات ولم يتصلوا *بنا* حتى".

أكملت السيدة كورديل قائلة:

"إذا لم يلق القبض على آرون-ري بالخطأ، إذا لم تتلاعب الشرطة به وتخبره أنه فتى رائع لقتله تجار المخدرات الأشرار، لم يكن ابني سيتنازل عن حقوقه، أو سيعترف بجريمة لم يرتكبها، أو سيقُتل في السجن في أثناء انتظاره *المحاكمة*. كان ابني سيظل على قيد الحياة".

شعرت يوكي بالألم الشديد الذي يعانيه أحباء آرون-ري. وأمكنها أن ترى أنها تنتمي الآن إلى رابطة الدفاع. وبالتالي أصبح العمل على مثل هذه القصص المريعة بمثابة زادها في الحياة.

مضت السيدة كورديل تقول: "على الشرطة أن تدفع ثمن ما فعلته، أليس كذلك يا سيدة كاستيلانو؟ يجب أن *يدفعوا* كيلا يفعلوا هذا بابن شخص آخر".

أجابت يوكي: "أوافقكِ. لقد رفعنا بالفعل قضية ضد المدينة ومركز شرطة سان فرانسيسكو. سيكون الأمر صعبًا يا سيدة كورديل؛ فسلطات المدينة ستدافع عن نفسها. قد تضطرين إلى الشهادة. سيطرحون عليكِ أسئلة صعبة، وسيحاول محامو المدينة تشويه صورة آرون-ري بقدر الإمكان".

قالت السيدة كورديل: "نحن معكم".

وقالت يوكي: "ونحن معكم".

في الواقع، بدا الانضمام إلى رابطة الدفاع بمثابة فكرة متهورة ومجنونة للغاية. هل كانت مؤهلة لهذا حقًا؟

ثم عانقت يوكي الأم والجد مودعة.

كانت تتمنى أن تكون قد اتخذت القرار الصحيح.

فقريبًا سيبدأ باريزي وشركته القانونية المكلفة من قبل المدينة في تمزيقها إربًا، وربما تنعدم رغبتها - حينئذٍ - في ممارسة القانون مرة أخرى.

الفصل 25

بعد مغادرة منزل آل كورديل، قادت يوكي سيارتها لمسافة أربع بنايات وأوقفتها أمام وكر المخدرات الذي بسببه دُمرت حياة آرون–ري قبل ثلاثة أشهر عند تقاطع شارعي تورك ودودج. وكما قالت والدة آرون، كان حي تندرلوين مكانًا سيئًا لتربية الأطفال. ولم تكن تمزح؛ إنه الأكثر سوءًا.

كان ذلك الحي الفقير عالمًا سفليًا مليئًا بالوحشية والفوضى واليأس، يسكنه سكارى ومدمنون عدوانيون، بالإضافة إلى المشردين واللصوص وبائعات الهوى والخارجين على القانون. وأفضل ما يمكن أن تصف به أهل هذا الحي هو أنهم كانوا في حال يرثى لها؛ فمعظمهم كان مصيرهم الهلاك.

كانت يوكي أعقل من أن تترجل من السيارة.

لقد كانت هنا لمعاينة المكان الذي بدأت فيه مأساة آرون–ري، ولتوثيق الصورة في مخيلتها؛ كي تتمكن من كتابة مرافعة قضائية تهز مشاعر المحلفين.

حدقت في المبنى المتهالك المشيد من الخشب الذي تقشر طلاؤه، وفي المطعم الصيني الكائن في الطابق الأرضي. كان الطابق الثاني وفقًا لمعلومات يوكي مهجورًا، ويتألف من وكر ضخم للمدمنين. أما الطابق الثالث فكان خاصًا بعمليات المقايضة، حيث يقبض تجار المخدرات أموالهم من المدمنين المساكين مقابل مساحيقهم المدمرة.

شاهدت الباب المعدني المشوه الذي كان مفتوحًا على الشارع. كان واضحًا من أعداد الرجال والفتيان الذين كانوا ينظرون في كلا الاتجاهين قبل الدخول من هذا الباب أن وكر المخدرات كان في أوج نشاطه.

تخيَّلت يوكي آرون-ري كورديل وهو يقضي وقته في هذا المكان ظنًّا منه أن هذا هو ما سيجعله مواكبًا لشباب جيله، وتصورت صدمته وحيرته عندما بدأ إطلاق النار. تخيلته وهو يلتقط المسدس - ذلك الشيء اللامع والقيم - ثم يجري هاربًا.

إذا كانت هذه هي الحقيقة -وزاك جوردان يعتقد أنها كذلك- فإن آرون-ري مات دون ذنب، وتستحق عائلته العدالة التي لا يمكن أن تتحقق سوى بتعويض بملايين الدولارات تقدمه المدينة وشرطة سان فرانسيسكو.

كانت يوكي تفكر في العمل الذي عليها القيام به إلى أن سمعت شخصًا ينقر على نافذة سيارتها. التفتت مندهشة، فرأت ضابطًا يرتدي الزي الرسمي، ويشير لها كي تفتح نافذتها.

"نعم يا حضرة الضابط؟".

"أهناك مشكلة في سيارتكِ، آنستي؟".

"لا، على الإطلاق".

"أنتِ تعرفين أن الحي ليس آمنا، أليس كذلك؟ قُتلت امرأة بشارع هايد قبل بضع ساعات. انتظري لحظة...".

انحنى رجل الدورية لإلقاء نظرة أفضل على وجهها، وقال:

"ألستِ زوجة الملازم برادي؟".

"نعم، أنا يوكي كاستيلانو".

قال مبتسمًا وهو يشير إلى سيارته: "أنا كلارك، جون كلارك، وهذا هو مكتبي. هل أنتِ في مهمة عمل يا سيدة كاستيلانو؟ لأنني لو كنت مكان زوجك لما رغبت أن تكون زوجتي جالسة في سيارة في هذا المكان".

قالت: "أنا بخير أيها الضابط. أعمل على جريمة قتل وقعت قبل شهرين"، وأشارت إلى وكر المخدرات.

فقال: "نعم، صحيح. تجار المخدرات الذين قتلوا هناك. لقد ألقيتُ القبض على المسكين الذي فعل ذلك".

"آرون-ري كورديل؟".

قــال كلارك: "نعم. كان يعمــل ساعيًا، فكان يجلب لهؤلاء المجرمين القهوة والسجائــر ومــا شابه. لا أعلم لمــاذا أطلق النـــار عليهم، لكنه أســدى المدينة خدمة".

سألت يوكي: "وماذا قال لك عندما اعتقلته؟".

أجاب كلارك: "قال إنه لم يفعلها. سألته ما الذي لم يفعله، فأخبرني أنه لم يطلق النار على الرجال في الطابق العلوي. فصعدنا إلى الطابق العلوي ووجدنا الجثث".

شكرت يوكي الضابط، ثم قادت سيارتها عبر الشارع المزدحم المتفرع إلى ثلاثــة أزقة. لن يسهل إقناع المحلفين بتلك القصــة. ربما تكون قضية يستحيل الفوز بها.

الفصل 26

عند وصولها مكتبها الجديد برابطة الدفاع، تجرعت يوكي نصف زجاجة ماء، ثم ركلت حذاءها، ووضعت حقيبة يدها في درج مكتبها. شغلت حاسبها وفتحت ملف آرون–ري كورديل الذي أعدَّه زاك جوردان.

كان رجلا الشرطة اللذان استجوبا آرون–ري بعد اعتقاله هما المحققين ستان ويتني وويليام براند من قسم مكافحة المخدرات والرذيلة بشرطة سان فرانسيسكو.

استطاعت يوكي العثور بسهولة على الوثائق التي تبين أن آرون–ري قد احتجز في الطابق السادس بمقر قيادة الشرطة، الزنزانة رقم ٣، منتظرًا محاكمته. ووجدت شهادة وفاة يعود تاريخها إلى ما بعد احتجاز المراهق بيوم تُظهر سبب وفاته، وهو "تمزق شديد" بالكبد، كما قال ضابط السجن المناوب في تقرير موجز أن عراكًا كبيرًا قد نشب في الحمامات.

أدرج المحقق في تقريره الخاص بمقتل آرون–ري ثمانية أشخاص مشتبهًا بهم، لكن تقريره خلا من أي دليل أو اعتراف، ولم يقدم أي شخص معلومة واحدة مفيدة. قيدت جريمة قتل آرون–ري ضد مجهول في وقت لاحق، ولم يتم اتخاذ أي إجراء بعدها.

لم تجد نص استجواب ويتني وبراند لـ آرون–ري كورديل في الملف، لكن زاك جوردان أدرج مقطع الفيديو.

وضعت يوكي الأسطوانة في مكانهـا بالحاسوب. واقشعر بدنها منذ البداية مـع مشاهدتها للاستجواب الـذي خضع له مراهق أســود متأخر ذهنيًّا على يد فريق من المحققين الخبراء.

ظلـت تشاهد لمـدة ساعة تقريبًا. ثـم اتصلت بجينـا مساعدتها الجديدة، وأخبرتهـا أنها تريد إرسال طلب استدعاء للمحققيْن ستان ويتني وويليام براند من شرطة سان فرانسيسكو.

الفصل 27

قابلت أنا وكونكلين إدوارد سوانسون، أو "تيد" كما ينادونه، وأوزوالدو فاسكيز من فرقة مكافحة السرقات عند تقاطع شارعي ميشن وتوينتي ثيرد، وذلك في الحي الذي يضم متجر ميركادو دي مايا، الذي صار مغلقًا الآن.

خرج سوانسون وفاسكيز من سيارتهما الشيفروليه التي لا تحمل أرقامًا وصافحانا. كان سوانسون ممتلئ الجسم، بوجه لطيف وشعر أشقر بلون الرمل، وعينين رماديتين فاتحتين. كما كان في نفس طولي، الذي يبلغ خمس أقدام، وربما نفس عمري أيضًا.

أما فاسكيز فكان قوي البنيان، وأقصر وأصغر سنًّا من شريكه، وذا قبضة يد قوية. بدا كأنه كان ملاكمًا محترفًا.

قام أربعتنا، بالإضافة إلى بقية فريق قسم مكافحة السرقات، بالانتشار في الشوارع المجاورة للمتجر، مستجوبين أصحاب المطاعم والمخازن والشقق الموجودة في المنطقة.

اخترت تفتيش شقة مايا الكائنة فوق المتجر، باحثة عن أي شيء يشير إلى أن موتها كان لسبب قوي، وليس مجرد عمل متهور قامت به عصابة من المجرمين. لم أجد سوى منزل صغير أنيق وغرفة صغيرة أعدتها مايا لطفلها الذي لم يولد. كان هذا مفجعًا بالقدر الذي يمكنك أن تتخيله.

كانت الجدران مطلية باللون الأصفر كأشعة الشمس في غرفة لم تكن الشمس تصل إليها. كان المهد مصنوعا باليد، وكذلك كانت زينة قوس قزح التي تعلوه. كان الأمر مؤثرًا وعذبًا للغاية، لكنه كان مفجعًا أيضًا.

أجريت مقابلة مع جيران مايا بيريز، الذين أخبروني كم كانت فتاة طيبة، وبكى بعضهم بتأثر. عدت أنضم إلى زملائي من جديد شاعرة بالكثير من الألم والغضب. كنا ثمانية، لكننا لم نتوصل ولو من بعيد لمعرفة هوية من سرقوا المتجر وأطلقوا النار على مايا بيريز.

لم يذكر أحد أنه رأى حادث السرقة، وهذه المرة لم تكن هناك لقطات فيديو مسجلة، فلم تكن هناك كاميرات مراقبة.

عندما انتهت نوباتنا، تناول ثمانيتنا الطعام في مطعم صغير، ثم عدنا لتمشيط المنطقة مرة أخرى، بادئين التحقيق مع من كانوا في العمل نهارًا وعادوا إلى منازلهم.

لم نحظ بمعلومة واحدة مفيدة.

ثم تلقيت مكالمة من كلابر، رئيس قسم الطب الشرعي.

"لقد فحصنا الفوارغ المستخرجة من جسد مايا بيريز".

"جيد. ماذا لديك؟".

"رصاصتان عيار ٣٨. السلاح الذي أطلقنا منه غير مرخص. كنت أتمنى لو كانت هناك أي معلومة أخرى، أي اسم، أو حادثة إطلاق نار من السلاح نفسه، لكن هذا هو كل ما لديّ".

هناك أيام يكون فيه عمل الشرطي ممتعًا ويستحق الجهد المبذول، وأيام أخرى يبعث فيها العمل على الضجر أكثر من مشاهدة قطرات ماء تتساقط ببطء من صنبور. اليوم لم يكن لا هذا ولا ذاك. كانت مهمة الاستجواب الفجائي مرهقة وخطرة، لكن غير مثمرة. كان الوضع محبطًا تمامًا.

عدنا أنا وكونكلين إلى مقر قيادة الشرطة وأخبرنا جاكوبي وبرادي بأننا لم نصل إلى شيء. لم يستغرق هذا الاجتماع أكثر من خمس دقائق، بما فيها ملخص الاستجوابات التي أجريناها.

سرت مع ريتشي إلى موقف السيارات.

حاول أن يرفع معنوياتي قائلًا: "سيرتكب أحدهم خطأ ما. الأشرار دائما ما يفعلون".

لقــد قلت الشيء نفسه لريتشي. وجو قال لي الشيء نفسه. إنها نسخة رجال الشرطة لعبارة "كل شيء سيكون على ما يرام".

لكن هيهات.

بغضـ النظـر عمن كانوا، فإن هـؤلاء الأوغاد الذين يرتـدون سترات رجال الشرطـة منظمـون، ومنضبطـون، ويحملـون أسلحـة لا يمكن تعقبهـا. كما أن جرائمهم تحدث على فترات متقاربة. كم من الوقت سيمضي قبل أن يتم السطو علـى متجر جديد صغيـر به الكثير من الأمـوال السائلة وقتل مـن فيه، على يد رجال يتوهمون أنهم أفضل عصابة في سان فرانسيسكو؟

ودّعت شريكي، واستقل كل منا سيارته، وغادرنا الموقف.

عندما وصلت إلى براينت، شخصت ببصري إلى مبنى مقر قيادة الشرطة، فرأيـت ضوء مكتب جاكوبـي مشتعلًا. شعرت بالشفقة عليـه. كان عمل شريكي السابق هو حياته كلها.

كان علينا أن نقبض على هؤلاء الجناة لعدة أسباب، لكن من المؤكد أنه كان علينا أن نفعل ذلك من أجل جاكوبي، قبل أن يتقاعد كرئيس للمحققين.

الفصل
28

كانت الحال جيدة في بيت عائلة موليناري. كانت مارثا كلبتنا المخلصة تغط في النوم على الأريكة بجوار زوجي العزيز، وعلى الرغم من أنه كان يتحدث في الهاتف، فإن الروائح الرائعة القادمة من المطبخ أخبرتني بأن العشاء كان جاهزًا.

قال زوجي وهو يغطي سماعه الهاتف: "أهلًا شقرائي الحسناء". أرسلت له قبلة في الهواء وعرجت على غرفة الطفلة.

كانت جولي نائمة على ظهرها، وقد أزاحت غطاءها بعيدًا. اقتربت منها ورفعته حتى ذراعيها. كانت لا تزال نائمة، لكنها لوحت بقبضتها الصغيرة في الهواء. انحنيت وقبَّلتُ جبينها، فوجدتها تدفعني بعيدًا. اعتبرت هذه علامة على أن طفلتي الصغيرة قوية الشخصية، حتى في أثناء نومها. *أحسنتِ يا جولي.*

لكن رؤية طفلتي الجميلة ذكرتني بما رأيته في شقة مايا بيريز. رأيت بعين خيالي الغرفة الصغيرة الخالية من النوافذ التي حولتها الأم إلى عش أصفر زاه لطفلها الذي لن يولد أبدًا.

راقبتُ جولي وهي تتنفس لبضع دقائق. ثم خلعت ملابسي وأخذت حمامًا طويلًا منعشًا استغرق خمس عشرة دقيقة. عندما عدت إلى غرفة المعيشة في منامتي المخططة، كان جو يضع الدجاج في الأطباق.

ذهبت إليه وعانقته عناقًا طويلًا، ثم حييت مارثا بمرح.

قلت: "يا لي من فتاة محظوظة"، وكنت أعني ذلك فعلًا.

سألني جو: "أترغبين في بعض الشراب؟".

قلت: "بالطبع. ماذا فعلت اليوم؟".

"لقد قمت ببعض العمل في الواقع".

"حقًا؟".

"كان عملًا حرًا. كنت أجري أبحاثي على قضية ج.ع.م.ك".

بدا جو رائق المزاج. سحب مقعدين لي وله وجلسنا على منضدة المطبخ لتناول العشاء.

"وما هي قضية ج.ع.م.ك إن جاز لي السؤال؟".

ملأ كأسين بالعصير الطازج وأوضح: "جرائم عيد ميلاد كلير".

قلت: "حقًا؟ وهل توصلت إلى شيء".

أجاب جو: "أعتقد ذلك. هي بداية خيط على أية حال".

أعجبني ما كنت أسمعه، ولكن في الوقت نفسه، شعرت ببعض الأسى على هذا العميل الفيدرالي الماهر الذي يقوم الآن بعمل غير مدفوع الأجر لأجلي أنا. لكنه لم يكن يشكو.

قلت له: "فلتخبرني بالمزيد".

قال: "سأفعل. هيا تناولي العشاء قبل أن يبرد".

وفي أثناء تناول الطعام مال مقتربًا مني وقال: "عدت بالزمن خمسة أعوام إلى الوراء، فوجدت كل جريمة وقعت في الثاني عشر من مايو في سان فرانسيسكو. لقد حدثت مصائب يا ليندسي".

"أخمن أنها خمسون أو ستون جريمة قتل في العام".

"ثمانٍ وستون العام الماضي".

تقابلت أعيننا وابتسمنا. كنت أحب العمل مع جو. كنت أحسده قليلا لأنه تسنى له الوقت للتركيز على القضية والعمل عليها من المنزل.

"على الرغم من أن هذه الجرائم لم ينقصها العنف، فإن القليل منها يشبه جريمة القتل التي حدثت في بالمي آلي. بالإضافة إلى حالات الطعن القاتلة الثلاثة في هذا العام والعامين السابقين له، هناك حالتا طعن بالسكين أفضيتا إلى الموت خلال العامين السابقين لهذه الأعوام الثلاثة. لم أجد أي حالات طعن قاتلة تسبق الحادثة الأولى التي وقعت قبل خمس سنوات".

"أخبرني عن حوادث الطعن في العامين الأول والثاني".

ابتسم جو قائلًا: "بالتأكيد".

ثم حمل الأطباق الفارغة إلى الحوض وأحضر قطعتين من فطيرة التفاح، وتوقف لوضع الحلوى المثلجة فوقهما. نظرت إليه مندهشة.

قال: "كلا، لم أصنع الفطيرة، ولكن عذري أنني كنت مشغولًا في قضية شائكة ومشوقة للغاية".

ضحكت، وحملت طبقي وبدأت في الأكل.

قلت: "أخبرني بكل شيء من فضلك".

قال جو: "سأفعل أيتها الرقيبة".

الفصل
29

قال جو: "لقد سافرت قليلًا عبر الزمن. كانت الضحية في العام الأول سيدة أرستقراطيــة تدعى أليسيــا تومسون. كانت قد غادرت لتوهــا متجر نيمان وفي طريقها إلى سيارتها".

سألته: "وكيف عرفت هذا؟".

أجــاب: "أكياس التسوق والمفاتيح في يدها. لقد قُتلت على بعد مربع سكني من مرآب يونيون سكوير، الذي أوقفت سيارتها فيه".

"أكان هناك شهود؟".

"كلا. أجري تحقيق كامل في قضية السيدة تومسون. كان تشي هو المحقق الرئيسي".

عدت أسأله: "وكيف سارت القضية؟".

أجــاب: "الأمــر لم يقتصر على عــدم وجود شهود، أو لقطــات فيديو، أو أي شــيء. حتى السكين لــم يعثروا عليها. والمعمل الجنائي لــم يجد شيئًا. لاحظي أيتها الرقيبة الجميلة أن اختفاء السكين عامل مشترك".

قلت: "صحيح".

أردف قائــلًا: "حسنًــا. الضحيــة التاليــة كانــت مختلفة للغاية عــن السيدة تومسون".

قلت: "أخبرني".

أخذت طبقي الحلوى الفارغين ووضعتهما في غسالة الصحون، بينما توجه جو وبرفقته مارثا إلى غرفة المعيشة. جلسنا جميعًا على أريكة جلدية كبيرة الحجم، ووضعت مارثا رأسها على حجري مسترخية.

قال جو: "الضحية الثانية، واسمها كريستا تومي، كانت امرأة مشردة في الخامسة والعشرين من عمرها، وفي حال بالغة السوء حتى بالنسبة لمدمنة مخدرات. قتلت بينما كانت نائمة في زقاق في حي تندرلوين بشارع أوليف. لم يكن هناك شهود، ولكن الكثير من الناس كانوا يعرفونها".

"وهل قدموا أية معلومات؟".

"لا شيء مفيد. لقد عثرت على تقرير التشريح. مثل ضحيتك التي طُعنت من الخلف خارج مطعم والدها، طعنت هذه الفتاة أيضًا من الخلف. كانت الضربتان الأولى أو الثانية قاتلتين، لكن القاتل استمر يطعن ظهرها وذراعيها. وبلغ عدد الطعنات في النهاية خمسًا وثلاثين طعنة.

واستنادًا إلى شكل وعمق الطعنات، كان السلاح سكين تقشير في الغالب، إنما لم يتم العثور عليه. ومجددًا لا يوجد شهود أو أدلة. ولأنه لم تكن هناك أدلة، ولعدم تقدم أصدقاء أو أقارب للضغط على الشرطة، ومع وجود الكثير من القضايا المفتوحة في ذلك الوقت، قيدت القضية ضد مجهول".

لقد فهمت. ربما حتى سمعت بهذه الجريمة. يجب العمل على جميع قضايا القتل وحلها. ولكن ليس هناك ما يكفي من الكوادر، أو الوقت؛ لذلك تظل بعض القضايا بلا حل.

قلت: "مَن قتل هؤلاء النساء هو شخص ذكي، يعي وجود الكاميرات والمارة، وكل ما يعد دليلًا جنائيًا. جميع الضحايا كن من النساء، ويبدو أن النساء الخمس اللاتي عُثر عليهن قتلن على يد شخص واحد لا يخلِّف سكينه وراءه أبدًا".

"أتفق معكِ يا ليندسي. أضيفي إلى كل هذا التاريخ الذي قُتِلن فيه جميعًا، وهو الثاني عشر من مايو. هذا هو السبب في أنني أشتبه في أن شخصًا واحدًا قتل الضحايا الخمس".

"إذن، ماذا تستنتج عن القاتل؟".

قال جو: "إذا كنت محقًا، فإن هذا الرجل لم يكن يعرف ضحاياه. لقد اختار هؤلاء النسوة لأن الظروف كانت مواتية لا أكثر. ومهما كان دافعه وراء القتل،

فإنــه كان مدفوعًا إلى القتل بعنف وغل. هذا مجرد تخمين، لكنني أقول إنه كان مشتعلًا بالغضب، كان يقتل نساء لا يعرفهن بغضب جامح".

قلـت: "نعـم، أستطيع أن أرى ذلك. وبما أنه يقتـل في وضح النهار، ولا أحد يراه، فكأنه لديه عباءة الإخفاء".

قال: "لقد قررت أن أترك لك شيئًا لتكتشفيه وحدك".

"حقًّا؟ شكرًا لك يا عزيزي".

ربـت زوجي كتفـي قائلًا: "أعتقـد أن عملي هنـا انتهى. دعينـا نذهب إلى النوم".

الفصل 30

في الثامنة إلا الربع من صباح اليوم التالي، تقابلنا أنا وشريكي في غرفة الاستراحة وأعددنا القهوة. كانت علامات النوم لا تزال على وجه كونكلين، وكنت متأكدة أن إرهاق عدم النوم كان باديًا على وجهي.

عندما لم تكن جولي مستيقظة تطلب شيئًا، كانت مارثا تدفعني من فوق السرير طيلة الليل.

بالإضافة إلى ذلك، طاردتني كوابيس مزعجة رأيت فيها مايا بيريز تتوسل إليَّ ألا أتركها تموت. كنت أعرف ما يكفي من الثقافة والموروثات الشعبية في تفسير الأحلام لأفهم أنني كنت مايا في هذا الحلم، وأنني كنت أعبر عن خوفي من الموت أو من حدوث مكروه لطفلتي.

قمت أنا وكونكلين بتحلية قهوتنا وجلسنا كلٌّ أمام حاسبه. قسمنا العمل، فكان عليَّ فحص ملفات قسم الموارد البشرية من الحروف (أ) إلى (ص)، وعليه فحص الملفات من (ض) إلى (ي). كنا نبحث عن أي مشتبه به من العاملين بالشرطة، عن أي شرطي محبط لديه مبرر لارتكاب مثل تلك الجرائم، على سبيل المثال من تم خفض رتبته أو سُرِّح من الخدمة أو حُرم من الترقي. هؤلاء الشرطيون الساخطون الذين قد يخاطرون بأن يزج بهم في سجن فيدرالي دون فرصة إطلاق سراح مشروط مقابل الحصول على المال السهل.

وجدنـا الكثير من هؤلاء، لكن لا أحد منهم كان اسمه خوان. كل واحد منهم كـان يملك السلاح والسترة البوليسية التـي نقش على صدرها وظهرها بأحرف بيضاء: قسم شرطة سان فرانسيسكو.

فـي الثامنـة والنصف دعانا برادي إلى مكتبه. مـن نظرة واحدة عرفت أنه كان يومًا صعبًا، تمامًا كما كانت جميع أيام هذا الأسبوع. كان برادي عابسًا.

كدتُ أقول: "ماذا حدث الآن؟"، لكنني أبقيت فمي مغلقًا.

قال برادي: "آسف لأنني كنت وغدًا معكما".

ماذا؟ قل هذا مجددًا.

ثـم أضاف: "يعتقد جاكوبي أن القسم بأكملـه في طريقه إلى الانهيار. لكن هذا بيننا نحن الثلاثة".

قال كونكلين: "حسنًا. ماذا حدث بالضبط؟".

قال برادي: "خلال العام الماضي، تم إطلاق النار على ستة تجار مخدرات فـي أوكار المخدرات فـي جميع أنحاء المدينة. النقـود والمخدرات تختفي، ولا يمكـن العثور عليهـا أبدًا مرة أخـرى. الشائعات تقـول إن الفاعليـن من رجال الشرطة".

لا عجب أن برادي كان غاضبًا. كان هذا يسري كالوباء، وكنا آخر من يعلم.

قلت: "هل تظـن أن رجال الشرطة الذين يسطون على أوكار المخدرات هم أنفسهـم رجال الشرطـة المارقون الذين نبحث عنهم فـي قضية مكتب صرافة الشيكات؟".

"ربمـا، وربمـا لا. ليس لدينا لقطات فيديو للجناة، ولم يوجه أحد اتهامات. لكن ضعا هذا في الاعتبار".

عندمـا عدت إلـى مكتبي، وجـدت ورقة على مقعـدي، مكتوبـة بخط اليد، ومقطوعـة مـن مفكرتـي الخاصـة التي تحمـل اسمي. كانـت الرسالـة مكتوبة بحروف كبيرة:

احـذري أيتهـا الحمقـاء. تذكري مـن هـم أصدقاؤك.
إنهم مَن يرتدون الأزرق.

نظرت حولي في جميع أرجاء غرفة طاقم الشرطة.

كان رجال النوبات الليلية يستعدون للمغادرة، ورجال النوبات النهارية يستعدون للعمل. رأيت حوالي عشرين رجلًا عملت معهم لسنوات. كنت أحب بعضهم، الكثير منهم في الواقع. لكن أحدهم الآن يحذرني من التمادي.

حتى لو كان القبض على رجال شرطة أشرار يعني القبض على قتلة، فإن الولاء الأعمى كان مبدأ متجذرًا في عمل الشرطي. برغم ذلك كنت أتساءل عما إذا كانت هذه الرسالة من شخص ينتمي إلى عصابة سترات الشرطة. أيمكن أن يكون واحد -أو أكثر- منهم ضمن هذه العصابة؟ أم كانت الرسالة من أحد رجال الشرطة المتواجدين في هذه الغرفة، والذي كتبها عندما رأى ملف التحقيق الذي تركته مفتوحًا ببساطة على حاسبي؟

عرضت الرسالة على كونكلين، الذي نظر إليَّ متسائلًا. هززت كتفي، ووضعت الورقة في حقيبتي.

سأكون حذرة، لكنني كنت مهزوزة قليلًا. في أول فرصة تسنح لي، سأضطر لإبلاغ برادي بهذا.

الفصل 31

في الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم، كان ريتشارد بلاو يمسك مفاتيحه في يده، وعلى وشك فتح البوابة المعدنية لمكتب صرافة الشيكات الخاص به عند تقاطع شارعي ماركت وسيكستينث. كان بلاو رجلًا حريصًا. لقد نجح هو ودونا في إدارة مشروعهما لأكثر من ثلاثين عامًا، وكانا على وشك التقاعد الآن.

لقد سمع أن مكتبين آخرين مثل مكتبه تعرضا للسرقة الأسبوع الماضي، ولكن ما طمأنه هو وجود جهاز إنذار بمكتبه يرتبط بقسم الشرطة، بالإضافة إلى سلاح ناري داخل المكتب.

كانت زوجته قد ذهبت لركن السيارة في موقف السيارات القريب الذي يقع تحت الأرض. كان بلاو هو من يفتح المتجر دائمًا. فتح القفل أولًا، وكان على وشك رفع البوابة المعدنية عن الواجهة الزجاجية عندما رأى ثلاثة رجال يخرجون من سيارة سيدان رمادية تقف قريبة من مدخل المكتب.

كان الرجال الثلاثة يرتدون سترات وقبعات الشرطة، ما جعله يتوقف، ثم رأى أنهم جميعًا يرتدون أقنعة اللاتكس.

كانت أقنعة لاتكس على شكل رأس كلب. ولم يكن هناك مجال لإنكار هذا.

فكر الرجل المذعور أنه إذا استطاع الدخول إلى المتجر وإغلاق الباب خلفه بطريقة ما، فإنه يمكن أن يتجنب هذا الكابوس المخيف. فكر في الاتصال

بالشرطة، لكنه سرعان ما صرف ذهنه عن الفكرة. آخر شيء كان يريده هو أن تقترب دونا من المتجر فيطلقون النار عليها.

كـان الرجال المقنعون يتقدمون نحوه بسرعة. توقيتهم كان جيدًا؛ فالطريق كـان خاليًا من المارة، ولم يكن هناك سوى بضعة سائقين لا يركزون سوى على عبـور إشارة المرور التالية. رأى بلاو أن كل واحد منهم كان يحمل سلاحًا. كان عليه أن يكون أذكى منهم – أن يستخدم دهاءه.

فرفع بلاو يديه.

وعندمـا صـار الرجـال على بعـد مترين منـه، قال بـلاو: "لسـت مسلحًا. سأعطيكم ما تريدون. فقط لا تؤذوني".

قـال أحد اللصوص: "حسنًا تفعل يا رجل، فنحـن لا نريد إيذاء أحد". كان يبدو أنه هو المسئول. وبدا أنه شاب صغير. كان صوته يقول هذا.

حـاول بلاو التفرس في الرجل كي يتمكن من تقديم تقرير جيد عن السرقة بعـد انتهائهـا. رأى أن طول الرجل الذي يتحدث معه كـان حوالى خمس أقدام، وعـرف من يديه أنه كان أبيض البشرة، لكنـه لم يتمكن من تحديد بنية الرجل الجسدية بسبب السترة الواقية، لكنه اعتقد أنه سيتمكن من التعرف على صوت الرجل إذا سمعه مرة أخرى.

قال بـلاو: "ماذا تريـدون؟ محفظتي في جيبي الخلفـي. خذوها. معي مئة دولار، وساعتي لا تزال جديدة. خذوها أيضًا".

كـان بلاو لا يزال يحمـل المفاتيح في يده. لم يكن هنـاك شيء يمكنه فعله حيال ذلك.

قال رجل آخر من الثلاثة: "دعنا ندخل المكتب يا سيد بلاو".

إنهـم يعرفونـه! إنهم يعرفـون من هو. شعر بـلاو بالدوار. لـم يصوب أحد سلاحًا نحوه من قبل. كاد يقول: "هل أعرفك؟"، لكنه صرف الفكرة عن ذهنه.

إذا اعتقـد الرجل أن بلاو يعرفـه فربما... فكر في دونا، ودعا ربه ألّا تظهر الآن. فلن تكون قادرة على التعامل مع هذا!

قال بـلاو: "حسنًا. سأفتح الباب الآن، ودعنا نفعل هذا بسرعة قبل أن يأتي أحد العملاء".

قال أحد الرجال المقنعين: "تَقدم الطريق يا سيد بلاو. هيا بنا".

الفصل 32

كانت يدا بلاو تهتزان بينما كان يحاول فتح الأقفال المزدوجة. كان يشم
رائحة عرقه المتفصد، شاعرًا أن هذه هي غالبًا لحظاته الأخيرة على الأرض. لكنه استطاع فتح الباب أخيرًا، والذي أصدر صريرًا بينما ينفتح على وسعه.
أشعل بلاو الأضواء كي تستطيع زوجته أن ترى من خلف النافذة الزجاجية عملية السطو التي يتعرض لها.

أرجوكِ يا دونا، لا تدخلي إلى هنا.

قال أحد اللصوص الملعونين: "لسنا بحاجة إلى ضوء قوي يا رجل".

فأجاب بلاو: "يجب أن أرى كي أتمكن من فتح *الخزانة*. صدقني، أنا أريدكم أن ترحلوا بأسرع ما يمكن. سأكون سعيدًا بإعطائكم المال، اتفقنا؟ فقط ثقوا بي. أنا لست ضدكم".

لم ينتظر بلاو الرد. كان يسير بشكل سريع ومدروس متجاوزًا صفوف المقاعد القابلة للطي، قاصدًا الجزء الخلفي من المتجر حيث رسمت خطوط على الأرض تحدد أماكن الوقوف أمام نوافذ الصرّافين. وبجوار تلك النوافذ، كان باب حجرة الأمن ظاهرًا في أقصى اليمين، يقسم المكان إلى قسمين: مكان استقبال العملاء، ومكتب بلاو الخاص.

كانت الخزانة في مكتبه الخاص بالخلف. أدار بلاو ظهره إلى اللصوص لفتح الباب، قائلًا: "بعد أن أعطيكم المال، يمكنكم الخروج من الباب الخلفي. سيكون هذا أكثر أمانًا".

كان الرجال – أو الصبيان ربما، بما أنهم كانوا سريعي الاهتياج – متكدسين في مكتبه. كان الوغد الأصفر فيهم يشعر بالقلق، واستمر ينظر حوله قائلًا: "هيا، هيا، هيا".

حول بلاو عينيه بعيدًا عن الصوان الذي يحتفظ فيه بسلاحه، وأشار إلى دولاب خشبي قائلًا: "الخزانة هنا".

صار الشخص الذي كان يقول "هيا بنا" يقول الآن: "أسرعوا. أسرعوا. أسرعوا".

كانت يدا بلاو ترتجفان بشدة. كان يحمل المفتاح بالكاد، وكان هذا المفتاح صغيرًا وكذلك قفل الصوان. حاول مرارًا وتكرارًا إلى أن أدخل المفتاح أخيرًا، وأداره، وفتح الصوان الذي يُبقي فيه خزانته الحديدية القديمة. وبسرعة مال بجسده بحيث يتمكن الصبية من رؤية الخزانة بوضوح، قائلًا لأحدهم: "أنت تحجب الضوء عني".

حاول ألا ينظر إلى الصبي، أو يشعره أنه يحاول أن يعرف من هو، إلا أنه كان يسترجع ذاكرته ويفكر في وجوه جميع المراهقين البيض والسود واللاتينيين الذين قدموا إلى هذا المكان لصرف شيكات نقدية. كان صرافوه هم من يتحدثون إليهم، والمعاملات كانت تتم في وقت قصير. لم يكن يتحدث مع العملاء سوى عند حدوث مشكلة فقط.

قال شاب يحمل رشاشًا: "أسرع أيها العجوز".

رد بلاو: "أنا أسرع *بالفعل*".

مد كلتا يديه إلى الخزانة، واستطاع في اللحظة الأخيرة أن يضغط على زر الإنذار الصامت، الذي كان يقع تحت حافة الصوان، ثم أدار مقبض الخزانة. كان يعرف الرقم السري كما يعرف تاريخ ميلاده، لكنه أخطأ في الرقم الثاني، وكان عليه البدء من جديد.

وضع الصبي الذي يقف بالقرب منه فوهة مسدسه على صدغ بلاو، وقال: "أمامك حتى ثلاثة.

واحد...".

وهنا حدثت أشياء كثيرة في الوقت نفسه.

سُمعت طقطقة القفل، وفُتح باب الخزانة، وتحول تركيز الصبية المرتدين سترات الشرطة إلى مظاريف المال داخلها. وفتح باب المكتب الأمامي بقوة.

اقتحم رجال الشرطة المكان، وصاحوا: "*مكانكم! ارفعوا أيديكم!*".

جثم بلاو وراء منضدة الدفع وغطى رأسه بيديه. كان يهتز مع كل عيار ناري ينطلق، وكان هناك الكثير منها.

أخذ يتضرع قائلًا: "أتوسل إليك يا إلهي أن تجعل كل هذا يتوقف".

الفصل 33

بحلول الوقت الذي وصلت فيه أنا وكونكلين إلى مكتب كاش آند جو، كان شارع ماركت أشبه بمعرض لبيع السيارات المستعملة في يوم التخفيضات الكبرى. أحصيت عشرين سيارة شرطة بأضوائها التي كانت تومض في كل مكان، بالإضافة إلى سيارتي إسعاف متوقفتين في شارع سيكستينث. كانت سيارة الطبيب الشرعي تتوقف جانبًا، بينما وقفت شاحنة وحدة التحقيق في موقع الجريمة أمام المكتب تحجب واجهته تمامًا.

لابد أن هذا أصاب معظم المارة المتكدسين خلف الشريط الحاجز بالإحباط. ولكن فجأة ظهرت إحدى المروحيات التي كانت تصور الأحداث لبثها على الهواء مباشرة على قنوات التلفاز المحلية.

كان عنوان الأخبار كالتالي: عصابة سترات الشرطة تضرب من جديد.

تركنا أنا وشريكي سيارتنا على الحاجز الحجري الذي يفصل بين صالة جيليز جيم الرياضية ومتجر ثيرد هاند روز، وتوجهنا نحو سوانسون وفاسكيز، شركائنا المجندين من فرقة مكافحة السرقات للعمل معنا على هذه القضية. كانا يقفان خارج مكتب صرافة كاش آند جو. بعد قضاء بضعة أيام بصحبتهما أثناء تمشيط المنطقة المحيطة بمتجر ميركادو دي مايا، اكتشفت أن سوانسون رجل كفء وودود، أما فاسكيز فكان لطيف المعشر، وكان كلاهما في غاية الاحتراف.

كان عليَّ الاعتراف بأن خيار برادي كان صائبًا بالنسبة لهذين الشرطيين هما والرجال الأربعة التابعين لهما. تجلى الارتياح على قسمات فاسكيز، وقال مبتسمًا: "الشاهدان معي في السيارة. سأصطحب السيد والسيدة بلاو إلى المخفر للإدلاء بشهادتهما. وبعدها سأخرج مع سيدتي للاحتفال".

استطاع فاسكيز الانطلاق بعربته بعد بعض المناورات المحترفة، ثم قال لنا سوانسون: "هناك ثلاثة مجهولين داخل المكتب، وجميعهم يرتدون سترات الشرطة، ولم يبق أحد منهم على قيد الحياة".

انحنينا أنا وكونكلين من تحت الشريط الحاجز خلف سوانسون ودلفنا إلى المكتب. كانت المقصورة الداخلية لمكتب كاش آند جو مبطنة بألواح خشبية مضغوطة، وكانت مناضد الدفع على مستوى المرفق من الجانبين بحيث يستطيع العميل توقيع الشيك وملء البيانات. كانت هناك العشرات من المقاعد المعدنية القابلة للطي في منتصف المكتب، وكلها مبعثرة. وكانت الخطوط البيضاء المرسومة على الأرض تحدد موقع ثلاث نوافذ للصرف، أما باب حجرة الأمن في نهاية الغرفة فكان مفتوحًا.

كانت هناك جثتان ممددتان على الأرض بين المقاعد، والدماء تتجمع في بركة على مشمع الأرضية. استطعت رؤية جثة الثالث الذي سقط على عتبة باب حجرة الأمن. أحدثت الطلقات ثقوبًا في الألواح، بينما كانت فوارغ الرصاصات مبعثرة على الأرض.

قال كونكلين لسوانسون: "مشهد عنيف حقًا. ما الذي حدث بالضبط؟".

نادى سوانسون أحد الرجال في فريقه، تومي كالهون، وهو شاب رأسه آخذ في الصلع، ومدخن شره بدليل آثار النيكوتين الواضحة على أصابعه.

قدم لنا كالهون ملخصًا لهجوم العصابة على مكتب صرافة الشيكات، بما في ذلك استخدام المالك للإنذار الصامت.

في الوقت الذي أطلق فيه بلاو جرس الإنذار، كانت زوجته تشاهد عملية السطو عبر الواجهة الزجاجية. أبلغت المرأة الشرطة، ثم وجدت سيارة شرطة فاستنجدت بمن كان فيها كذلك.

قال كالهون بحماسة وهو يشكل يديه على هيئة مسدس: "ووصلت الشرطة وبدأ ضرب النار. بوم! بوم! بوم!".

"وأظن أن المجرمين كانوا يحملون مَحافظ، أليس كذلك؟".

ابتسم سوانسون ابتسامة عريضة قائلًا: "ألن يكون ذلك لطيفًا؟ لا ليست هناك مَحافظ، ولكن المحققين في مسرح الجريمة بدأوا للتو. سنعرف من هم هؤلاء الأشخاص خلال ساعة واحدة".

هل انتهى الكابوس فعلا؟

كنت مستعدة لتنفس الصعداء في راحة. بدأت أسير متفادية الدماء، ومحققي مسرح الجريمة الذين يلتقطون الصور، كي ألقي نظرة على أحد القتلى.

لقد تلقى رصاصتين في الصدر وأخرى في الوجه مرت عبر قناعه، وهو قناع على شكل كلب. كان هذا جديدًا. فعصابة سترات الشرطة في مقطع الفيديو الذي رأيناه كان أفرادها يرتدون أقنعة وجه بلا ملامح. كما لاحظت أن الفاعل لم يكن يرتدي قفازًا. نظرت إلى الرجل الثاني، الذي أوقع معه مجموعة من المقاعد القابلة للطي عندما أُطلق عليه النار، ووجدت أنه يرتدي نفس القناع، ولم يكن يرتدي قفازًا أيضًا.

لماذا قام المسلحون الذين رأيناهم في لقطات كاميرا المراقبة بتغيير طريقة عملهم من السطو الليلي إلى السطو الصباحي، برغم أن المال في الخزينة يكون أقل واحتمال دخول عملاء يكون أكبر؟

لماذا قد يصيرون بهذا التهور؟

دق هاتف سوانسون، وبدأ يجيب بكلمات مثل: "نعم" و"أها".

همس كونكلين قائلًا: "مجموعة من الهواة".

فقلت مؤمّنة: "أوافقك".

استمر سوانسون في حديثه على الهاتف قائلًا: "نعم، أعتقد أننا وجدنا الجناة يا سيدي، ويمكنك أن تخبر الصحافة بأننا قبضنا على الأشرار بعد انتهاء عمل محققي مسرح الجريمة".

لم أكن أعتبر سوانسون من المتفائلين. كنت آمل أن يكون محقًا، لكني عرفت أنه مخطئ. فالصبية القتلى المفترشون أرضية مكتب كاش آند جو ليسوا من نبحث عنهم.

إنهم مجرد مقلدين.

وأراهن بشارتي على صحة ذلك.

الفصل 34

دخلت يوكي قاعة المؤتمرات الفخمة بمكتب مورهاوس آند روجرز للمحاماة.

جلس ستة من محامي المكتب حول الطاولة الضخمة المصنوعة من خشب الماهوجني، وكذلك فعل الشرطيان اللذان قدما للشهادة من قسم مكافحة المخدرات.

كان المحقق ويليام براند قوي البنية مفتول العضلات، وبدا أنه لم يحلق لحيته منذ يومين. عرفت من مشاهدته على مقطع الفيديو بوجود وشم على جانب عنقه لأول حرفين من اسمه (و ب)، ويبدو كما لو أنه موسوم بالحديد الساخن.

ابتسم لها عندما دخلت الغرفة، وكأنه يقول: *كيف حالكِ يا عزيزتي؟*

كانت هذه مشكلة النساء صغيرات الحجم، ذوات الملامح الدقيقة. قدم المحامون المشهورون الذين وكلتهم مدينة سان فرانسيسكو أنفسهم، وبدأت سلسلة مصافحات طويلة. عرض أحدهم القهوة عليها بينما سحب آخر مقعدًا لها.

حتى ذلك الحين، كان كل هذا يوافق توقعاتها، بما في ذلك اللوحات الزيتية على الحائط التي تصور الشركاء المؤسسين.

ما لم تكن مستعدة له هو الشخص الذي خطا إلى الداخل بعد أن دق الباب، لين باريزي بلحمه ودمه. اهتزت الأرض قليلًا بينما كان يخطو فوقها، وليس لأنه كان يزن ثلاثمائة رطل فحسب.

كان لين باريزي مثل قوى الطبيعة.

كانت تظن أنه سيظهر في المحكمة في اللحظة الحاسمة، لكن من الواضح أن قضيتها وقضيته كانتا معلقتين كليًّا على استجواب ويتني وبراند للصبي آرون–ري كورديل.

تبادلت هي وباريزي أقصر التحيات، وعندما انتهى ذلك أخيرًا، طلبت يوكي عرض مقطع الفيديو.

بعد انتهاء المشاهدة، قالت للمحقق براند: "لقد رأيت المقابلة التي أجريتها مع آرون–ري كورديل. أنا فقط بحاجة إلى بعض المعلومات الإضافية. ما الدافع الذي كنت تظن أنه كان لديه ليطلق النار على تجار المخدرات الثلاثة؟".

قال براند: "الدافع؟"، ثم رفع حاجبيه مندهشًا وتراجع للخلف قليلًا. وقال: "لقد كان سطوًا مسلحًا. ربما أراد المال، أو المخدرات، أو كليهما".

"وماذا كان بحوزته عندما ألقيتم القبض عليه؟".

أجاب ويتني: "لم يعثر رجال الشرطة الذين اعتقلوه سوى على السلاح. فإما أنه ترك المسروقات في مكان أمين، أو أخذها أحدهم منه".

سألت يوكي: "وهل أكد كورديل هذه الشكوك؟".

قال براند: "لقد نفى كل شيء. وبما أن الضحايا ماتوا، لم يكن لدينا أي دليل آخر".

قالت يوكي: "فهمت. يعني هذا أنه باعتراف آرون–راي حُلَّت القضية".

قال براند: "لقد فعلنا كل ما بوسعنا، ولكنه ظل ينفي كل شيء حتى لم يعد يستطيع الإنكار، واعترف في النهاية أنه وجد السلاح، وأطلق النار على الرجال، ثم فر هاربًا".

قالت يوكي: "وصدقتموه؟ لقد كان عمره خمسة عشر عامًا، وذكاؤه أقل من الطبيعي، وبلا سوابق".

أجاب براند: "لقد أخبرنا أنه في الثامنة عشرة من عمره، وكان ذكيًّا بما يكفي لإطلاق النار على ثلاثة أوغاد. إنه يستحق التكريم على فعلته. من المؤسف أنه قُتل؛ فقد أسدى المجتمع خدمة ثلاثية".

"هل تم فحص يدي آرون–ري وملابسه لمعرفة إذا ما كانت هناك آثار للبارود؟".

"كلا، فقد احتجزناه مباشرة بعد اعتقاله لحمل السلاح. كنا نظن أنه سيعترف على الفور، لكن الأمر استغرق وقتًا أطول، ونسينا مسألة فحص آثار البارود".

قالت يوكي: "لكن هل لديك أي شك حتى يومنا هذا في أن آرون–ري كورديل هو من أطلق النار؟".

قال براند: "مطلقًا. ليست لديَّ ذرة من الشك".

الفصل 35

كان المحقق ستان ويتني أكثر تهذيبًا من شريكه. كان رجلًا وسيمًا ذا لحية قصيرة، يرتدي نظارة رفيعة الإطار وقميصًا من الجينز الأزرق تحت سترته الجبردين الزرقاء.

سألت يوكي ويتني الأسئلة نفسها التي سألتها لـ براند وحصلت على الإجابات نفسها. قبض على آرون–ري كورديل بسبب حمله سلاحًا أطلق منه الرصاص حديثًا. قال الفتى إنه لم يطلق النار على أحد، لكن تفسيره لسبب حمله السلاح كان ضعيفًا، وكان هو المشتبه به الرئيسي. بعدها اعترف بارتكابه جريمة القتل الثلاثية.

سألت يوكي ويتني عن سبب عدم وجود محام يمثل آرون–ري في التحقيق، فأخبرها المحقق أن المشتبه به تنازل عن حقه في الحصول على محام. ولأنه لم يكن لديه سوابق، وكذب بشأن سنه، ولم يتصل بوالديه، فلم يتم إحضار والديه.

خلال الاستجواب، لم يقل باريزي شيئًا، ولم يسأل عن شيء، فقط ثبت نظره على يوكي طوال الوقت. لقد كانت نظرة عابسة بعيدة كل البعد عن نظرته الودودة المعتادة، وكان هذا مخيفًا. عندما انتهت يوكي من استجواب ستان ويتني، سألها المحامي المشارك لـ باريزي بمكتب مورهاوس آند روجرز قائلًا:

"أهناك شيء آخر يمكننا مساعدتك به يا سيدة كاستيلانو؟".

قالت يوكي: "لا. شكرًا على وقتكم".

لـم تشعر بأنها استطاعت الخروج من غرفـة المؤتمرات بالسرعة الكافية. كان براند شرطيًّا مخيفًا، أما أسلوب ويتني المباشر فإنه يوهم من يحدثه بنيَّته الطيبـة. ولكن بعـد الاستماع لشهادتهمـا ومشاهدة مقطع فيديـو الاستجواب، ستتمكـن أي هيئة محلفين متفتحة مـن إدراك تلاعب رجال الشرطة بصبي لم يكن يستطيع مقاومتهم.

فـي الدقائـق القليلة الفاصلـة بين مغادرة مكتـب المحامـاة والوصول إلى سيارتها، تسلل الشك إلى عقل يوكي.

باريزي.

إنها ستقف ضد باريزي أمام القاضي وهيئة المحلفين. باريزي الذي حظي بخمسـة عشـر عامًا من الخبرة في الدعـاوى القضائية قبل أن يبـدأ العمل في مكتب المدعي العام منذ ثماني سنوات.

سيفعـل باريـزي ما بوسعـه لدعم ويتنـي وبراند فيمـا يتعلـق بالاستجواب القانونـي والاعتقـال الـذي سيتبعـه. كل ما كـان عليه القيـام به هـو إظهار أن الاستجواب الذي أدى إلى اعتراف آرون-ري كان قانونيًّا تمامًا.

إذا استطـاع إقنـاع هيئـة المحلفيـن بذلـك، فـإن آل كورديـل سيخسرون قضيتهم، وستذل هي أمام الجميع. وهي لا يمكن أن تسمح لهذا بأن يحدث.

لا يمكن.

الفصل 36

غادرت سيندي مبنى جريدة كرونيكل، وبمجرد أن رفعت يدها لطلب سيارة أجرة توقفت أمامها واحدة على الفور. إنها ضربة حظ في ساعة الذروة. أعطت السائق عنوان كوينس، وهو مطعم رائع في منطقة جاكسون سكوير. جلست سيندي تفكر كم كان ريتشي غامضًا عندما اتصل بها وطلب منها مقابلته لتناول العشاء. لم تكن قادرة على فهم أي شيء منه، لكنه كان في مسرح الجريمة وبالتالي غير قادر على التحدث.

إلا أنها كانت تفكر متسائلة عما لم يقله لها.

كعادتها، راحت تسترجع ذكرياتها معه. فكرت في علاقتهما المذهلة، وحياتهما الرائعة في أثناء فترة خطبتهما. تأثرت هذه العلاقة كثيرًا بخلافاتهما، إلى أن تلاشى سحر حبهما مع احتدام هذه الخلافات.

لقد انفصلا، وعانى كلاهما بطريقة أو بأخرى. ولكن الظروف وضعتهما في طريق بعضهما مجددًا، وبدآ يتواصلان على مستوى أعمق.

والآن عادا يحبان بعضهما مجددًا، وكانت سيندي خائفة.

لم تخش سيندي التقارب أو سحر الحب. ما أخافها هو أنها كانت ترى كم يحبها ريتشي ويقدر علاقتهما. كانت تشعر بأنه سيرغب في تجديد التزامهما بالعلاقة، وسيطلب يدها مجددًا، وهذا - للأسف - سيعيدهما للأسف إلى

نقطة النزاع الرئيسية، وهي رغبة ريتشي في إنجاب أطفال، أطفال كثيرين وفي أقرب وقت ممكن. وكانت سيندي ترى أن هناك وقتًا لكل هذا، ولكن فيما بعد.

ففي الأسابيع الثلاثة الأخيرة، على سبيل المثال، كانت تعمل على قصة صحفية بشعة عن رجل قتل زوجته وحماته وابنيه الصغيرين. كانت قد أجرت بحثها، وكتبت قصتها المكونة من خمسة آلاف كلمة ونقحتها، وأرسلتها إلى تايلر قبل ثلاث دقائق من موعد إغلاق الجريدة. وفي الغد كانت أمامها جولة لعشرة أيام للترويج لكتابها.

وكان كتابها مصدرًا رائعًا للسعادة، وليس هذا بسبب دورها الرئيسي في حل جريمة رهيبة فحسب، فقد ألفت كتابًا عنها، واستطاعت نشر هذا الكتاب، الذي بدأ يحقق نجاحًا ملموسًا. كما طلب منها محررها منح الناشر أفكارًا لكتب جديدة، وكان هذا مذهلًا بحق. الكثير من الأشياء العظيمة كانت تتحقق، أشياء عملت على الوصول إليها لسنوات. سنوات طويلة!

لكن في الوقت نفسه، لم تكن تريد أن تفقد حبيبها ريتشي. لقد أحبته كثيرًا، وافتقدته كثيرًا، وأحبت العودة إلى المنزل، والجلوس بقربه وضمه إليها طويلًا، إلى أن يتبدد توتر اليوم كله.

أرجوك يا ريتشي، أرجوك لا تضغط عليّ. أرجوك لا تكرر أخطاء الماضي.

سألها السائق: "أهذا هو المكان الذي تريدينه يا آنستي؟".

أجابت: "نعم، تمامًا. شكرًا لك".

أعطت سيندي السائق أجرته، ودخلت المطعم. اصطحبها رئيس النُدل الذي يدعى أرنولد إلى الجزء الخلفي الأكثر خصوصية من المطعم، وهو مكان رائع للغاية بجدرانه ذات الديكور المميز وثرياته الزجاجية ذات الطراز الفينيسي، وكانت رائحة الطعام اللذيذ تعبق الجو.

جلست سيندي وطلبت كأسًا من الشراب، وكانت تحتسيه حينما رأت أرنولد قادمًا يصطحب ريتشي إلى طاولتهما. انحنى ريتشي ليقبل يدها، ثم ارتاح في مقعده. حمل الهواء البارد القادم من الخارج رائحة حبيبها النظيفة، والتي كانت خليطًا من الشامبو ومنعم الأقمشة. بدا رائعًا بحق.

قال مشيرًا إلى كأسها: "وما المناسبة؟".

هزت كتفيها وقالت: "لقد كنت متوترة طوال اليوم. استطعت إرسال قصتي إلى تايلر قبل انتهاء الوقت المحدد. والآن أفكر في الجولة التي تنتظرني ...".

"أعلم. ستقضين أسبوعين تقريبًا بعيدًا عن المنزل. لهذا السبب أردت تناول العشاء في مطعمنا المفضل، والتمتع ببعض الوقت *وحدنا*".

"حقًا؟".

"بالتأكيد. الوضع سيئ يا سيندي. أنا أفتقدكِ من الآن".

نحَّت سيندي الكأس بعيدًا، وأمسكت يد ريتش قائلة:

"أنت أفضل رجل عرفته في حياتي. حقًّا".

جذبها نحوه وعانقها.

قالت: "يا إلهي، وأنا سأفتقدك أيضًا يا ريتشي".

الفصل
37

التقيتُ يوكي لتناول الغداء في جراوتشي لين في حي دوجباتش، وهو مطعم صغير مصمم بنظام المقصورات التي تكفي لشخصين، ويزين جدرانه ورق حائط مخطط، وكان المطعم يقدم أفضل أنواع البطاطس المقلية في المنطقة بأسرها. طلبتُ كلوب ساندوتش مع جميع الإضافات، وبدأت ألتهم شطيرتي ناظرة إلى يوكي التي كانت تعبث بشوكتها في طبق السلطة بشرود.

لطالما كانت يوكي مزاجية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ما يعني أنها يمكن أن تكون مركزة وجادة في لحظة، وفي اللحظة التي تليها تنطلق ضاحكة وتحسن مزاج أي شخص يحادثها على الفور. ولكن منذ مرت بتجربة الاقتراب من الموت خلال شهر عسلها قبل بضعة أشهر، هي ومئات الأشخاص الآخرين، لم أعد أسمع ضحكتها سوى بالكاد.

وهي لم تكن تضحك الآن عندما أخبرتني أنها اتخذت قرارًا مصيريًّا سيغير حياتها.

وضعتُ بعض الكاتشب على البطاطس المقلية في طبقي، ثم قلت: "أي قرار؟".

قالت يوكي: "قبلتُ الوظيفة".

وضعت شوكتها على المائـدة، تاركة السلطة التي لم تمسها، وأخبرتني عن مؤسسة غير ربحية تسمى رابطة الدفاع، وأنها الآن تدافع عن موكلها *الميت*.

"ومن هذا الموكل الميت؟ وما الذي يفترض أن تقدميه له؟".

"اسمه آرون–ري كورديل، وأرى أن الشرطة أجبرته على الاعتراف بجريمة قتل ثلاثية لـم يرتكبها. وفي أثناء انتظاره للمحاكمة في السجن، قتل في حمام السجن على يد مجهول".

صدرت عني زمجرة خافتة. إن أساس عملنا هو الحصول على الاعترافات، وقد يُسمح لرجال الشرطة بالكذب، ومن المنطقي أن يجبر المتهم أحيانًا بحيلة ما على الاعتراف بأمور لم يفعلها، ولكن هذا لا يحدث كثيرًا، على حد علمي.

كانـت يوكي تقول: "ليندسي، إذا كانت هذه القصة صحيحة في الواقع، إذا أُجبـر كورديل على الاعتراف فعلًا، ثم قُتل فـي أثناء انتظاره للمحاكمة، سأقف في هـذه القضية ضد سلطـات المدينة، وشرطة سـان فرانسيسكو، وربما ضد الشرطيين اللذين استجوباه، مقابل مقدار لا أعرفه من الملايين".

توقفتُ عن الأكل.

لا شـك فـي أن دعوى قضائية ضد الشرطة ستكـون كارثة لكل شخص فيها – كارثة حقيقية. باعتباري صديقة يوكي، كان عليَّ أن أكون صوت العدالة. لكن كفى كلامًا عني.

قلتُ: "زوجكِ ملازم بشرطة سان فرانسيسكو".

"أعرف ذلك يا ليندسي".

"ما رأيه؟".

"إنه غاضب. نحن نتحدث بالكاد".

"يا إلهي. أأنتِ متأكدة من براءة كورديل؟".

"لقـد قُبض عليه وهـو يحمل سـلاح الجريمة. كـان في الخامسـة عشرة، وبمعـدل ذكـاء منخفض. كـان من السهـل جعله يعتـرف. لقد شاهـدت فيديو الاستجـواب. كـان الشرطيان مخادعين كاذبين يا ليندســي. كانا يحتالان عليه بقولهمـا: *أخبرنـا بما فعلتـه وبعدها يمكنك العـودة إلى البيت*. ثـم أخبراه بما اعتقدا أنه فعله".

استمـرت يوكـي تقول: "قد يساعدنـي أن أعرف لماذا قُتـل آرون–ري. هل أغضـب شخصًا في السجن مثلًا؟ أم أنه قُتل انتقامًا لمصرع تجار المخدرات؟ لأن هذا سيؤكد أنه مذنب".

قلت: "آمل ألا أندم على هذا يا يوكي، لكنني سأبحث عمن كان محتجزًا في الوقت نفسه الذي كان كورديل فيه في السجن. سأرى ما يمكنني معرفته، لكني لا أعدكِ بشيء".

قالت يوكي: "عديني فقط بأنه مهما حدث سنظل صديقتين".

قلت: "*هذا* يمكنني أن أعدكِ به".

الفصل 38

قبل الخامسة من مساء ذلك اليوم، تبعت يوكي الضابط كريد ماهوني عبر عدة أبواب فولاذية إلى السجن الكائن في الطابق السادس من مقر قيادة الشرطة. ومن هناك، تم اصطحابها إلى إحدى غرف الزيارة شديدة الضيق ذات النوافذ العالية المكسوة بالقضبان، والمخصصة للمقابلات بين السجناء والمحامين.

انتظرت عشر دقائق تقريبًا قبل أن ينفتح الباب ويدخل توني ويليس "الصغير" الغرفة مكبلًا من الرسغين إلى الكاحلين. كان يرتدي بذلة السجناء البرتقالية، وذراعاه تغطيهما الوشوم، وشعره مجعدًا، وملامحه يكسوها التمرد.

قال توني الصغير بينما كان ماهوني يصل قيوده بالخطاف المعلق في الطاولة: "ذكريني. من أنتِ مجددًا؟".

قال ماهوني: "خمس عشرة دقيقة. اتفقنا يا سيدة كاستيلانو؟ سأعود بعدها".

ثم أقفل الباب وأغلقه بالمفتاح.

قالت يوكي لتاجر المخدرات الصغير الجالس أمامها، والمتهم بالعنف الزوجي، والذي يحتمل أنه قاتل أيضًا: "أنا المحامية يوكي كاستيلانو. أحتاج إلى معرفة أي معلومات تخص مقتل آرون–ري كورديل. ما الذي لديك؟".

قال: "هل تمزحين معي؟ أتسألينني هل قتلته أم لا؟ لأنني لم أفعل. هل معك سجائر؟".

قالت: "تمنيتُ أن تكون قادرًا على إخباري بمن قتل كورديل. سيكون هذا مفيدًا حقًّا".

"مفيدًا لمن؟ ليس لديَّ شيء لأخبرك به لأنني لم أفعل شيئًا لهذا المعاق. إذا كان هذا كل شيء، فوداعًا يا سيدة كاسيلاندرو".

"ما أعرفه أنك قدمت معلومات تدين خورخي سييرا". كانت يوكي تشير إلى إمبراطور المخدرات المتوحش بجنوب كاليفورنيا الذي كان يعرف باسم كينج فيشر. لم تكن الشرطة تعرف مكانه، وحتى هويته الحقيقية كانت لغزًا.

"كنت واحدًا من مقربيه، أليس كذلك يا توني؟ لا تحاول الكذب. أعرف رجال شرطة كثيرين، وأعرف أنك تعاونت معهم. إذا اكتشف سييرا، سيحول حياتك القصيرة إلى عذاب مقيم".

بدا الصبي خائفًا للمرة الأولى. دار بعينيه في الغرفة الصغيرة، بحثًا عن كاميرا في الغالب.

ثم قال: "من قال هذا؟ من أخبرك بأنني وشيت بالملك هو كاذب يا سيدتي. أنا لست أحمق".

قالت يوكي مستمرة في الضغط: "دعني أكن واضحة معك. أنا لا أريد اتهامك بقتل كورديل. ما أريده هو معرفة سبب مقتل هذا الصبي".

قال توني ويليس: "لن نختلف. حسنًا، اسمعي. أنا لم أفعل هذا، ربما من فعلها سجينان هنا يعملان لحساب الملك. لكن كي أكون صادقًا معكِ، فإنه رغم تردد اسم كينج فيشر، فأنا لا أعتقد أن له علاقة بهذا. أنا أخمن فقط يا سيدة كاسيلاندرو؛ فأنا لا أعرف شيئًا عمن قتل آرون-ري. هذا هو كل ما لديَّ، وأقدمه لك مجانًا عن طيب خاطر".

قالت يوكي: "سأجلب لك سجائر من المقصف".

فقال: "أهذا كل شيء؟".

"هذه بطاقتي. إذا تذكرت أي شيء جديد حول مقتل آرون-ري، اتصل بي".

بعد أن تم اقتياد توني ويليس لمحبسه، استقلت يوكي المصعد ثم انطلقت إلى الشارع، واتجهت إلى المرآب تحت الأرض، وعثرت على سيارتها. ثم ذهبت

إلـى مكتبها، وعقلها شـارد فيما أخبرها به توني الصفيـر، والذي لم يكن شيئًا يذكر.

*اللعنـ*ـة. فكرت فـي آرون–ري، تلك النظرة اللطيفة علـى وجهه في الصورة التـي كانت تحملها أمـه. لم تستطـع أن تتخيل أن هذا الصبي قتـل ثلاثة تجار مخدرات كانوا من أصدقائه.

مهما فكرت في الأمر، كانت فكرة قتل آرون–ري لثلاثة تجار مخدرات غير منطقية على الإطلاق.

الفصل
39

يفترض أن ويكر هاوس كان معرضًا لبيع أثاث الخيزران والروطان المستورد بسعــر الجملة. كان يقع على أطراف حي بيرنـــال هايتس بشارع كورتلاند، وهي منطقــة للصناعات الخفيفة متوسطة الإيجــار، والتي أصبحت مأهولة بالسكان بعد تشييد الطريق الصاعد إلى التل.

كـــان هذا المبنـــى بعينه يقع في منتصف المربع السكنـــي، ويتماشى مع بقية المباني الرمادية المكونة من دورين أو ثلاثة، بعضها به ألواح خشبية مثبتة تحت الأفاريـــز، والعديد منها به مخـــارج للطوارئ. لكن ليس هنـــاك مبنى واحد منها يشعرك بالترحيب.

كان الجزء الخلفي مـــن المكتب مفتوحًا على مرآب يمكن دخوله عبر طريق الخدمـــات. كـــان الباب الخلفـــي مصنوعًا مـــن الصلـــب المقـــوى، وعُلِّقت عليه لافتتـــان، كانت الأولى تقول: **للتجار فقط**، والثانية: **الدخول بموعد مسبق**. لم يكن اسم المتجر أو رقم الهاتف مذكورين في اللافتتين.

فـــي الثالثة صباحًا، كان المرآب الذي يقع عند الباب الخلفي لـ ويكر هاوس يـــأوي سبع سيارات، سيارة مالك ويكر هاوس ناثـــان رويس المرسيدس إس إل، بالإضافة إلى سيارات بقية الموظفين.

كمـا كانت هنــاك شاحنة متوقفة في المرآب، ليس بعيـدًا عن الباب الخلفي للمعرضـ، لكن خارج نطاق كاميرا المراقبة في الوقت نفسه. كانت شاحنة فورد بيضاء لا تحمل أرقامًا، وكان الرجل الذي يدعى "واحد" جالسًا خلف عجلة القيادة.

كان "واحد" يحفـظ مخطط مبنى ويكر هاوس عن ظهر قلب بمساعدة من أحـد الوشـاة. كان الجزء الأمامي من الطابق الأرضـي للمبنى عبارة عن صالة عرضـ تفتقر إلى الأناقـة. أما الجزء الخلفي منه فكان عبـارة عن معمل سري يمكـن الوصول إليه من الباب الخلفـي، ما يجعله ملائمًا لنقل المواد الكيمياوية والمنتجات بسرعة.

كان فنيو المعمل يصنعون العقاقير الاصطناعية: الكاثينونات، المعروفة بين العامة باسم أملاح الاستحمام، والكانابينويدات، أي الماريجوانا الاصطناعية. وكـان الطابق الثاني من ويكـر هاوس عبارة عن مخزن مؤقـت للمنتج المنتظر شحنــه. كما كان هناك مخزون كبير من الهيروين في ذلك الطابق، وفي أوقات معينة، كان يتم تبادل مبالغ كبيرة من الأموال السائلة داخل المبنى.

وقد أخبره الواشي بموعد انتقال الشحنات من ويكر هاوس إلى مقر الشركة الأكبر، وإن لم تكن الوجهة النهائية معروفة. إجمالًا، كانت الغنيمة تزيد قيمتها على خمسة ملايين ونصف المليون.

كـان الرجال داخـل المبنى مسلحيــن ومتيقظين، ما جعل هـذا العمل أكثر خطورة من قتل بعض المدمنين في وكر مخدرات.

قال "واحد" لرجليه: "عشر دقائق، اتفقنا؟ دعونا لا نضيع الوقت".

عــم التوتر الشاحنــة بينما كـان الرجال الثلاثـة يرتدون الستــرات الواقية للرصاص، وسترات الشرطة، وأقنعة الغاز، والقبعات التي تحمل رمز شرطة سان فرانسيسكـو. أعد الرجــال بنادقهم الآلية طـراز إم-١٦ ، وحشوها بالرصاص، وعندمـا صاروا جاهزين، خرج "واحد" مــن الشاحنة وأطلق النار على الكاميرا المثبتة فوق الباب الخلفي. لم يُسمع صوت الرصاصة بسبب كاتم الصوت.

خرج "اثنان" و"ثلاثة" من الشاحنة، وذهبا باتجاه الباب الخلفي المصنوع مــن الفولاذ. ثبتا عبوات ناسفة صغيــرة على القفل والمفصلات، ثم وقفا بعيدًا بينمــا ضغط "اثنان" زر التفجير عن بُعد. لــم يسمع صوت الانفجار المنخفض في المنطقة التي كانت شبه مهجورة في الليل.

أخـرج "واحـد" و"اثنان" البـاب من إطاره، ثم دخل "ثلاثـة" إلى الممر القصيـر الذي يقود إلى المعمل، وبدأ في إطلاق النـار ببندقيته الآلية المزودة بكاتـم الصـوت. حُطـم الزجـاج، وتناثـرت الدمـاء، وبمجـرد سقـوط جميع المتواجدين، هرع الرجـال الثلاثة المرتدون سترات الشرطة إلى الباب المغلق الذي يقود للطابق الثاني.

بعـد تحطيم القفـل بالرصاص، حطم الجنـاة الباب وهرعـوا نحو الطابق الثاني.

لكنهم قوبلوا بوابل عنيف من الرصاص.



الفصل 40

كان "اثنان" في المقدمة، بينما أدى وابل الرصاص إلى تحطيم الألواح، وتناثر بقايا الجص وفوارغ الرصاص فوقه هو وزميليه.

كان إطلاق النار شيئًا متوقعًا.

ألصق الرجال الثلاثة أجسادهم بالحائط، وصاح "واحد": "*شرطة! ألقوا أسلحتكم!*".

صوب "اثنان" قاذفة القنابل، ورمى قنبلة فلفل قوية أعلى الدرج.

سمعوا صوت فرقعة قوية، ثم سقطت القنبلة على أرضية المخزن وصدر عنها أزيز بينما كانت تطلق الغاز الحارق. وبعد لحظات، تعثر رجلان في الطابق الثاني باتجاه الدرج، وأيديهما على عيونهما الدامعة، وبدآ يسعلان بشدة دون توقف، ثم قالا: "ليست لدينا أسلحة. لا تطلقوا النار".

قال "واحد": "آسف، لكن ضعوا أنفسكم مكاني".

ثم أطلق رصاصتين من بندقيته طراز إم-١٦، ثم تنحى عن طريق الجثث بينما كانت تتدحرج نحو أسفل الدرج.

صعد الجناة إلى الطابق الثاني، وجال "واحد" بعينيه في المخزن، فوجده كما وصفه الواشي. كان المخزن يحتل الطابق الثاني بأكمله.

في الجزء الأمامي، أمام الجدار المواجه للشارع، كانت هناك أكوام من أثاث الخيزران. في الخلف، حول المكان الذي كان يقف "واحد" فيه هو

ورجالـه، كانت معـدات المكاتب مرصوصـة على مختلف الطـاولات والرفوف. كانت هناك آلات تصوير، ولفائـف من الشرائط اللاصقة، وموازين، وعدادات نقـود، وعلب من الكرتون، وحاسـوب محمول تعرض شاشته ما تسجله كاميرات المراقبـة داخل وخارج المعرض، بما فـي ذلك الصورة المشوشة التي تعرضها الكاميرا التي أطلقوا النار عليها عند الباب الخلفي.

كما أمكنهم رؤية خزانة للأسلحة في الزاوية، وكانت أبعادها ٥×٣×٢ قدم. كانـت الخزانة مفتوحة، ما وفر عليهم عناء تفجير الباب. وجدوا الخزانة مليئة بأكياسـ الهيروين، وبجوارهـا تراكمت العديد من العلـب الكرتونية الصغيرة، وسـت حقائـب خضراء من القماش. فتـح "ثلاثة" الحقائـب وأعلن: "نقود بلا عدد يا واحد".

سمـع "واحد" سعـالًا قادمًا مـن إحدى الخزائـن. فصـوب بندقيته، وفتح البـاب، فوجـد رجلًا يجلـس داخلها، ويغطي عينيـه بذراعيه. نظـر الرجل إلى أعلى، ووجهه متورم من قنبلة الفلفل، وصرخ باكيًا: "لا أستطيع أن *أرى*".

سأل "واحد": "أين دوني؟ أين راسكال؟".

سعل الرجل في الخزانة وقال لاهثًا: "غادرا".

فقال "واحد": "حسنا. آسف، لكن لا بد لي من القيام بذلك يا أخي".

صوب سلاحه على الرجل في الخزانة وأطلق النار. صرخ الرجل، ثم انهار.

سأل "واحد": "أأنتم بخير يا رفاق؟".

بعـد أن أخبـره "اثنـان" و"ثلاثـة" أنهما بخيـر، اتجه "واحـد" إلى العلب الكرتونيـة المكدسة على الأرض، ثم مزق الشرائط اللاصقة بشيء من العنف، لتظهر طـرود بحجم ٨×٦×٤ بوصة مغلفة بعناية بالـورق اللامع، والتي تحمل أسماء مثل "الموجة الزرقاء"، و"الخيال الجامح"، و"التنين الخارق".

كان هناك مئات الكيلوجرامات من الحشيش الاصطناعي في هذه الأكياس، بالإضافة إلى الهيروين الموجود في خزانة الأسلحة. وبما أن حقائب المال كانت معبـأة بالفعل، فإنهم كانوا جاهزين للانطلاق. تحـرك الرجال الثلاثة صعودًا وهبوطًـا علـى الدرج، الذي تناثرت فيـه الجثث وفوارغ الرصاصـات، ثم حملوا حقائب النقود والصناديـق الكرتونية وأكياس المخدرات، والحاسوب المحمول إلى الشاحنة.

بعـد وضع آخـر جزء من الغنيمة بأمان، عاد "واحـد" إلى المعرض، للتأكد من موت الرجال المغدورين جميعًا. ثم أطفأ الأنوار وأغلق الباب.

كـان ويكـر هاوس قد أفلس. لكن "واحد" ورجليه صـاروا قريبين للغاية من التقاعد المبكر.

لقد أحسنوا عملًا اليوم.

الفصل 41

رن جرس الهاتف في وقت أبكر من اللازم بكثير.

قال جو وهو نصف نائم: "سأذهب لتفقد الطفلة".

لكني همست: "استرح أيها العميل، سأتولى الأمر".

التقطت هاتفي من على طاولة السرير ولاحظت أن الساعة كانت ٥:٥١، وأن المتصل كان برادي. كنت خارج الخدمة على حد علمي، لكني أخذت الهاتف وذهبت إلى الحمام، وأجبت قائلة: "ما المشكلة يا برادي؟ مسألة شخصية أم خاصة بالعمل؟".

أجاب: "بل خاصة بالعمل".

حمدًا لله، فلم أكن أريد سماع أنه هو أو يوكي كانا في مشكلة. بمجرد أن اطمأننت على ذلك، كان عليّ أن أعرف سبب اتصال برادي في الفجر بحق السماء؟

عدت أقول: "ما الخطب؟".

دخلت مارثا الحمام وظلت تلف في دوائر حول ساقي حتى نجحت في جلبي إلى المطبخ. كان وعاء الطعام الخاص بها فارغًا.

قال: "أنا في حيك السكني".

"هل تعني أنك تريد المرور علينا؟ الساعة لم تبلغ *السادسة* حتى".

قال: "لقد جئت للتو من مسرح جريمة. إنها مجزرة".

قلت: "سأعد القهوة".

بحلول الوقت الذي أخذت فيه حمامًا وارتديت ما وجدته على المقعد بغرفة النوم، كان برادي على الباب. بدا شاحبًا، ولم يكن هذا بسبب الإضاءة.

قلت: "اجلس"، مشيرة إلى مقعد في منتصف المطبخ. تأكدت مرة أخرى من أن بابي غرفتي النوم كانا مغلقين، ثم صببت القهوة ووضعت الحليب والسكر. تراجعت إلى الخلف مستندة إلى الموقد، وعقدت ذراعيَّ، وانتظرت أن يتكلم.

قال: "لماذا رفضتِ الترقية إلى ملازم؟ أعني، كان بإمكانكِ الحصول عليها بسهولة قبل أن تتنازلي، وكان بإمكانك الحصول عليها بعد ترقية جاكوبي. لكنك رفضتها مرة أخرى".

أجبت: "لم أستطع تحمل فكرة العمل المكتبي المكثف، والاجتماعات، وكل سخافات الإدارة الوسطى. كنت أرغب في العمل على القضايا، كل قضية على حدة".

قال برادي: "حقًّا؟ أشعر كأنني أتحول إلى وغد تسمين في المائة من الوقت".

وبدأ يحتسي قهوته، لكن الفضول كان يقتلني.

"ماذا حدث يا جاكسون؟".

"كانت فرقة مكافحة المخدرات تراقب منزلًا في حي بيرنال هايتس لبضعة أشهر. إنه مصنع يعمل تحت ستار صالة عرض للأثاث. كانوا يراقبون المكان، لكنهم لم يعرفوا ما حدث حتى انتهى الأمر".

هز رأسه وأكمل قائلًا: "المشهد داخل المكان أشبه بمنطقة حرب".

سألته: "أهناك قتلى؟".

أجاب: "بالطبع. سبعة على ما أظن".

سألته مجددًا: "ماذا كان هذا؟ عملية سطو؟".

قال برادي: "هذا ما يبدو عليه الأمر. الرجال الموتى يشبهون الموظفين. نعتقد أن المهاجمين هربوا. وجدت فرق مكافحة المخدرات مقطعا مدته أقل من ثانية يظهر ثلاثة رجال في شاحنة بيضاء تغادر مرآب ويكر هاوس، وكان أحدهم على الأقل يرتدي سترة شرطة سان فرانسيسكو".

قلت: "غير معقول!".

أكمل برادي: "إذا كان هذا بفعل العصابة نفسها، فإنهم يترقون من سرقة أوكار المخدرات والمتاجر الصغيرة إلى الغنائم الكبرى كهذه. ربما وجدنا الآن فرصتنا".

ثم استغرق برادي في التفكير.

"ماذا يا برادي؟ أي نوع من الفرص؟".

انتبه لي وأجاب: "لدينا لقطات لوغدين يغادران المكان في وقت مبكر من الصباح، قبل أن يبدأ الهجوم. إنهما لا يشبهان الجناة، لكن لا بد أنهما يعرفان شيئًا. وقد تعرفنا عليهما. مجرد وغدين كما قلت".

ثم أردف: "اتصلي بكونكلين، وسأتصل أنا بسوانسون وفاسكيز. كلابر في مسرح الجريمة الآن" وكان يقصد بكلابر صديقي مدير معمل الطب الشرعي.

حدق برادي في قدح القهوة ثم قال: "اسمعي يا ليندسي. أعلم أنني كنت وغدًا معكِ في الآونة الأخيرة. أنا متوتر بسبب هذه العصابة التي ترتدي زي الشرطة، ولم أقصد أن أسيء إليكِ. أنا آسف".

ثم تحشرج صوته. كانت هذه هي طريقة برادي في الاعتذار.

قلت له: "لا بأس. أتفهم هذا تمامًا".

قال: "أنا في صفكِ دائمًا".

ابتسمت له، ورد الابتسام. أحيانًا أكره برادي وأحيانًا أحبه حقًا. وفي هذه اللحظة كنت أحبه. وقبل أن يبدأ أحدنا في البكاء، أعطاني تفاصيل مسرح الجريمة وطلب مني معاينته والاتصال به كل ساعة.

عندما ذهب، أرسلت رسالة نصية إلى كونكلين.

ووصلني رده على رسالتي.

وصل كونكلين إلى ويكر هاوس بعدي بعشر دقائق. بعد جولة في حمام الدم، قال شريكي: "لا أستطيع أن أصدق أن شرطيين هم من فعلوا *هذا*".

كان أربعة من القتلى السبعة غير مسلحين، وكانت فوارغ الرصاصات تكسو الأرضية على الدرج وداخل كل طابق.

كنت أنا وسوانسون وفاسكيز وكونكلين نراقب عمل المحققين في مسرح الجريمة عندما جاء كلابر وقال لي: "لدينا بصمات لا حصر لها. أما بالنسبة للفوارغ، فلدينا كل الأنواع. مِن وضْع الجثث، يبدو لي أن الرماة استفادوا من عنصر المفاجأة، كما أنهم استخدموا كاتم الصوت".

ثم أخبرنا كلابر بلطف بأننا نعطله عن القيام بعمله قائلًا:

"بمجرد أن أعرف أي شيء، سأتصل بكم".

الفصل 42

كانت الساعة الخامسة صباحًا عندما أوقف دوني وولف سيارته في مكان مجاني مخصص لوقوف السيارات في شارع سكني بحي إنر صن سيت.

كان يقف مستندًا إلى غطاء محرك سيارته الشيفروليه كامارو الحمراء طراز ٢٠٠٢. انتشرت المنازل على جانبي الجادة الثانية عشرة، بسلالمها القصيرة التي تفضي إلى الأبواب الأمامية، ومنحدراتها التي تقود إلى المرائب. كان المنظر كله يوحي بالدفء العائلي عمومًا.

لقد ظل بالخارج طوال الليل، وكان يتحدث إلى فتاته على الهاتف قائلًا: "كنت أعمل لوقت متأخر يا تامرا. قومي فقط بحزم ما تحتاجين إليه لبضعة أيام ولا تتحدثي مع صديقاتك، *أو* مع والدتك، أو مع هذا الغبي بالطابق السفلي. أمامي اجتماعان ثم سأعود إلى البيت للنوم. بعدها سنخرج من هنا".

كانت تامرا حاملًا في الشهر الخامس. لم يطلعها دوني على طبيعة عمله، وتقبلت هي هذا. لكن من الواضح أنها لم تحب الهروب من المدينة متسللة، دون أن تعرف أين هما ذاهبان، ودون أن تخبر أمها.

قال: "سيكون الأمر رائعًا يا تام. ثقي بي. لا تتكلمي. احزمي متاعكِ، وابقي هادئة".

كانت سيــارة الفورد الرمادية تقترب منه، وتوقفت خلفه تمامًا. جذب دوني أطـراف قميصه، وتأكد من تغطية السلاح الذي يضعه في حزامه. ثم خرج من سيارته وسار نحو الرجل الذي كان يعرفه باسم "واحد".

سأل دوني: "كيف سار الأمر؟ أكل شيء بخير؟". كان الرجل ممتلئًا ويرتدي نظارة شمس ضخمة، وقبعة خفضها بحيث كانت تخفي عينيه.

قال "واحد" لواشي ويكر هاوس: "لا تقترب أكثر من هذا". توقف دوني عن السير وأظهر يديه الفارغتين.

سأل "واحد": "أين صديقك؟".

"راسكال بخير. إنه يبقي نفسه بعيدًا عن الأنظار".

أومـأ "واحد" وقال: "إليك حقيبتك". منحنيًـا على مقعد الراكب. ثم ألقى من النافذة المفتوحة حقيبة من القماش النايلون.

التقـط دوني الحقيبة، ووضعها على الرصيــف، وفتحها. كانت هناك لوحتا سيــارة تابعــة لولاية كولورادو في أحــد أركان الحقيبة، التي كانــت مليئة بأكوام من رزم النقود.

تفقـد الشاب المال، وبـدا المبلغ مرضيًا بل ويزيد علــى المائة ألف المتفق عليها – حصته هو وراسكال.

قال لـ"واحد": "أعتقد أن هذا هو الوداع".

"طالما بقيت صامتًا. لا تجعلني آتي لأبحث عنك".

قال دونـي: "لكن الزعيم ...".

"آخر مرة رأيت الزعيم فيها كان فمه محشوًّا بقطع من قماش السجاد".

قــال دونــي: "لا أتحدث عــن السيد رويس، بـل أتحدث عــن رئيسه يا رجل. الملك. إن لديه فكرة عمن تكون. فلا تلمني على هذا".

قال "واحد": "أعلم من هو أيضًا، وأعلم أين يقطن".

قال دونــي: "ليس رئيسي وليست مشكلتي. أنا بخيــر. سأغادر هذا المكان، فلديَّ خطط".

قــال "واحد": "يجب أن تكون خطتك الأولــى هي التخلص من تلك السيارة المبهرجة. كن حذرًا يا دوني".

أجاب دوني: "وأنت أيضًا يا سيد واحد. وداعًا. اعتنِ بنفسك".

وصــل دونــي إلى سيارتــه، وشاهد "واحد" من المـرآة إلى أن قــاد سيارته بعيــدًا. ثم أخــذ الحقيبة القماشية وسار قليلًا، حتى عبــر الشارع قاصدًا متجر تصليح السيارات في شارع جودا، والذي لن يفتح قبل ثلاث ساعات أخرى.

ذهب إلى الخلف واختار سيارة هوندا سيفيك زرقاء، ليست جديدة، وليست قديمــة، بل السيارة المناسبة ببساطة. لم تكــن السيارة مقفلة، ولم تكن هناك مفاتيــح، لكنه كان يسرق السيارات منذ كان يستطيع المشي. كان هذا غاية في السهولة.

شغــل سلــك المحــرك، ثم خــرج مــن السيــارة وغيــر لوحــات الترخيص باستخــدام إحــدى لوحات كولورادو التــي أعطاه إياها "واحــد". مر دوني أمام سيارتــه الكامــارو المبهجة في الشــارع، ولوح بيده مودعًا إياهــا، ثم قاد سيارة الهوندا شرقًا باتجاه جسر سان فرانسيسكو.

الفصل
43

بعد أن قام تشارلي كلابر بإخراجنا من مسرح الجريمة، عدت أنا وكونكلين إلى مكتبينا في قسم مكافحة جرائم القتل، حيث قضينا الصباح في استعراض اللقطات التي أمدنا بها قسم مكافحة المخدرات الخاصة بالشارع أمام ويكر هاوس.

في تمام الساعة الثانية وأربع وثلاثين دقيقة صباحًا، قبل بدء إطلاق النار، غادر رجلان ويكر هاوس من الباب الأمامي. كانا يرتديان ملابس شبابية: ارتدى أحدهما بنطالاً من الجينز، وسترة داكنة، والآخر سترة فاتحة اللون. كان أحدهما طويلاً عريض المنكبين، والآخر نحيفًا ضئيل البنية.

دخن كلا الرجلين سيجارة سريعًا قبل أن يحيي أحدهما الآخر ويركب كل منهما سيارته.

استقل النحيف سيارة كامارو حمراء طراز ٢٠٠٣ مسجلة باسم دونالد فرانسيس وولف، بينما استقل ممتلئ الجسم سيارة بويك بنيَّة طراز ١٩٩٧ مسجلة باسم رالف فالدين. كان كلا الرجلين في العشرينيات من عمره، لكن وولف كان لديه سجل إجرامي يتراوح ما بين محاولات السطو على المنازل وحيازة المخدرات والاعتداء. كما قضى عقوبة بالإصلاحية لاتهامه بسرقة سيارات.

وكما قيل لنا، في تمام الثالثة واثنتي عشرة دقيقة صباحًا، استطاعت كاميرا المراقبة التقاط مقطع مدته أقل من ثانية لشاحنة بيضاء صغيرة بها ثلاثة مجهولين، وتمكنوا من رؤية أحدهم في مقعد الراكب. غالبًا كان يرتدي سترة شرطة سان فرانسيسكو. أسرعت الشاحنة أمام واجهة ويكر هاوس، وبدا كأن لوحة الشاحنة قد لُطخت بالطين.

لقد شاهدنا ذلك المقطع من الأمام إلى الخلف، ومن الخلف إلى الأمام، كما كبرنا الصورة، وحاولنا تحسينها، واستخدمنا الإيقاف المؤقت، ورغم كل هذا لم نجد طريقة واحدة تمكننا من تحديد هوية أي من الرجال الثلاثة الذين رأيناهم في الشاحنة، غالبًا بسبب الضوء الخافت. أهي عصابة سترات الشرطة؟ ربما؛ فقد رأيت ما يشبه الأحرف البيضاء على قماش أزرق داكن أو رمادي أو أسود.

ذكر كلابر أن كاميرا المراقبة في الجزء الخلفي من ويكر هاوس أُطلقت النار عليها، وأنه لم يتم العثور داخل المتجر على محرك أقراص صلبة أو جهاز حاسوب.

في حوالي التاسعة والنصف من صباح هذا اليوم، قُدمت شكوى ضد سيارة دونالد وولف الكامارو الحمراء التي كانت تشغل الطريق بأحد الشوارع على بُعد مربع سكني من ورشة إصلاح سيارات. وأبلغ رجل كان يعمل في ورشة التصليح بسرقة سيارة هوندا سيفيك زرقاء وأن لوحتيها تركتا في الفناء الخلفي، الذي كان خاليًا من كاميرات المراقبة.

وهذا يعني أن وولف تخلى عن الكامارو ويحتمل أنه يقود سيارة هوندا سيفيك زرقاء بلوحة مسروقة.

أرسلنا بلاغًا لجميع الوحدات بالبحث عن سيارتي الهوندا والبويك، وكان ذا جدوى، حيث أبلغنا بأن السيارتين شوهدتا على الطريق ١٠١ السريع بعد الساعة الثالثة.

استطعت أنا وكونكلين –بمساعدة قسم المرور التابع لشرطة سان فرانسيسكو– العثور على السيارتين في موقف سيارات ملعب إيه تي آند تي بارك في الثالثة والنصف. كان فريق نيويورك جاينتس يلعب ضد سانت لويس كاردز، وكان الجو جميلًا مشمسًا اليوم، وبالتالي كان الموقف ممتلئًا بالسيارات عن آخره.

أظهـرت أنـا وكونكلين شارتينـا، ودخلنا الملعب عبر بوابـة ويلي ميز. حتى أسـوأ المقاعد في ملعب كرة القـدم كان يطل على جسر سان فرانسيسكو، ومن حيث نزلنـا سلالم المدرج، خلف دائـرة وسط الملعب مباشـرة، كان بإمكاننا رؤية الملعب بالكامل.

فـي وسط الملعب، كـان يقف مات هوليـداي، أفضل ضـارب بفريق سانت لويـس، وكانت النتيجـة التعادل بين الفريقين. كانت جميـع العيون على الرامي تيـم لينسكوم، جميعها عدا عيوننا أنـا وكونكلين. كان لدينا صور لكل من وولف وفالديـن فـي جيبي سترتينا. كل ما كان علينا القيـام به هو تحديد موقع هذين الوغدين بين أربعين ألف متفرج.

رمـى لينسكوم كـرة سريعة باتجاه هوليـداي، لكنه استطـاع صدها باتجاه الركن الأيسر للملعب. هلـل المشجعون في انسجام تام، واقفين على أقدامهم، لكن لم يكن انتباهنا منصبًّا على اللعبة أنا وشريكي.

وجـدت كونكلين يشير إلى اليمين فوقنا بحوالي ستة صفوف. كان يشير إلى مجموعة من الرجال يقفون أمام كشك تري مكسيكيان كيتشن.

"هـذا هو دونالد وولف، الرجل المرتدي سترة داكنة، والقبعة ذات شعار فريق جاينتس".

"نظرك ثاقب أيها الشرطي".

لـم أكـن متأكـدة، ولكن في الوقـت الذي تحركنـا فيه في الممـر المكدس بالمتفرجين، رأيت أنه وولف فعلًا، ودون أدنى شك.

اقتربـت مـن وولف مـن الخلف ونقـرت على كتفـه. وعندما استـدار قلت: "دونالـد وولف. أنا الرقيبة بوكسر، مـن قسم شرطة سان فرانسيسكو. نحن بحاجة للتحدث معك حول حادث سرقة سيارات وقع مؤخرًا".

دفعـت وولف باتجـاه الحائط وفتشته جيدًا، لكن فالدين وجه لكمة قوية إلى كونكليـن، الذي تفادها، فوجه إليه لكمة أخرى واضعًا وزنه كله فيها. هذه المرة انحنى كونكلين، ثم لكم ذقن فالدين بقوة جعلته يندفع إلى الوراء حتى اصطدم بكشك دوجي داينر.

اهتـزت جـدران الكشك المصنوعة مـن الصفيح، وصاح البائـع معترضًا. جـذب كونكلين يـدي فالدين وراءه وسلسلها بالأصفـاد، قائلًا: "رالف فالدين، أنت رهن الاعتقال بسبب اعتدائك على ضابط شرطة".

كنا جميعًا نعـرف أن وولف وفالدين ليسا ضمن الجناة الذين هاجموا ويكر هاوس، ولكن كـان هناك احتمال كبيـر بمعرفتهم مَن قتل الرجـال السبعة في الداخـل. إذا كان الجنـاة تابعين لعصابة سترات الشرطـة، فإنهما قد يخبرانا بشيء ربما يساعدنا على حل قضايا السطو المسلح على مكتبي صرافة الشيكات والمتجريـن الإسبانيين، وأوكار المخـدرات، بالإضافة إلى حوادث إطلاق النار على تجار المخدرات في جميع أنحاء المدينة.

كنت أتوق بشدة للتحقيق مع هذين الوغدين.

أمرت وولف: "ضع يديك خلف ظهرك".

كان هذا عندما قرر الهرب.

الفصل
44

كان رالف فالدين قد صار مكبلًا وطيّعًا تمامًا.

لكن دونالد وولف استغل الفرصة، ودس حقيبته تحت ذراعه، وركض بسرعة الصاروخ، متخطيًا كشك دوجي داينر، وكشك بورت ووك بيتزا، بالإضافة إلى عربة القهوة. وارتطم في طريقه بالعديد من المشجعين، وأوقعهم مثل قارورات البولينج.

كان وولف صغير الحجم إلا أنه كان سريعًا. بينما وقفت مع فالدين واتصلت طالبة قوة داعمة، أجهد وولف كونكلين؛ حيث كان يقفز فوق المقاعد، ويركض مزيحًا المشجعين بينما كان يبحث بجنون عن مخرج.

كان وولف بالقرب من الصفوف السفلية من الملعب عندما وصل كونكلين إليه. هتف المشجعون تحية لشريكي بينما كان يجذب وولف ليصل به إلى حيث كنت أقف أنا وفالدين بجوار كشك الهوت دوج.

قال كونكلين لـ وولف: "يحقُّ لك التزام الصمت، أي شيء ستقوله يمكن أن يُستخدم ضدك في ...".

قاطعه وولف: "يجب أن أتصل بفتاتي. هل ستستخدم هذا ضدي في المحكمة؟".

يمكن أن نطلق على وولف بسهولة وصف متحذلق. لم يظهر الخوف على وجهه على الإطلاق، وكان ينبغي أن يخاف. لقد كان في ورطة. جذبت حقيبته

القماشيــة وفتحتها وكــان بداخلها مبلغ هائل من المال، ربمــا خمسين ألفًا من الدولارات المرصوصة بدقة في رزم مرتبة.

قلت لـ وولف: "سأحمل هذه الحقيبة عنك، بينما تقدم لي مستند إثبات على دخلك".

في غضــون هــذا الوقت، كنا قــد جذبنا المزيد من الانتبــاه من حولنا. كان المشجعــون يهللون، وبدأ بعضهم يهتفون ضدي أنــا وشريكي. كم أحببت صوت الرجـل المخمور الذي صاح: "اسمعا! إنهما لم يرتكبا خطأ. هذا بلد حر، أليس كذلك؟ نحن نشاهد مباراة ليس إلا. فما هي المشكلة بالضبط؟".

كانــت قوة الدعم التي اتصلت لطلبها في الطريق، وكان أمن الاستاد يهرول نحونــا مباشرة. قلت للمعارضين: "أيريد أي شخص الانضمام إلى الحفل؟ لأن مساحة السجن كبيرة بما يكفي ويفيض".

قال شاب صغير كان يستعرض أمام حبيبته: "رجال شرطة متوحشون. هذا هو ما عليه الأمر. أنا شاهد وسأبلغ عنكما. ما رقم شارتك؟".

بدأت حبيبته وبعض المجاورين لها يرفعون هواتفهم ملتقطين صورًا لوجهي وشارتي. فأصابني هذا بغضب شديد.

صحت مخاطبة حراس الأمن: "قيدوا هؤلاء بالأصفاد. هذا. وهذين. وهذه. سأعتقلكم جميعًا بتهمة تعطيل عمل الشرطة، والسكر، وإحداث الفوضى".

تراجع المهاجمون، ولكن ليس قبل تقييد أربعة منهم بالأصفاد واصطحابهم إلى عربات الشرطة عند البوابات.

بعد ساعتين، في منتصف وقت العشاء، كان المناوبون الليليون على مكاتبهم فــي قسم مكافحــة الجريمة. كان رالف "راسكال" فالديــن محتجزًا في الغرفة المجاورة، بينما أعددنا أنفسنا أنا وكونكلين للتحقيق مع دونالد فرانسيس وولف في غرفة الاستجواب رقم ١.

الفصل 45

لـم أتنـاول شيئًـا سـوى شطيـرة برجـر وبعضـ المقبلات منـذ زيـارة برادي المفاجئـة في السادسة من صبـاح ذلك اليوم. كنت أشعــر بالضيق والإحباط، والآن كنــا أنــا وكونكلين نستجــوب دونالد وولف، الذي لم يكـن يتصـرف كرجل قبض عليه في جنـاية.

سأله كونكلين : "هل تفهم أنك متهم في جناية؟".

"لــم أفعل شيئًا. *أنت* من قبضت عليَّ، وهــذا اعتداء. كما أنه كان بحوزتك ســلاح قاتـل. لديَّ شهــود. لم أكن *أعلم* أنــك شرطي وهذا هــو السبب في أنني ركضت".

تثـاءب كونكليــن في ملل، ثم قال: "للعلــم، فإن الرقيبة بوكســر أعلنت أنها ضابطــة شرطة وأظهــرت لك شارتها، وأنــا شاهد. أيتها الرقيبــة، سأعود بعد قليل".

نهضـ كونكلين عن مقعده وغــادر غرفة الاستجواب. كان كونكلين يلعب دور الشرطي "الطيب" في العادة، ولكنه لم يكن سيفعل هذا مع وولف. وهكذا توليت استجواب وولف.

قلت: "دونالد، أيمكن أن أدعوك دوني؟".

"لا بأس في ذلك".

كان في الخامسة والعشرين، ووصل للصف السادس في التعليم، ثم قضى بعض الوقت في السجن. ولهذا يحظى بخبرة معقولة في مثل هذه المواقف.

قلت له: "اسمع يا دوني. لقد عثرنا عليك بينما كنا نبحث عن سيارتك الهوندا. وقبضنا عليك وبحوزتك المال المسروق. سأخمن أنك لم تجد حقيبة المال الكبيرة هذه تحت مقعد في محطة الترام".

"هذا مضحك أيتها الشرطية؛ لأن ما قلته صحيح، عدا أنه كان مقعدًا بالخارج على رصيف العبَّارات. هل جاءكِ بلاغ بأن هذه الأموال سرقت؟ لا. أليس كذلك؟ إذن هذا المال ملكي".

أكملت كما لو أنه لم يقل شيئًا.

"قضية سرقة السيارات الكبرى ستبقيك وراء القضبان من اثنتي عشرة إلى خمس عشرة سنة".

قال: "مقابل هذه السيارة البالية؟ إنني حتى لم أسرقها".

قلت له: "هل وجدتها على رصيف العبَّارات؟".

قال: "نعم يا سيدتي. طلب مني رجل غريب أن آخذ هذه السيارة قائلًا إنه لا يستطيع تحمل كلفة إصلاحها. أعطيته مبلغًا كبيرًا نقدًا وشكرني بحرارة".

التقطتُ ملف دونالد وولف الإجرامي الضخم المليء بالجرائم الصغيرة وجرائم الأحداث، وألقيته على الطاولة بقوة. صدر عن هذا صوت اصطدام أطرب أذنيَّ.

قلت بعدها: "كفى هراء. أتريد تخفيف عقوبة سرقة السيارة؟ أمامك دقيقة واحدة فقط لمساعدتي. بعدها سيكون شريكي قد حصل على ما نحتاج إليه من فالدين. إنه يبدو جبانًا يا دوني. أراهن أنه سيخبرنا بكل شيء".

نظر وولف لأسفل وبدأ يهز رأسه متمتمًا: "لا، لا، لا".

"لا، ماذا يا دوني؟".

"ما الذي تريدين معرفته بالضبط؟".

"ماذا تعرف عن السطو المسلح الذي تم على ويكر هاوس هذا الصباح؟".

"لا شيء. عندما تركت العمل، كان كل شيء بخير. أتفهمين؟ أنا وراسكال نعمل في المخزن، ونفرغ الصناديق، ونشحنها، ونضع الملصقات اللازمة،

ونتحقق من المخزون، وأحيانًا نأتي بالقهوة إلى مهندسة ديكور أو ما شابه. لا أعرف شيئًا عما تقولينه".

"هل كنت تعلم بعملية السطو على ويكر هاوس؟".

"وأنى لي أن أعرف شيئًا عن هذا؟".

"تم إطلاق النار على سبعة أشخاص، وماتوا جميعًا. كنت تعرف هؤلاء الرجال يا دوني – لقد عملت معهم. هل تريد لقتلتهم أن يفلتوا من العقاب؟".

"آمل أن تقبضوا على من فعل هذا حقًّا"

نظر إليَّ وكأنني يفترض أن أصدقه.

سألته: "هل تعرف أي شيء عن رجال يرتدون سترات الشرطة ويسطون على المتاجر الإسبانية، وأوكار تجار المخدرات؟".

"ماذا؟ الشرطة تأخذ المخدرات والمال من التجار، وتحتفظ به لنفسها؟ لم أسمع عن شيء *كهذا* من قبل".

ضحك، ثم مال على الطاولة، وقال بنبرة جادة: "اسمعي أيتها الرقيبة، سيعتني أشخاص آخرون بالمشكلة التي حدثت في ويكر هاوس، اتفقنا؟ إنهم أفضل منكم بكثير في هذا الأمر".

فاجأني هذا، فسألته بدهشة: "ماذا تعني؟ من سيعتني بها؟ وكيف؟".

هز وولف كتفيه، وتحدث بأسلوبه الأحمق المتحذلق من جديد.

فقال: "اتبعي المال أيتها الرقيبة".

قلت: "اشرح ما تقصده بذلك".

قال: "أيمكن أن أجري الاتصال الهاتفي الآن؟ زوجتي قلقة عليَّ، ولابد أنها تتساءل عن سبب غيابي. هل أخبرتكِ أننا ننتظر مولودًا؟".

قلت: "وهذا الابن لن يتسنى له تقبيل أبيه قبل أن يصبح في الخامسة عشرة. أليس كذلك؟".

تركت الغرفة ودخلت غرفة الاستجواب رقم ٢ المجاورة لها، ونظرت عبر الزجاج، فشاهدت كونكلين يستجوب رالف فالدين دون نتيجة على الإطلاق. إنه عامل مخزن آخر لا يعرف شيئًا.

لقد مات سبعة رجال، وإذا حدثت تلك المذبحة بسبب أثاث الخيزران، فستكون هذه السابقة الأولى من نوعها. على الأرجح، تمت السرقة بسبب كمية الأموال السائلة الضخمة بالإضافة للكثير من المخدرات.

فكرت في عبارة وولف الصريحة التي أفلتت منه. سيعتني أشخاص آخرون بالمشكلة – أشخاص أفضل منا، "*اتبعي المال*"

ارتجفتُ حينما فكرت في عملية الانتقام التي يمكن أن يشنها هؤلاء الأشخاص ردًا على مذبحة ويكر هاوس. واعتراني شعور يعبر عنه الأيرلنديون بقولهم: "لقد سار أحدهم للتو على قبري".

الفصل 46

كانت سيندي تُعامل معاملة المشاهير بمتجر بوك ريفو لبيع الكتب في لونج آيلاند بنيويورك.

إنها لم تتخيل نفسها توقّع الكتب، أو تقف أمام جمهور يصفق لها ويحييها خلال السنوات التي أمضتها تفكر في تأليف كتاب.

كي يخرج هذا الكتاب إلى النور، راقبت القاتليْن المختليْن في كل مكان، وترددت على أماكن خطرة، واضطرت إلى قضاء ليال في فنادق رديئة أو في سيارتها، وعملت ليلًا ونهارًا وخلال العطلات، وأزعجت الكثير من رجال الشرطة المحنكين، حتى أولئك الذين أحبتهم، كي تتمكن من الحصول على معلومات تثري بها قصتها المنتظرة. كانت تطلع على السجلات الجنائية متمنية دومًا العثور على منظور لم يخطر للشرطة ببال، شاعرة ببهجة عميقة في تحويل الحقائق الملموسة إلى أدب مؤثر.

لقد كدحت كثيرًا، والآن تعيش هذا الحلم.

في الوقت الذي بدأت فيه متاجر بيع الكتب في التحول إلى متاجر افتراضية، كانت هذه هي مكتبة أحلامها النموذجية. كانت الأرضية منقوشة بالمربعات الزرقاء والبيضاء، وعلى الجدران تمتد آلاف من رفوف الكتب، وفي أرجاء

المكان تنتشر زوايا مريحة ليجلس الزوار فيها للقراءة، بالإضافة إلى مكان خاص بالمؤلفين يمكنهم فيه القراءة على جمهورهم وتوقيع الكتب.

رأت بوب كلاين مالك المتجر قادمًا للتحدث معها. كان بوب رجلًا حسن المظهر في الخمسينيات من عمره، وكان يرتدي نظارات، وقميصًا مُنشى، وبذلة سوداء أنيقة.

قال: "سيندي، ستجدين تحت طاولتكِ صناديق مفتوحة مليئة بنسخ الكتاب. سأختبر الميكروفون من أجلكِ عندما تصيرين مستعدة".

كان هناك حبل يؤدي إلى طاولة مخصصة لها، وخلفها صورة كبيرة مثبتة على حامل، وصورة لغلاف كتابها على حامل آخر. كما كانت هناك كومة من الكتب على الطاولة مع عدة أقلام. كان الناس يتوافدون إلى المتجر استجابة للإعلان، ويملأون المقاعد. وكانت هناك عشرون امرأة على الأقل، أضاءت وجوههن جميعًا عندما رأينها وعرفنها من صورتها.

كانت تتحدث مع بوب عندما رن هاتفها.

أجابت سيندي قائلة: "أنا في متجر بوك ريفو يا ريتشي".

"أهلا يا حبيبتي. انتظري لحظة".

ثم سمعته يقول: "سأعود بعد قليل يا سيد فالدين. اجلس وانتظر".

سمعت بابًا يغلق، ثم عاد ريتشي يقول:

"آسف. لديَّ وغدان أستجوبهما للحصول على معلومات بخصوص حمام الدم الذي حدث في معمل المخدرات".

قالت سيندي: "أتريد التحدث لاحقًا؟".

قال: "لا، لا مشكلة. إذن، كيف جرى الأمر؟ أعني خطابكِ".

"سألقيه في غضون بضع دقائق".

قال ريتشي: "ستكونين رائعة. أنا متأكد من هذا!".

أرسلت سيندي حبها وقبلاتها إلى أحبائها في سان فرانسيسكو، ثم سمعت بوب يقول: "جمهوركِ ينتظر".

وقفت سيندي أمام منصة صغيرة ورأت الجالسين يصفقون لها مشجعين. كان الحضور اثنين وعشرين شخصًا، أكبر جمهور تحدثت أمامه. اقتربت من الميكروفون.

قالت: "أهلا بالجميع. أنا سعيدة للغاية برؤيتكم هنا. معكم سيندي توماس، وأود أن أحدثكم عن كتابي *فتاة فيش*. بغض النظر عن الطريقة التي يمكن أن تروا بها الحب بين الرجل والمرأة، فإنه لن يخطر ببال أغلبكم أبدًا أن القتل التسلسلي يمكن أن يربط شخصين بوثاق الحب.

أنا هنا لأحدثكم عن راندي فيش وماكي موراليس، القاتلين المتوحشين، وزواجهما الذي أثمر عن طفل، والرابطة القوية التي جمعت بينهما".

الفصل 47

بحلول منتصف الليل، قاد "واحد" شاحنته البيضاء المكدسة بصناديق المخدرات الاصطناعية وأكياس الهيروين باتجاه المكان الذي كان سيقابل فيه رجلًا يدعى سبات.

لم تكن هذه أول مرة يتعامل فيها "واحد" مع سبات. كان سبات رجلًا في منتصف العمر، خبيرًا محنكًا وخطيرًا للغاية، ويعمل وسيطًا بين موزعي المخدرات في الغرب الأوسط الأمريكي.

كان هدف "واحد" الوحيد الليلة هو التخلص من معظم المخدرات التي يحملها وأخذ ثمنها نقدًا. وكلما فرغ من هذا أسرع، سيكون أكثر سعادة.

تحددت المقابلة في منطقة سكنية في غرب أوكلاند، تحديدًا في منطقة بخليج سان فرانسيسكو معروفة بانتشار الفقر والجريمة.

بعد أن عبر "واحد" جسر سان فرانسيسكو باتجاه أوكلاند، تبع الإشارة إلى غرب ووسط أوكلاند، دون أن يتعدى حدود السرعة المسموح بها أو يخالف القواعد المرورية؛ فآخر شيء كان يريده في العالم هو أن يوقفه رجل المرور. لقد ارتكب ما يكفي من جرائم القتل لهذا اليوم، حتى إن يديه كانتا تهتزان من فرط إطلاق النار.

كان نظام تحديد المواقع يوجهه نحو المنعطفات المطلوبة، وكان من السهل العثور على شارع سيكامور، والمجمع السكني المهجور هناك. كانت المنازل

مغطاة بالقطران، وفي كل مكان تنتشر القمامة والحفر، ورأى في إحدى الزوايا بعض الأشقياء يقفون، ويضايقون بعضهم بعضًا، بحثًا عن مشاجرة.

أوقف "واحد" الشاحنة، ثم أخرج البندقية طراز إم-١٦ من أرضية السيارة ووضعها على المقعد المجاور له. مر بإصبعه تحت ياقته ليخدش الحكة التي خلفها رذاذ الفلفل الذي تسلل أسفل قناعه.

مر الزمن بطيئًا. لقد تأخر سبات، وأوشك "واحد" على الانصراف والترتيب لمقابلة أخرى في مكان آخر، عندما شاهد شاحنة صغيرة سوداء تتجه نحوه. وقفت الشاحنة على الجانب الآخر من الشارع وأشعلت المصابيح الأمامية مرتين قبل أن توقف المحرك.

رن هاتف "واحد"، فأجاب قائلًا: "تأخرت".

قال سبات: "نعم، لكنك ستشكرني على هذا. أنا قادم لرؤيتك الآن".

أغلق "واحد" الهاتف، وشاهد سبات يخرج من شاحنته الصغيرة حاملًا حقيبة قماشية كبيرة.

تحدث سبات إليه عبر النافذة المفتوحة.

"ما رأيك في هذا؟ لقد أحضرت صبيين معي لحمل البضاعة. لن يستغرق هذا وقتًا يذكر. انظر".

أخذ "واحد" حقيبة المال عبر النافذة المفتوحة، وقال: "هذا لا يعني أنني لا أثق بك".

قال سبات: "لا مشكلة يا صديقي. سأنتظر هناك".

عندما عاد سبات إلى شاحنته، فتح "واحد" الحقيبة وانهمك في فحص رزم المال. إن التعامل بالأموال الزائفة انتشر هذه الأيام، وكان من الشائع في عمليات تبادل كهذه أن يتم تزييف معظم النقود ودسها بين أوراق المال الحقيقية.

فتح بعض الرزم، وفحص المال بداخلها تحت ضوء الأشعة فوق البنفسجية، بحثًا عن علامات قد تدل على أن المال مزيف. وفي الوقت نفسه، عدَّ المال عدًا مبدئيًا، ووجد المبلغ ١,٢ مليون دولار، وهو المتفق عليه.

•

عـد "واحد" المال مرة ثانية، ثم أعاد مـلء الحقيبة، وهاتف سبات. تبادل الرجلان بضع كلمات، ثم رأى "واحد" الشاحنة الصغيرة تتحرك، وتستدير ثم تقف خلف شاحنته البيضاء.

فتح "واحد" قفل السيـارة، ليتمكن سبات من فتح الأبواب الخلفية وفحص المخدرات بالطريقة نفسها التي فحص بها "واحد" المال.

عندما اقتنع سبات بجـودة البضاعة، قام الشابان اللذان جلبهما معه بنقل الصناديق إلى الشاحنة الصغيرة بكفاءة، ثم عادا إلى داخلها.

انتهت المقايضة بسرعة. ذهب سبات باتجاه مقعد السائق، وقال لـ "واحد": "هناك حديث منتشر عن فوضى في معرض للأثاث".

قال "واحد": "حقًا؟ لم أسمع شيئًا".

"حسنًا يا صديقي. ليكن الرب معك".

قال "واحد": "ابق على اتصال".

كانـت ليلة باردة، لكن "واحـد" كان يتعرق بغزارة. لقد قبض ثمن مخدرات ويكـر هاوس والآن هي في طريقها إلى كينج فيشر. كـان يتوقع أن تنتشر أخبار مـا حدث، لكنه لم يكن يبالي بما يقال أو مـدى انتشاره طالما أنه لا أحد يعرف من هو.

صـاح الأشقياء المتسكعون فـي الشارع بشيء ما بينما كان يمر بسيارته من أمامهم.

فأشـار لهم بحركة بذيئة قبـل أن يدرك أنهم كانوا ينبهونـه إلى الكشافات الأمامية، فأطفأها، وانطلق على الطريق السريع، متوجهًا إلى منزله.

إنه يستحق ليلة نوم هانئة.

أو على الأقل كان يأمل في هذا.

الفصل
48

جلس رجلان في سيارة مظلمة بشارع تكساس، على بعد منزلين من ناصية شارع ١٨، ومربع سكني من مركز الخدمات. كانت بوتريرو هيل منطقة جميلة تطل على الخليج من أعلى التل، ولكن كل ما كان يمكنك رؤيته في الأسفل هي واجهات المنازل ذات الطراز الفيكتوري المتداعية، وصفوف الأشجار غير المنتظمة، وأسلاك الهواتف المتشابكة في الأعلى.

كان الرجلان في السيارة يراقبان منزلًا بعينه، وهو منزل جذاب ينتمي إلى الطبقة المتوسطة، طلي بالأخضر الفاتح مع أفاريز باللون الأخضر الداكن، وأمامه ممر من الإسمنت يقود إلى الباب الأمامي المصنوع من الخشب غير المطلي.

في منتصف الليل، توقفت سيارة كامري فضية في بقعة مظلمة بين شجرتين متهالكتين، وخرج من السيارة رجل أبيض البشرة داكن الشعر وإن كان الصلع بدأ يزحف على مؤخرة رأسه. كان يرتدي سترة زرقاء داكنة تابعة لشرطة سان فرانسيسكو. وبينما كان يغلق سيارته، رن هاتفه. فمال متكئًا على سيارته وأجاب الاتصال.

بعدها، وضع هاتفه في جيبه، وسار إلى الباب الأمامي، ودخل مستخدمًا مفاتيحه. اشتعلت الأضواء في مدخل الطابق السفلي ثم المطبخ. ثم انطفأت، لتشتعل أضواء الطابق العلوي، في الغرفة الأمامية تحديدًا، والتي هي على

الأرجح غرفة النوم. خلال نصف الساعة التالية، كان الضوء الوحيد في المنزل هو الضوء الأزرق المنبعث من التلفاز.

ثم انطفأ هذا الضوء أيضًا.

قال أحد الرجلين الماكثين في السيارة لرفيقه: "أنا لا أحب هذه المنازل القديمة. كلما نظرت إليها لا أرى سوى ما تتطلبه من أعمال صيانة".

قال الآخر: "عندما تكون لديك عائلة، سترغب في وجود شرفة في فناء منزلك الخلفي، وحديقة غناء تحيط به، ومكان لإقامة حفلات الشواء. يا إلهي. منذ متى ونحن ننتظر هنا؟".

قال الرجل الأول: "لا تتعجل. بعد أن نرسل تحيتنا للمحقق كالهون وعائلته، يمكننا أن نذهب لتناول الطعام".

قال الرجل الثاني: "أنا مستعد تمامًا".

"أمتأكد أنك لا تريد الجلوس هنا وعدَّ النجوم؟".

نخر الرجل الثاني ساخرًا. كان على أحدهما تولي الباب الأمامي بينما يتولى الآخر الباب الخلفي.

قال الأول: "أراك في الداخل".

فأجاب الثاني: "لا تلوث ملابسك".

أمسك كل منهما بسلاحه وخرجا من السيارة.

الفصل 49

استيقظت من نوم عميق على صوت زوجي وهو يقول: "ليندسي، حبيبتي، استيقظي".

لكن لماذا؟ لم أكن أسمع صراخًا أو إنذارًا أو نباحًا، ولم تكن هناك أصوات صافرات أو أية أصوات مخيفة أخرى. كنت في السرير وكان الضوء في غرفة النوم يشبه ضوء الفجر، فلماذا كان جو يوقظني؟

فتحت عيني على اتساعهما.

قلت: "أين جولي؟".

"جولي بخير. كل شيء على ما يرام يا عزيزتي".

رقدت على جانبي وتأملت وجه جو محاولة أن أستنتج سبب إيقاظه لي بينما كنت بحاجة للنوم. كان يتطلع إليَّ مبتسمًا.

"كم الساعة؟".

"السابعة".

سألته: "أهذا يوم السبت؟".

أجاب: "نعم هذا صحيح. سنذهب أربعتنا في رحلة. أنتِ، وأنا، وطفلتنا، ومارثا".

قلت: "لا أستطيع الذهاب".

"لقد زودت السيارة بالوقود، وسأذهب الآن لإطعام جولي، والقهوة جاهزة. كل ما عليكِ فعله هو أن تنهضي، وتتركي المفاجأة عليَّ".

حملقت في جو، وفكرت أن معظم العاملين في المنطقة الجنوبية منهمكون في العمل على قضية عصابة سترات الشرطة الشائكة حتى خلال عطلة نهاية الأسبوع. إلا أنه كان على حق – فقد كنت بحاجة إلى بعض الوقت لإعادة شحن طاقتي.

أرسلت رسالة نصية إلى برادي أخبره فيها بأنني سآخذ إجازة للاعتناء بصحتي العقلية.

رد عليَّ برسالة فورية: *حقًا؟*

إنه يوم واحد فقط.

حسنًا، سأعمل مع كونكلين.

بعد نصف ساعة، كانت عائلة موليناري في سيارة جو المرسيدس القديمة الجميلة متجهة نحو الساحل. كان الطريق ١ السريع يمتد بمحاذاة الشاطئ، ما ذكرني من جديد بمدى جمال كاليفورنيا. لا أزعم أنني توقفت عن التفكير في عصابة سترات الشرطة، لكنني أبعدت القضية عن ذهني بما يكفي للاتصال بشقيقتي كات.

توقفنا قليلًا في هاف مون باي، حيث تعيش أختي مع ابنتيها. وسرعان ما كانت الفتاتان تلهوان مع مارثا على الشاطئ، بينما سرنا نحن خلفهم، ندردش عن الجديد في حياتنا، ونتأمل أشعة الشمس التي تتلألأ على الساحل.

سألتني كات: "أأنتِ بخير يا ليندسي؟".

أجبت: "نعم بالتأكيد. مشغولة قليلًا كالمعتاد. ماذا عنك؟".

"عندما يظهر الأمير الضفدع، سيكون كل شيء مثاليًا".

ابتسمت كلتانا للأخرى. تذكرت عندما تزوجنا أنا وجو هنا في هاف مون باي منذ فترة ليست طويلة.

أمسكت بيدي أختي وعانقتُ ابنتيها مودعة، ثم عادت عائلة موليناري إلى داخل السيارة واتجهنا نحو الجنوب. جلست مارثا على حجري وأخرجت رأسها من النافذة، بينما نامت الطفلة في كرسيها خلفنا، وأخذ جو يغني مع أغاني الراديو.

كان هذا مذهلًا.

وصلنا إلى وجهتنا، مطعم شادوبروك المبني على تل يطل على نهر سوكيل كريك. وأفضل ما في الأمر، والذي جعل طفلتنا السعيدة تصيح فرحًا، كان التلفريك الذي تحرك بنا من موقف السيارات إلى المطعم ومكننا من رؤية الحدائق الاستوائية والشلالات عبر الزجاج.

كان جو متحمسًا للغاية خلال الغداء؛ فقد كان يعمل على القضية التي أطلق عليها "ج.ع.م.ك"، أو جرائم عيد ميلاد كلير. وقد أجرى أبحاثه منقبًا في قواعد البيانات بحثًا عن أي شيء مشترك بين جرائم طعن النساء في سان فرانسيسكو يوم الثاني عشر من مايو، وكذلك بينها وبين جرائم القتل وسرقة البنوك والعنف المنزلي، والحوادث المرورية التي كانت لا حصر لها. لكنه رغم ذكائه الشديد وبراعته البوليسية واطلاعه على قواعد البيانات الخاصة بالشرطة، فإنه لم يصل لأي دليل قوي يربط هذه الحوادث بمشتبه به حقيقي.

ولكن هناك حقيقة واضحة.

نحن شريكان ذكيان. لقد أتيحت لنا مساحة للتحدث عن أفكارنا، ومقارنة ما عرفناه بالفعل عن النساء الخمس اللاتي طُعِنَّ حتى الموت في سان فرانسيسكو في الثاني عشر من مايو على مدار سنوات متعاقبة.

كانت هذه النسوة غريبات عن بعضهن البعض، وحوادثهن كانت بلا شهود، وقضاياهن بقيت دون حل، بل وحتى لم يتم استجواب أي مشتبه به.

حققنا تقدمًا باستخدام تقنية الاستبعاد، وصرنا أنا وجو أكثر اقتناعًا بأن الجرائم الخمس على قائمتنا تمت على يد الشخص نفسه.

لقد حدث شيء مريع لهذا القاتل قبل خمس سنوات جعله يخلد ذكرى هذا اليوم السنوية. وفيما عدا أن يكون غضبه هذا قد انتهى، فإنه كان لا يزال حرًّا، ومن المنتظر أن يرتكب جرائم جديدة.

الفصل 50

في طريقه إلى المنزل، أوصلني جو إلى مقهى سوزي، وهو المقهى الرسمي لاجتماعات نادي السيدات لجرائم القتل، حيث نلتقي أنا وسيندي وكلير ويوكي أسبوعيًّا لتبادل الأفكار حول قضايانا، والشكوى من مصاعب الحياة، والاحتفاء بالأخبار الجيدة بالطبع، كل هذا بينما نتناول المأكولات الكاريبية الساخنة مع الصودا الباردة المنعشة.

أرسلت قبلة إلى جو في الهواء، ثم اتجهت نحو الضوء الساطع القادم من نوافذ المقهى، وصوت قرع الطبول الخافت، الذي علا بمجرد أن فتحت الباب الأمامي.

كان الشاي الساخن في الإبريق، وحياني مرتادو المكان المعتادون بينما كنت أسير عبر البهو الرئيسي، عابرة الممر الضيق أمام المطبخ، وصولًا إلى الغرفة الخلفية حيث كانت كلير ويوكي تنتظران في مقصورتنا الجلدية الحمراء المريحة.

كانت كلير تخبر يوكي بشيء وتحرك يديها بانفعال، وكانت يوكي تستمع باهتمام بينما جلست إلى جوارها. عانقت الفتاتين، وقالت كلير: "كنت أخبر يوكي عن القضية المريعة التي أعمل عليها".

قلت: "أطلعيني عليها".

أشـرت إلى لورين بأننـي بحاجة إلى مياه غازية، بينمـا قالت كلير: "صباح أمسِ، جلب المسعفون فتـاة في الثامنة من عمرها، وأخبرنـي كبيرهم أن الأم زعمـت أنهـا كانت تحمم الفتـاة في الرابعـة صباحًا، وذهبـت لإحضار منشفة جديدة، وعندما عادت وجدت الفتاة قد غرقت".

قلت: "حمام في الرابعة صباحًا؟".

أجابـت كلير: "بالضبط. أخبرنا المسعفون أن الأم زعمت أن الفتاة مفرطة النشاط وأن الحمَّام يهدئها أحيانًا. فحصت الفتاة المسكينة، ولم أجد رغوة في فمهـا، ولا تجاعيد في أصابعها، ولا سوائـل في رئتيها. ولكن شعرها كان مبللًا. فحصتها بدقة ولم أجد كدمات، أو أي شيء".

جـاءت لورين بكأس وإبريق من الصودا، وقالـت: "أوصيكِ بطبق الجمبري مع صلصة جوز الهند والأرز يا ليندسي".

طلبت طبقًا، فقالت يوكي وكلير في صوت واحد: "ونحن أيضًا"، ثم واصلت كلير قصتها.

"فحصتهـا بالأشعة السينية على كامل الجسـم ولم أجد شيئًا، كل عظامها كانـت سليمة. فأرسلت عينة من دمها إلـى المختبر، وعادت سلبية، لا مخدرات أو سموم".

قالت يوكي: "بحق السماء. هل كانت تعاني عدوى فيروسية مثلًا؟".

قالـت كليـر: "كلا. فحصتهـا لأجل هـذا أيضًا، ولكـن في أثنـاء الفحص الداخلي، وجدت بيتزا في معدة الفتاة الصغيرة".

تأملنا هذه المعلومات لبضع لحظات قبل أن تحضر لورين الطعام، فتراجعنا للخلف كي ترص الأطباق، ثم قالت يوكي: "لا تتوقفي يا كلير. استمري".

قالـت كلير: "حسنًا. انتظري"، وتناولت قليلًا من الجمبري والأرز، وابتلعت بعض الصـودا، ثم مسحـت فمها وقالـت: "لذلك هاتفـت وين يوفـرارد. أنتِ تعرفينـه يا ليندسي، إنـه نائب المنطقة الشمالية. ومنه عرفت أن الأم تعمل في مجـال منافٍ لـلآداب. وجدنا ثغرات عديـدة في قصة الاستحمـام في الرابعة صباحًا والبيتزا، لكننا لم نتوصل لسبب وفاة هذه الفتاة الصغيرة.

طلبـت مـن يوفـرارد أن يحضـر الأم ويحقـق معهـا، وأخبرني بعدهـا أنها حضرت مرتدية زيًّا جديـدًا، بشعر مصفف، ووجه مصبوغ بمساحيق التجميل. سألها يوفرارد عما حدث لطفلتها، وكان متأكدًا أنها ستقول إنها غرقت.

لكنها بدلًا من ذلـك أخذت نفسًا عميقًا وأخبرته بما حدث. قالت الأم: كان لـديَّ عمـل بالخارج. كان عميلًا منتظمًـا، وكنت بحاجة إلى المـال. كانت أنيتا تعانـي الصرع ولكـن نوباتها قلت كثيرًا، وعندما كانت تحـدث، كنا نتركها على الأرض إلى أن تنتهي النوبة من تلقاء نفسها.

ثم أخبرت الأم يوفرارد أن أنيتا ربما نهضت وأكلت شيئًا ثم تعرضت لنوبة، لأنهـا كانت راقدة على الأرض ميتة عندما عادت هـي من عملها. رأت الأم أنها إذا تركتها هناك واتصلت بالشرطة، فإنهم سيحرمونها من بقية أبنائها، لذلك وضعت طفلتها في حوض الاستحمام، واتصلت بالإسعاف.

فكرت لحظتها أنه من حقهم أن يسلبوها أطفالها: *إنها أم غير مسئولة. هذه قضيـة إهمال جنائي.* وسألت يوفرارد: وهل حـدث أن قالت: "لو كنتُ بقيت في المنزل، كانت ابنتي ستظل الآن على قيد الحياة، أو شيئا كهذا؟".

لكـن يوفـرارد أجـاب: "كلا. لا شيء من هـذا القبيل. لم تبـد أي ندم على الإطلاق".

وهكـذا كتبت في تقريـري أن أنيتا طفلة مصابة بالصـرع، وأن الوفاة تمت بطريقة طبيعية".

قلت: "وهل ستتركون هذه المرأة تفلت من العقاب؟".

أجابـت كلير: "الأمر متروك للمدعي العام، لكن المحقق يوفرارد احتجزها بتهمة إهمال أدى إلى موت".

طعنـت كلير قطعة جمبـري بشوكتهـا، ورفعتها قائلة بسخريـة: "*وهذه هي* الطريقة التي نغلق بها القضايا في مصلحة الطب الشرعي".

كـان عرض كليـر ممتازًا، حتـى إن يوكي سعلت من شـدة الضحك. وبرغم أنها كانت قصة محزنة، فإنه كان من الجيد سماع رنين ضحكات يوكي مجددًا، والتي لم نسمعها منذ فترة طويلة. وهنـا رن هـاتفي كالعادة.

قال كونكلين: "آسف لمقاطعتكِ في يوم عطلتكِ".

"ما المشكلة؟".

"توم كالهون".

"الذي عمل معنا على قضية الهجوم على المتجر الإسباني؟".

أجاب كونكلين بصوت حزين: "نعم. كالهون وعائلته كلها – لقد قتلوا".

الفصل 51

اعتذرت لصديقاتي وحاولت دفع الحساب، لكنهن اعترضن وعانقنني وتركنني أذهب لمهمتي.

التقيت كونكلين على الرصيف في سيارته الفورد برونكو. جلست إلى جواره ووضعت حزام الأمان، بينما شغل هو صافرة الإنذار. وانطلقنا إلى بوتريرو هيل ونحن نقطع منحدراته بأقصى سرعة.

كانت الشمس قد أوشكت على المغيب عندما وصلنا إلى بوتريرو هيل، لكنني أعرف هذا الحي في الظلام. أعرفه جيدًا؛ فقد عشت على بعد بضعة شوارع من منزل آل كالهون، وظللت هناك حتى وقوع الحادث الذي احترق فيه منزلنا تمامًا قبل بضع سنوات.

انعطفنا من شارع ١٨ باتجاه شارع تكساس، والذي كان مزدحمًا وكأن اليوم مهرجان أو عيد. كانت الأضواء تومض من جميع النوافذ في المنطقة، بالإضافة إلى وميض كشافات العشرات من سيارات الشرطة المتكدسة في الشارع. بعد أن أوقفنا سيارتنا بين شاحنتين تتبعان وحدة البحث الجنائي، أظهرنا شارتينا لرجال الشرطة الذين يقفون عند الحاجز الذي يفصل بين الشارع والفناء، وانحنينا تحت الشريط الحاجز، وسرنا باتجاه المنزل الأخضر ذي الطراز الفيكتوري.

عندمـا وصلنا إلى السلالم الأمامية، رأيت قيئًا يلوث أصيص النباتات، كما اكتشفنا أنه قد تم إطلاق النار على مقبض الباب وقفله.

قابلنا تشارلي كلابر على عتبة الباب. حتى خلال عطلة نهاية الأسبوع، كان كلابـر أنيق الملبس، وكان شعـره ممشطًا، وسرواله مكويًا، وبدت سترته وكأنها أتت للتو من المغسلة.

بدا تشارلي مصدومًا تمامًا.

قال: "الوضع شديد السوء".

كلابر هو مدير وحدة الأدلة الجنائية في هانترز بوينت، ولكن قبل أن يرأس فريـق البحـث الجنائي، كان محققـًا في جرائم القتل – بل كـان محققًا شديد المهـارة في الواقع. كان الأفضل في فحصـ مسارح الجريمة، دونما استعراض أو إعاقة لعملنا بأية صورة.

كنـت على وشك أن أسأله عما اكتشفه عندما رأيت تيد سوانسون يخرج من المطبـخ. كان يهز رأسه ويبدو شاحبًا ومصدومًا كما لو أن إحدى ذراعيه قد تم اقتلاعها.

قال متأوها: "هذا شنيع حقًا".

ارتدينـا أنـا وكونكليـن القفـازات، والأحذيـة الواقيـة فـوق أحذيتنـا، ودخلنا المطبخ، فرأينا توم كالهون الشرطي السابق بقسم مكافحة السرقات.

كـان كالهون عاريًا، ومقيـدًا بالشريط اللاصق بأحد مقاعـد المطبخ، وقد تعرض للضرب الشديد، حتى إنني لم أكن سأعرفه لولا رأسه الآخذ في الصلع. لم يراودني أدنى شك في أنه تعرض للتعذيب لفترة طويلة وعلى يد محترفين.

تـم كسر جميع أصابعه، وحرق أعضائـه الحساسة بالسجائر، ونزع جفنيه، وأخيرًا إطلاق النار على صدغه، وهو التصرف الرحيم الوحيد في كل هذا.

قـال سوانسـون الذي كان يقف خلفنـا: "لم يمت بسرعة. هـؤلاء الملاعين عذبوا ماري أيضًا قبل أن يطلقوا النار عليها".

قال كلابر: "وجدنا ماري ملقاة هناك بالقرب من الموقد. وهي في طريقها إلى المشرحة الآن".

سـأل كونكلين عـن الطفلين، فأجاب سوانسون: "كـان بوتش وديفي نائمين عندمـا تـم إطلاق النـار عليهمـا، وغالبًـا لم يشعـرا بشـيء، أليـس كذلك يا تشارلي؟".

"أتفق معك. إنهما لم يستيقظا".

قال سوانسون: "كنت أعرف هؤلاء الناس. تناولت العشاء بصحبتهم هنا في الأسبوع الماضي. ما الهدف من كل هذا بحق السماء؟".

بدأ في البكاء، فوضعت يدًا على ذراعه وأبلغته خالص عزائي. ثم دخل فاسكيز شريك سوانسون المطبخ، قائلًا: "ممنوع صعود الطابق الثاني أيتها الرقيبة. وحدة التحقيق الجنائي تفحص المكان، وعلينا جميعًا الخروج من هنا وترك أفرادها يباشرون عملهم".

الفصل 52

أخبـرت فاسكيـز وسوانسـون بأننـا سنلحـق بهـم فـي وقـت لاحق، لكنـي أردت التحدث مع كلابر أولًا.

فُتح الباب الأمامي وأُغلق ثانية، وظللت أنا وكونكلين وحدنا في غرفة معيشة مضــاءة بأنوار ساطعة بينما راح أفـراد وحدة البحث الجنائي يلتقطون الصور، وينثرون مساحيقهم بحثًا عن البصمات، وأي آثار أخرى.

كــان عليَّ أنا وكونكلين تحويل كل هذا إلى قصة منطقية، شيء يفسر ما بدا لنا غير قابل للتفسير.

قال كونكلين: "ما رأيك فيما حدث هنا يا تشارلي؟".

قــال: "رأيي؟ أتى بعض الرجال وكانوا يريدون شيئًا محددًا، وعلى استعداد لتعذيب وقتل أربعة أشخاص من أجل الحصول عليه. ماذا أرادوا؟ لا أعرف. هل حصلـوا عليـه؟ لا أعـرف أيضًا. لـم تكـن سرقة علــى كل حال. فـكل شيء في مكانه. كمــا أن هناك مبلغًا صغيرًا ومجوهرات لا تــزال على منضدة الزينة في غرفة النوم".

لــم يكن عليه أن يخبرنا بأن نكون حذرين. تتبعنا خطواته، واكتشفنا أنه قد تــم اطلاق النــار على قفل الباب الخلفي وكذلك الأمامي، ما يعني أن من هاجم المنـزل رجلان على الأقل.

عاد الطبيب الشرعي د. جيرمانوك إلى المنزل وأخبرني أنه سيأخذ جثة توم كالهون إلى مكتب الطب الشرعي إذا كان هذا مسموحًا، فقال كلابر: "لا مانع؛ فقد حصلنا على ما نحتاج إليه".

ثم قال كلابر لنا أنا وشريكي: "لدى الزوجة بقايا شريط لاصق على معصميها وكاحليها وفوق فمها، ما يعني أنها قيدت بالشريط اللاصق فوق مقعد هي أيضًا. أظن أنهم حرروها وبدأوا تعذيبها وضربها أمام زوجها بينما كان لا يزال على قيد الحياة".

ظللت أردد: "أوه، يا إلهي"، وبدا لي كونكلين في غاية الأسى والغضب. طلبت من كلابر أن يكمل حديثه.

قال كلابر: "إليكما كيف وقع الاعتداء في الغالب. كان أفراد العائلة في الطابق العلوي، نائمين ربما. أطلق المهاجمون النار على الأقفال ودخلوا. وربما يكون كالهون قد سمعهم ونزل إلى الطابق السفلي".

قلت له: "كان مسلحًا بالطبع".

قال: "عثرنا على مسدسه في غرفة المعيشة، وكان محشوًّا بالكامل. لقد غلفناه وصار جاهزًا لفحصه في المختبر".

قلت: "إذن، نزل كالهون الدرج بسلاحه، لكنه لم يطلق النار؟".

قال: "لقد فاقت أسلحتهم سلاحه. غالبًا كان يحاول التفاوض. أتخيل أنه قال لهم شيئًا من قبيل: "اخرجوا من هنا. تستطيعون الإفلات؛ فلم يحدث شيء بعد"، وربما استدرجه المهاجمون للتفاوض معهم".

قال كونكلين: "وربما قالوا له: تعال إلى المطبخ ودعنا نتحدث، وسنترك عائلتك وشأنها".

قال كلابر: "نعم شيء كهذا. ثم ربما نزلت الزوجة الدرج".

قال كونكلين: "نعم. فأخذوا سلاح كالهون، وأدخلوه هو وزوجته المطبخ".

قلت متخيلة المشهد: "يا إلهي"، أي رعب عاشاه؟ تخيلت المهاجمين يطلبون من الزوجين خلع ملابسهما. كان عليها أن تقيد زوجها على المقعد، ومن ثم تعين على أحد المهاجمين فعل الشيء نفسه معها.

بتخيل الخطوة التالية، فهمت أن السيدة كالهون تعرضت للتعذيب لتحفيز كالهون على منحهم ما يريدون. ماذا كانوا يريدون؟ هل أعطاهم كالهون إياه؟

تبعنا كلابر إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم، ورأينا الملاءات المنقوعة بالدماء على السرير ذي الطابقين؛ حيث أطلق المهاجمون النار على الصبيين في أثناء نومهما. كانا الآن في أكياس الجثث في الطريق إلى المشرحة مع والديهما.

وقفت أنا وشريكي في المدخل الأمامي المفتوح، والأضواء تومض بالأحمر والأزرق خلفنا، وشكرنا تشارلي على الجولة.

لم يكن عليه أن يقول: "اقبضوا على هؤلاء الأوغاد"، ولم نقل: "اتصل بنا إذا جد جديد". كنا نعرف ما يجب القيام به. كانت معرفة ملابسات قتل كالهون هي المهمة الأولى. كل شرطي في مقر قيادة الشرطة سيعمل على هذا إلى أن يتم العثور على قتلة آل كالهون، وسيستمرون في العمل طوال الليل حتى ينتهوا.

لكن لم يكن هناك شيء نفعله أنا أو شريكي في هذا المنزل – ليس الليلة على الأقل.

الفصل 53

عندما دخلت شقتنا وركلت حذائي، وجدت التلفاز مفتوحًا على برنامج كوميدي لجيمي فالون، لكني شعرت بأنني لم أعد المرأة نفسها التي قضت الصباح بصحبة كلبتها، والتي تحدثت مع أختها ولاعبت ابنتيها، والتي قضت وقتًا ممتعًا مع زوجها وطفلتها، والتي لم تتوقف عن الضحك بينما كانت تتناول وجبة إيطالية لذيذة مع الصودا برفقة صديقتيها العزيزتين.

أطلعت زوجي على ما حدث من تعذيب وقتل للشرطي وعائلته، وقبلت بامتنان كأس العصير الذي عرضه عليَّ وتدليك الرقبة الذي قدمه لي.

ثم أمسكت بالهاتف. كانت مكالمتي الأولى مع د. جيرمانوك، وتلتها مكالمة جماعية مع برادي وكونكلين. هاتفت بعدها تيد سوانسون، الذي لم يكن منغمسًا في القضية عاطفيًّا فحسب، بل كان أحد أفراد فرقة مكافحة السرقات، وعمل مع فاسكيز وكالهون على قضية عصابة سترات الشرطة.

عندما حصلت على جميع المعلومات المتاحة، اتصلت بجاكوبي، رئيسي وصديقي العزيز وشريكي السابق، وأطلعته على المستجدات. كان يعرف بالفعل بعض تفاصيل مأساة كالهون، فأخبرته بما تبقى.

قلت لجاكوبي: "وجدنا مجموعة من أكياس القمامة على طاولة المطبخ. أعتقد أن القتلة غيروا ملابسهم وأخذوا الملابس الملوثة بالدماء معهم، بالإضافة إلى أعقاب السجائر التي دخنوها، وفوارغ الرصاص، والأدوات الحادة".

قال جاكوبي: "وأظن أنه ليست هناك بصمات أو عينات حمض نووي".

قلت: "لا شيء حتى الآن".

انطلق من فم جاكوبي سيل من الشتائم التي لم أسمعها من قبل. وكان يقول إن برامج الجريمة التليفزيونية هي التي علّمت المجرمين كيف يتصرفون وعرفتهم بما لا ينبغي فعله.

قلت: "لقد تعلموا أيضًا من التجربة العملية. لقد كانت عملية دقيقة للغاية".

تركت جاكوبي يسب لبعض الوقت، ثم تمنيت له ليلة طيبة، لكني عندما دخلت فراشي أخيرًا، لم أستطع النوم.

كنت أنظم القضية في ذهني، وأعد نفسي لاجتماع القسم في الصباح — راودتني كل هذه الأفكار بينما كنت ألقي رأسي على صدر زوجي، وأستمع إلى غطيطه الخافت وهو نائم. ذهبت أفكاري إلى منزل كالهون، حيث كان أفراد الأسرة ينامون بسلام على أسرَّتهم.

تخيلت الأشخاص أنفسهم يقتحمون عشنا الهادئ في شارع ليك، وتخيلت صوت إطلاق النار على الأبواب. فأمسكت بمسدسي، ولكنه لم يطلق نارًا ولله الحمد.

أصبح النوم حلمًا بعيد المنال الآن.

عندما استيقظت جولي في الثالثة، سرت بها أهدهدها في غرفة المعيشة، ثم نظرت من النافذة لأتأكد أنه ليس هناك شخص يراقبنا داخل سيارة متوقفة. في السادسة اصطحبت مارثا للخارج وركضنا لبرهة، وبحلول السابعة والربع كنت على مكتبي في قسم مكافحة جرائم القتل.

وصل كونكلين بعد بضع دقائق. علق سترته خلف مقعده وقال: "رأيت حلمًا".

نظرت إليه. لم يكن يمزح.

"استيقظت وأنا أفكر في أن هناك علاقة بين ما حدث لكالهون وإطلاق النار على ويكر هاوس".

سألته: "وما العلاقة؟".

"ما زلت أفكر في الأمر".

"حسنًا. إن عقلك الباطن هو من أنشأ هذه العلاقة. ربما بسبب جميع تلك الجثث وكل هذه الدماء".

قال شريكي: "ربما، ولكني أظن أن هناك رابطًا خفيًا بين هذين الأمرين".

في ذلك الحين، تلقى رينشي مكالمة من سيندي، ثم ظهر برادي مكفهرًا، وقال لي: "يمكنك إطلاع الجميع على ما حدث في تمام الساعة الثامنة، اتفقنا؟".

"لا مشكلة".

كانت الغرفة تزخر بأفراد الشرطة. جلس بعضهم خلف مكاتبهم، بينما استقر آخرون على مقاعد إضافية، ووقف الباقون صفوفًا في الخلف. كانت الغرفة مليئة بالمناوبين النهاريين من فرق مكافحة جرائم القتل، والمخدرات، والسرقة.

وقف سوانسون وفاسكيز في مقدمة الغرفة معي، وقدمتهما إلى الزملاء. ثم أخبرت حوالي ستين شرطيًا بما نعرفه عما حدث في البيت الأخضر ذي الطراز الفيكتوري بشارع تكساس.

وأخيرًا، وزع برادي المهام، وذهبنا للعمل.

الفصل 54

اصطحبت أنا وكونكلين سوانسون وفاسكيز لغرفة الاستجواب رقم ٢. عندما أصبحت قهوتنا أمامنا، واستقررنا، بدأتُ بقولي: "أتفهم الشعور المريع الذي تمران به، ولكننا بحاجة إلى كل شيء وأي شيء يمكن أن يساعدنا في حل قضية آل كالهون. أي شيء سمعتماه أو تبادر إليكما حول احتمالية وجود أعداء، أو خلافات، أو مشكلات مع المخبرين، أو معاملات تجارية مشبوهة، أو حتى مجرد عراك على مكان ركن السيارة. لا يهم كم يبدو أي من هذا غير محتمل بالنسبة لكما".

منعني سوانسون عن الاسترسال قائلًا: "فهمنا يا بوكسر. اسألي وسنجيبكِ. نحن بحاجة إلى حل لهذه القضية، ونعتمد عليكِ في هذا".

تأكد كونكلين من أن الكاميرا تعمل، ثم جلس بجانبي قائلًا: "للعلم فقط. نحن نسجل المقابلة".

ضم فاسكيز قبضته وقال: "لم يكن كالهون شرطيًّا فاسدًا. كان شخصًا طيبًا، وشرطيًّا صالحًا".

أومأت برأسي، وقال كونكلين: "أخبرنا بما تعرفه عنه، وسنطرح أسئلتنا حين يستدعي الأمر".

تنهد سوانسون وقال: "انتقل كالهون من شرطة لوس أنجلوس إلينا منذ حوالي عامين، وكانت سمعته الطيبة تسبقه. كان شريكًا لكايل روبرتسون، الذي

انضــم إلى قسم مكافحة السرقات. لا أتذكر متى حدث هذا تحديدًا، ولكنه بدأ منذ قضية الطوفان تقريبًا. عليكما التحقيق مع روبرتسون؛ فقد كانا مقربين".

أومأت برأسي، كنا سنقابل روبرتسون بالفعل بعد قليل.

قــال فاسكيز: "كان كالهون شرطيًــا صالحًا، أراد أن يعمل بنزاهة. وإن كان هناك من عيب فيه، فربما كان الحماس الزائد".

سألته: "ماذا تعني؟".

"يمكــن أن نقــول إنــه كان لا يأخــذ الأمــور بالجدية المناسبــة لشرطي ذي خبــرة في العمل. ربما لم يكن صلبًا أو روتينيًّا بما يكفي؛ لكن كالهون كان أمامه مستقبل واعد في الشرطة".

سأل كونكلين: "كيف كان مزاجه مؤخرًا؟ أكان هناك شيء يضايقه؟".

قال سوانسون: "لم ألحظ شيئًا كهذا".

سألــت: "أكــان هناك مَن يود الانتقــام منه، مثل مجرم ألقــى القبض عليه مثلًا؟".

قــال سوانسون: "عندما تناولت العشاء في منزله الأربعاء الماضي، كان في مــزاج طيب. أخبرني أنه هــو وماري يدخران كل قرش لأجــل مصاريف جامعة الولدين في المستقبل. كان حديثًا تقليديًّا من أحاديث العشاء، حتى إننا التقطنا بعض الصور معًا".

استمــرت المقابلة لمدة نصف ساعــة أخرى. وبمرور الوقت تراكمت أكواب القهــوة الفارغــة في سلة المهملات، لكــن الخيوط التي كانــت لدينا كانت شبه منعدمــة، كما أنه لم تكن هناك أية صلة تفسر سبب تعذيب كالهون أو توضح ما أراده معذبوه منه بالضبط.

ثم حان وقت لقائنا أنا وكونكلين بكايل روبرتسون، الذي ظل شريك كالهون لفتــرة طويلــة. كنا قد التقينــا روبرتسون مــع كالهون خــلال الاستجوابات التي أجريناها بعد مقتل مايا بيريز.

كــان روبرتســون في الخمسيــن غالبًا، لكنه بــدا أكبر سنًّــا؛ فقد كان وجهه مليئًــا بالتجاعيد، وشعره رماديًّا وخفيفًا. كان حريصًا على المساعدة، لكن من الواضح أنه كان متأثرًا بشدة بما حدث، كما قال إن كالهون لم يذكر له أي شيء على الإطلاق من شأنه أن يدفعه للتفكير بأن هناك مَن قد يرغب في قتله.

قال روبرتسون: "إنه لغز حقًا، ولا يمكنني تفسيره بأي شكل".

قال كونكلين: "كانت فرقة مكافحة المخدرات تعمل على بعض جرائم الشوارع، وتبحث عن بعض رجال الشرطة الذين يشتبه أن يكونوا ضمن عصابة تستولي على المال والمخدرات من تجار المخدرات. أيمكن أن يكون كالهون من ضمن هؤلاء؟".

هز روبرتسون رأسه بقوة قائلًا: "كان شرطيًا عاديًا، وإن لم يكن شرطيًا، فربما كان قد صار رجل إطفاء أو مدربًا رياضيًا في مدرسة ثانوية. لم أسمعه قط يتحدث عن المال. لقد كان يدخن السجائر، وكان هذا هو إدمانه الوحيد. لا أجد لحمام الدم الذي حدث أي معنى. ربما ذهب القتلة إلى البيت الخطأ وقتلوا الأشخاص الخطأ؛ فقد حدثت أشياء أكثر جنونًا من قبل".

الفصل 55

ذهبت أنا وكونكلين إلى مكتب برادي بملفاتنا المكتظة ونظرياتنا الواهية.

لقد أجرينا مقابلات مع جيران آل كالهون، ووجدنا أنهم كانوا نائمين الليلة الماضيـة عندما تعرضت العائلـة للتعذيب وإطلاق النار. وهكـذا لم يروا شيئًا ولم يسمعوا شيئًا، وصدموا تمامًا وكانوا مرعوبين.

كمـا أجرينا مقابـلات مع رجال شرطة عملوا مع كالهـون، وكانوا كذلك في حالـة عدم تصديق مطلق. كان كالهون شرطيًّـا صالحًا، وكان يحب عمله، ربما أكثـر من اللازم – لقد عزوا ذلك إلى صغـر سنه وطبيعته الرومانسية. أخبرنا بـرادي أن أقرب رجال الشرطة إليه، وهم سوانســون وفاسكيز وروبرتسون، لم تكن لديهم أدنى فكرة عن سبب تعرضه هو وعائلته للتعذيب والقتل.

استمـع بـرادي إلى مـا أخبرناه به، ثـم قال: "إليكـم ما توصلـت إليه: في الأسبوعيـن الماضيين وقعت جرائم سرقـة لها علاقة بالمخدرات تفوق جرائم العام الماضي بأكمله".

ثـم وضع ورقة علـى المنضدة وأدارها حتـى أستطيع أنـا وكونكلين رؤيتها. كانت قائمة كتبها بخط يده بالجرائم التابعة لقسمنا التي وقعت في الأسبوعين الأخيرين. غرز برادي إصبعه في الورقة وبدأ يقرأها بصوت عال.

"عمليتا سطو على مكتبين لصرف الشيكات. حالة وفاة واحدة".

"ثم عملية سطو على متجر إسباني، ومقتل صاحبته".

"ثـم سطـو آخر على مكتب لصرف الشيكـات، وهذه المرة، هناك ثلاثة قتلـى، لصوص يرتدون ستـرات شرطة ســان فرانسيسكو. وتبيـن أنهم ليسوا مـن رجال الشرطة. مجرد أغبيــاء مقلدون سمعوا عن جرائـم عصابة سترات الشرطة، لكنهم لم يعرفوا كيف ينفذون جريمتهم".

"ثم مجزرة في ويكر هاوس، بحصيلة سبعة قتلى، وغالبًا على يد العصابة نفسها".

قــال برادي: "أما عن قسم المخـدرات، فقد تم إطلاق النار على ستة تجار مخـدرات وسرقتهم فــي أوكار مخدرات وفــي الشارع. الشائعات تقول إن رجال الشرطة هم من يفعلون ذلك. إنه نمط عشوائي، لكنه يظل نمطًا رغم ذلك".

ظللنا أنا وكونكلين نومئ برأسينا بحركات آلية.

استمــر برادي قائلًا: "وغالبًا سُرقــت كميات هائلة من المخدرات من ويكر هاوســ، كميات تقدر بملاييــن الدولارات، وربما أغضب هــذا أحدهم. يجعلني هذا أعتقد أن العصابة التي ترتدي سترات شرطة سان فرانسيسكو تم تشكيلها كمزحة لا أكثر.

"والمزحــة ناجحة بالفعل؛ فهناك عصابــة تتنكر في زي رجال الشرطة، ويبــدو أنها مهتمة خصوصًا بسرقة أوكار المخـدرات ومكاتب صرف الشيكات. الأمر يشبه الحرب: رجال الشرطة ضد عصابات المخدرات. وإني لأتساءل عما إذا كــان كينـج فيشر متورطًا في هذا؛ فنفوذه لا يعرف حدودًا، ويمكن أن يصبح شديد العنف. اقرأوا ملفه. إنه يقوم بجرائم مثيرة للفتيان، ويعذب الناس لأجل المتعة. فهو شخص سادي للغاية. يجب أن تضعا كينـج فيشر في اعتباركما".

كــان كينـج فيشــر تاجر مخدرات سيــئ السمعة. يقال إنــه يعيش في جنوب كاليفورنيــا، على الرغم مــن أنه لا أحد متأكد من هذا علــى وجه اليقين، ولكن هنــاك أدلة كثيرة على إمبراطوريته الخاصة بتصنيع وتوزيع المخدرات. أيمكن أن يكــون حوت المخدرات هــذا متورطًا بطريقة أو بأخرى فــي عمليات السرقة والقتل بسان فرانسيسكو؟

لـم يكن برادي قـد انتهى بعد. مشط شعـره بأصابعه، ثم حـوَّل بصره إلى شاشة الحاسوب وضغط على بعض المفاتيح.

ظـل هكذا لفترة حتـى ظننت أنه ربما نسـي أمرنا، لكنه قال فجـأة: "ربما أحاول ربـط الأحداث التي لا علاقة لبعضها ببعض عبـر وضع القوائم، وإعادة ترتيب الوقائع، آملًا أن نجد ما يفيد، أو ربما هناك شيء يحدث ولا يمكننا وضع أيدينا عليه.

لكننا لن نتوقف حتى نفعل".

الجزء الثاني

الفصل 56

كانت قاعة المحكمة (٥) صغيرة، ومبطنة بخشب الكرز، الذي صنعت منه أيضًا جميع المقاعد والطاولات بداخلها. كان القاضي يميل برأسه متحدثًا إلى كاتبه، ومن خلفه برز ختم ولاية كاليفورنيا الذهبي، والذي كان يحيط به علمان: علم الولايات المتحدة، وعلم ولاية كاليفورنيا.

كانت الغرفة مكتظة، لكن جلسة المحكمة لم تكن قد بدأت بعد. جلست يوكي ومساعدتها ناتالي فاترمان في المكان المخصص لمحامي الادعاء. راجعت يوكي الملاحظات الموضوعة أمامها، وأعادت التدرب على مرافعتها الافتتاحية بينها وبين نفسها للمرة الألف.

همست ناتالي الجالسة بجانبها: "لا أستطيع *الانتظار*".

قالت يوكي: "وأنا على عكسكِ. قد أكون ذئبة، لكنه أسد، يا نات. أسد غاضب".

قالت ناتالي: "فكرة جديدة ليوم جديد".

قالت يوكي: "لا تنشري هذه الفكرة على موقع تويتر".

تمنت يوكي لو أنها كانت تشعر بالسعادة مثل ناتالي. كانت مساعدتها البالغة من العمر ٤٦ عاما قد تخرجت حديثًا في كلية الحقوق، بعد أن كبر أبناؤها واستقل كل منهم بحياته، وكذلك بعد أن هجرها زوجها. وفي النهاية حصلت ناتالي على شهادة في القانون ظلت تؤجلها لخمسة وعشرين عامًا. كانت

ناتالي ذكيـة ومثقفة ومنظِّمة، واستطاعت النجاح فـي اختبارات القبول بنقابة المحاميـن من المحاولة الأولى، وصارت جاهزة للحياة العملية. فكما قالت: "لا يمكنك أن تتعلم الكثير من الحياة الدراسية".

لم يكن لدى ناتالي أي شيء تخسره عدا عالمها الجديد.

أمـا يوكـي فكانـت سمعتها على المحـكّ، وإذا خسـرت هـذه القضية، فإن الوسـط كله لن ينسى أنه في قضية كورديل ضد مدينة سان فرانسيسكو، رفعت *يوكي كاستيلانو دعوى ضد شرطة سان فرانسيسكو، لكنها دُمرت تدميرًا.*

علـى الجانب الآخر، بدا الدفاع هادئًا كالميـاه الساكنة، وكان لين باريزي، يجلـس مهيبًـا واثقًـا بنفسـه، وإلـى جانبـه جلـس المحاميـان الشريكـان بمكتب مورهاوس آنـد روجـرز. كان أحدهما هـو الأسطورة كولينـز رابابورت، وكـان هو المحامي المساعد، وبمـا أن باريزي هو المستشار المساعد في مكتب المحاماة، فكان هو مَن سيتولى المرافعات وسيخوض كل جدال محتوم معها.

ارتـدت يوكي الأحمـر اليوم. كان لونًـا مؤثرًا يقتضي مـن صاحبته عملًا لا يقـل تأثيرًا. لا يمكنك أن تراوغ وأنت ترتدي الأحمـر، بل عليك أن تكون حاسمًا ومباشرًا وقاطعًا، وكانت هذه خطتها.

اضرب أولًا، تكن ضربتك أشد تأثيرًا.

أمـا ناتالـي فكانـت ترتدي سـترة وبنطالًا باللـون الأسود ترجـع موضتهما إلـى عشريـن عامًـا مضـت، لكن كان هـذا لا بأس بـه. فكلتاهما هنـا لتمثيل الضحايا. كانتا تتوليـان قضايـا الفقراء والمضطهدين، وكانـت ملابس ناتالي تكمل هذه الصورة.

بالنسبـة إلـى باريـزي، فقد كـان يرتـدي بذلة خضـراء جعلته يبـدو كأنه سيصاب بأزمة قلبية في أي وقت.

ابتسمت يوكي لنفسها.

كانت ترحب بأي فكرة ستساعدها خلال معركتها.

لقـد عملت هـي وناتالي بجد على الاستعداد لهـذه المحاكمة وقضت يومين تتـدرب على مرافعتها الافتتاحية. كانت تعرف ما عليها القيام به، وما عليها أن تقوله، وإذا تدربت أكثر من ذلك، فإن مشاعرها الحقيقية تجاه عائلة كورديل قد تختفي وراء العبارات التي ستفقد حرارتها مع الإفراط في التدريب.

ولم تكن تريد ذلك طبعًا.

كانت يوكي غارقة في أفكارها عندما شعرت بلمسة على كتفها. التفتت لترى السيدة كورديل تمنحها ابتسامة مصحوبة بالدموع. ضغطت يوكي على يدها وابتسمت لبقية عائلة كورديل الجالسين خلفها، وكانوا ١١ فردًا بالضبط.

كانت يوكي هنا اليوم من أجلهم، من أجل بيا ومايكل كورديل، ومن أجل جد آرون-ري وأبناء عمومته وأصدقائه، الذين كانوا يعتمدون عليها لتحقيق العدالة للراحل آرون-ري.

عادت تنظر إلى مقدمة القاعة عندما انتهى القاضي جون كويرك من التحدث إلى كاتبه.

كانت معجبة بالقاضي كويرك. على الرغم من كم البائسين الذين تعامل معهم خلال العشرين عامًا التي عمل قاضيًا بها، فقد وجدته شخصًا عطوفًا. لقد أظهر أنه رغم منصبه، كان يتفهم جيدًا دوافع ونقاط ضعف كل شخصية.

ترى، هل سيكون هذا الكرم معها أم ضدها؟

والآن أعلن حاجب المحكمة انعقاد الجلسة. راقبت يوكي هيئة المحلفين يدخلون عبر باب جانبي ويتخذون مقاعدهم، وتمنت لو كان هناك عدد أكبر من الأشخاص الملونين ضمن هيئة المحلفين، لكن هكذا كان الأمر.

رحب القاضي كويرك بهيئة المحلفين وأمضى بعض الوقت في منحهم التعليمات والإجابة على أسئلتهم. ثم نظر إليها بعينيه اللتين تغطيهما نظارة وقال:

"سيدة كاستيلانو، هل أنتِ مستعدة للبدء؟".

"نعم، سيدي القاضي".

قالت ناتالي: "اذهبي واقضي عليهم"، بنبرة منحت يوكي بعض الطمأنينة.

سمعت يوكي صوت بعض الضحكات، لكنها نهضت وسارت بنشاط إلى المنصة في وسط القاعة.

الفصل 57

عندما وقفت يوكي خلف المنصة، شعرت بالدفء يغمرها. كان قلبها وغددها الكظرية يمنحونها طاقة تفوق ما تحتاج إليه بالفعل. لكنها استجمعت شتات نفسها ورفعت عينيها وقالت للمحلفين: "صباح الخير جميعًا.

أقف أمامكم اليوم لكي أمثل عائلة آرون-ري كورديل، صبي كان في الخامسة عشرة من عمره وبمعدل ذكاء يقل عن المتوسط. هذا الصبي تم إلقاء القبض عليه، وترويعه على يد شرطيين محنكين حرماه من النوم لمدة ست عشرة ساعة، وكذبا عليه بخصوص حقه في الاستعانة بمحام، وأجبراه على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها. وبعد إجباره على اعتراف كاذب، احتُجز آرون-ري وقُتل بينما كان ينتظر المحاكمة.

لماذا أجبر آرون-ري على الاعتراف؟ لماذا كان عليه أن يموت؟

لأن الشرطة لم يكن لديها شهود، ولكن بما أنه كان هناك مشتبه به، كان عليهم التأكد من أنهم أوقعوا به، وهذا هو ما فعلوه".

توقفت يوكي قليلًا لتتأكد من استحواذها على انتباه المحلفين، ثم استمرت قائلة: "هذا هو ما حدث في فبراير من هذا العام: اعتاد آرون-ري الذهاب إلى وكر المخدرات بعد المدرسة. لو كان يعيش في حي مختلف، ربما كان سيقضي ساعات ما بعد المدرسة في صالة الألعاب الرياضية أو في منزل أحد الأصدقاء، لكن وكر المخدرات كان على بعد مربع سكني واحد من البيت الذي

عاش فيه مع والديه. وبالنسبة له، كان المكان الذي ينتظر فيه لحين موعد عودة أهله من العمل.

ستستمعون إلى شهود يخبرونكم أن آرون–ري لم يتعاط المخدرات. كان فقط يحب التواجد بصحبة الكبار في هذا المكان، الذين كانوا يضايقونه أحيانًا، ويضحكونه أحيانًا، ويرسلونه لجلب السجائر أو يتخذون منه مادة للتسلية.

في هذا اليوم بالذات، كان آرون–ري في الطابق العلوي بوكر المخدّرات الكائن في ٤٦٣ شارع دودج بلايس، عندما سرق مجهولون ثلاثة تجار مخدرات وقتلوهم رميًا بالرصاص، ثمّ فروا هاربين، هم وبقية الأشخاص الذين كانوا هناك في ذلك الوقت.

كان معدل ذكاء آرون–ري سبعين نقطة فقط، أي أقل بثلاثين نقطة من المتوسط. كان آرون–ري ساذجًا، ويثق في الناس بسهولة كالأطفال. لكنه كان فضوليًّا للغاية أيضًا.

بعد حادث إطلاق النار، ركض العشرات على الدرج، وركض آرون–ري معهم. وكما قال للشرطة وآخرين، كان في طريقه للخروج من المنزل عندما وجد مسدسًا ملقى على الدرج، فوضعه في حزام سرواله، مثلما يفعل الكبار. ظل يركض والسلاح في حوزته شرقًا باتجاه شارع تورك. مجرد صبي مذعور في الخامسة عشرة من عمره.

شاهد شرطيان كانا في دورية بالشارع آرون–ري يركض على امتداد شارع تورك، فأطلقا صفارة الإنذار وأضاءا الكشافات، وطاردا الفتى حتى أمسكا به.

وماذا قال آرون–ري أيها السيدات والسادة؟

قال الصبي: "أنا لم أفعل ذلك". ستسمعون الشرطيين يخبرانكم أنه حين سألاه عن هذا الذي لم يفعله، أجاب أنه لم يطلق النار على الرجال الثلاثة في وكر المخدرات.

لكنهما اقتادا آرون–ري إلى قسم الشرطة لاستجوابه، حيث انتهز محققان كبيران في قسم المخدرات الفرصة لحل ثلاث جرائم قتل بأسهل طريقة ممكنة. كان آرون–ري محدود الذكاء، وساذجًا، ورهن الاعتقال.

أكثر مــن نصف النهار ومعظم الليل، ظـل آرون–ري كورديل ينكر مرة بعد أخــرى أنه أطلــق النار على أي شخص. ولكن كما ستــرون على شريط الفيديو، استطاع المحققان ويتني وبراند إقناع آرون–ري بالتنازل عن حقه في الاستعانة بمحامٍ وفــي طلب حضور والديه. لقد ضايقاه، وتملقاه، وظلا يكذبان عليه حتى قال الصبي المرتبك في نهاية الأمر: لقد فعلتها.

بمجــرد أن قــدم آرون–ري هــذا الاعتــراف الكــاذب، احتجز فــي انتظار المحاكمة، ثم قُتل بعد ذلك في حمام السجن. ولا نتمنى سوى أن يكون قد مات ميتة سريعة دون ألم".

ثــم قالت يوكــي: "هذا هــو آرون–ري"، ورفعــت صورة كان موكلهــا القتيل يحتضــن فيها شقيقته الرضيعة. كان صبيًّــا لطيفًا، وأظهرت تعابير وجهه مدى حبه لأخته.

استمــرت يوكي تقول: "كــان آرون–ري صبيًّــا لطيفًا، وكــان بريئًا. لم يكن بإمكانــه قتل ثلاثــة تجار مخــدرات محنكين، ولــم يفعل. لم يكــن يعرف كيف يحشــو مسدسًا ويطلــق منه النار. وعلاوة على ذلك، فــإن الشرطة خلال جميع ساعات الاستجواب هذه، لم تفحص يدي آرون–ري أو ملابسه للتأكد من وجود آثار للبارود، ولم تحضر الشرطة أيًّا من المترددين على الوكر للاستجواب، ولم تحقق مع أي مشتبه به آخر. كان آرون–ري الوحيد الذي احتاجوا إليه.

في نهاية هذه المحاكمة، سيُطلب منكم أن تقرروا إذا ما كان اعتراف آرون–ري كورديل تم بالإكراه. إذا كان كذلك، فهذا لم يكن اعترافًا، ويجب أن تتحمل شرطــة ومدينة سان فرانسيسكو المسئولية كاملة عن وفاة هذا الصبي القاسية وغير المبررة".

الفصل
58

نهض باريـزي بتثاقل، وسار مباشـرة إلى ركـن هيئـة المحلفيـن متجاهلًا المنصة. ابتسـم إليهـم وحياهـم، ثـم تحـدث قليـلًا حـول أهمية عمـل هيئة المحلفين، مضيفًا أنه بصفتـه المدعي العام لمدينة سان فرانسيسكو، لم يكن سيتمكن مـن القيام بعمله دون مساعدة هؤلاء الأشخاص الطيبين على التوصل للأحكـام الصائبة فـي محاكمات كهذه. ثم تحدث عن أهميـة التأكد من إنفاذ العدالة دائمًا.

كانت يوكي تشاهده يلقي خطابه، وعقلها محتار بين مشاعرها الطيبة تجاه لين باريزي، بعد خمس سنوات من العمل معه والتعلم منه ودعمه المتواصل لها بصفتهـا مساعـد المدعي العام، وبين أفكارها الجديـدة التي لم تعتد بعد على اعتبار لين عدوها، وهو ما كان عليه بالتأكيد.

عـلاوة علـى ذلك، جعلهـا سلوك ليـن الهادئ وخطابـه المتـزن تشعر بأن مرافعتها كانت انفعالية وشبه هستيرية.

حتى ناتالي بدت مأخوذة تمامًا بشخصية باريزي.

وضـع لين يده على الحاجز وسـار بامتداده، وأبقى عينيـه متصلتين بعيون المحلفيـن بينما قال: "يجب أن أشيد بمحاميـة الخصم لهذه الصورة الجميلة التـي قدمتها عن آرون-ري كورديل، لكني آسف علـى إخباركم أنه لم يكن هذا الشخص البريء.

كان آرون–ري يتسكع في وكر المخدرات لنفس السبب الذي يجعل أي مدمن آخر يفعل هذا، وهو تعاطي المخدرات. لم يكن يذهب هناك بعد المدرسة فحسب، بل كان يذهب هناك بدلا من الذهاب إلى المدرسة. على الأقل، في معظم الأيام.

ويجب أن أقول إن السيدة كاستيلانو ليس لديها أدنى فكرة عما إذا كان آرون–ري قد التقط سلاح الجريمة من على الدرج أثناء مغادرته وكر المخدرات، أم داخل وكر المخدرات، أم أن هناك مَن أعطاه بضعة دولارات وطلب منه أخذ السلاح وإطلاق النار على هؤلاء الرجال. هذا هو ما فعله الصبي، لكني أعتقد أن كاميرات المراقبة كانت معطلة هناك في ذلك اليوم".

ضحك المحلفون – لقد كسبهم إلى صفه.

واصل باريزي قائلًا: "لم يتقدم أحد ليقول إنه رأى ما حدث داخل وكر المخدرات. سأتفق مع السيدة كاستيلانو على نقطة عدم إجراء اختبار آثار البارود على آرون–ري، وأن هذا كان خطأ. لكن ما لم تقله السيدة كاستيلانو هو أن الرصاص الذي قتل هؤلاء الرجال الثلاثة جاء من السلاح الذي وجدوه في حوزة آرون–ري.

ليس هناك أي شك أو خلاف في أنه كان يحمل السلاح، أو أنه كان في حوزته. الصبي كان يحمل بين يديه سلاح الجريمة.

ركض آرون–ري، وأخبر الشرطيين اللذين أمسكا به بأنه *لم* يقتل ثلاثة أشخاص في وكر المخدرات، ثم ذكر أسماءهم.

سأله الشرطيان من أين حصل على السلاح، فقال إنه وجده. وهما وجدا ثلاثة قتلى واعتقلا آرون–ري كورديل، بالطبع، فقد كان هذا عملهما.

قد تتساءلون: كيف حصل آرون–ري على السلاح؟ حسنًا، إنه لم يعد معنا ليجيبنا، ولا يهم كيف حصل عليه في الواقع. لقد كان سلاح الجريمة، وعندما أتيحت له الفرصة لإخبارنا بما حدث في وكر المخدرات، قال للمحققين إنه قتل إيه. بيجي ودوين ودابل دي.

لكن هذه المحاكمة لا تدور حول المكان الذي جاء منه السلاح، أو من أطلق النار على تجار المخدرات هؤلاء، أو قتل آرون–ري كورديل.

كما قالت السيدة كاستيلانو، هذه المحاكمة مقامة لمعرفة شيء واحد فقط: هل قام المحققان ستانلي ويتني وويليام براند من قسم مكافحة المخدرات بإجبار آرون–ري على تقديم اعتراف كاذب؟

ما نقوله هو أنهما لم يفعلا ذلك.

هل استخدما طرق التحقيق المشروعة؟ نعم، فعلا هذا. هل استخدما الكذب؟ احتمال كبير. التحقيقات في أقسام الشرطة أشبه بسباق في الكذب، حيث يكذب الطرفان ويخادعان ويفعلان كل ما في وسعهما لجعل الطرف الآخر يصدق.

مشرّع للشرطة أن تكذب. وعندما سنعرض عليكم لقطات من المقابلة، سترون أن هذا الشاب كان هادئًا، ورابط الجأش، وأنه اعترف بنفسه أنه قتل ثلاثة رجال.

وعندما حدّث واعترف، احتجزه المحققان براند وويتني في السجن حيث ينتمي؛ فالقتلة لا ينبغي أن يطلقوا في الشارع. كان آرون–ري في السجن في انتظار محاكمته السريعة، وهذا حقه كأي أمريكي، ولكن وقع حادث مؤسف للغاية.

ونحن نأسف للألم الذي تعانيه عائلة آرون–ري. لكن موت الصبي لم يكن خطأ شرطة سان فرانسيسكو".

الفصل 59

أقيمت جنازة آل كالهون في مقبرة سيبرس لون ميموريال بارك في كولما. لقد كانت إحدى أكثر المناسبات التي شهدتها إيلامًا.

قدم والد ماري كالهون، ووالد توم كالهون، ومدرب الطفلين، ومدرسوهم خطابات رثاء مؤثرة. ومثل شرطة سان فرانسيسكو رئيس الشرطة جاكوبي، والرقيب فيل بيكيلني من قسم مكافحة السرقات، والمحقق تيد سوانسون، الذي قال بضع كلمات مؤثرة جدًّا عن كالهون ومدى لطفه ودماثته.

احتشد مئات من رجال الشرطة في زيهم الأزرق في دار العبادة، ووقف بقيتهم في الخارج. كان معظمهم يبكي، بينما يشكلون بأجسادهم حائطًا أزرق يحيط بالعائلة المغدورة في المقبرة، التي أنزلت فيها أربعة توابيت، تابوتان منهما بحجم الأطفال.

كان الحزن المسيطر علي الجميع مشوبًا بالغضب على هذه الجريمة الشنيعة التي استهدفت شرطيًا وعائلته.

كنت بالكاد أعرف كالهون، لكنني تذكرت تفاؤله الواضح ذلك الصباح في مكتب صرف الشيكات حيث قتل ثلاثة مجرمين في زي الشرطة.

ظلت هذه الفكرة تلح عليَّ ولم تتركني.

وأخيرًا انتهت الجنازة.

صعدت أنا وكونكلين إلى سيارته البرونكو وتحركنا إلى خارج المقبرة. مررنا علـى البقعة التي دفنت فيها والدتي وكذلك البقعة التـي وارينا فيها كيكو والدة يوكي المرحة في مثواها الأخير. تسابقت صور العديد من الجنازات الأخرى في ذاكرتي بينما كنا نغادر كولما متوجهين مجددًا نحو سان فرانسيسكو.

عندمـا دخلنـا المدينة، كنت أرغب في الذهاب إلى حانـة هادئة يتابع فيها الموجودون مباراة لكـرة القدم دون أن يعرف أحد منهم اسمـي. كنت أرغب في مكان أتمكن فيه من استجماع شتات أمري والسيطرة على مشاعري قبل ذهابي إلى المنزل لعائلتي، لكن كونكلين قال: "أريد فحص منزل كالهون مجددًا".

"لماذا يا ريتش؟".

"دونما سبب محدد".

تنهدت وقلت في تسليم: "حسنًا، إذا كان هذا هو ما تريده، فسوف نفعله".

الفصل 60

أوقف كونكلين السيارة أمام البيت الأخضر في شارع تكساس. جلسنا بهدوء للحظة تحت سلك هاتف معلق تقف فوقه طيور سوداء، ثم ترجلنا، وأزلنا الختم من على الباب الأمامي وفتحناه عنوة.

لم يكن هناك أي أثر للحياة في هذا البيت، لكن فاحت منه رائحة في غاية السوء، وفي الثواني السابقة لإشعال الضوء، كدت أسمع ماري كالهون تصرخ مستغيثة.

اقترحت أن يفحص كل منا غرفة وأن نحاول فحصها من منظور جديد. أراد كونكلين أن يفحص غرفة الطفلين.

وتوجهت أنا إلى المطبخ.

أول ما رأيته كانت ملعقة ووعاء في الحوض بهما بقايا آيس كريم الشوكولاتة. تخيلت أن هذه كانت آخر وجبة لأحد أفراد العائلة. وعلى ارتفاع خمس أقدام من علامات الطباشير على أرضية المشمع حيث كان جسد ماري كالهون يرقد ممزقًا، رأيت على الثلاجة رسومات معلقة بالمغناطيس لطيفة الشكل وجداول مباريات البيسبول للصغار، وكانت كلها ملطخة بالدماء.

كـان باب الثلاجة مفتوحًا، والطعام فسد، وقد عبقت رائحة اللحم المتعفن الغرفـة. ألقيـت نظرة على سلة المهمـلات، في حال نسي أحدهـم شيئًا، ولكن القمامة ذهبت بالكامل إلى المختبر وكانت السلة فارغة.

كـان حامـل السكاكين ينقصـه سكين، وهـو غالبًـا سكيـن التقشير الذي استخدم في انتزاع جفني توم كالهون.

حاولـت اتبـاع نصيحتي والنظر إلى المشهد كما لو أنتـي أراه للمرة الأولى، ولكن كان من المستحيل فعل ذلك.

الكلمة التي كانت تتردد في ذهني هي: *لماذا؟*

تسـاءل بـرادي أمامنا في السابق عمـا إذا كان كالهون ينتمـي إلى عصابة سترات الشرطة، وعمـا إذا كانت لديه معلومات عن المخـدرات التي افترضنا أنها كانت السبب في سرقة ويكر هاوس وقتل عمال المختبر.

كنـت أثق بحدس برادي. إذا كـان كالهون ينتمي إلى هذه العصابة، فإنه لم يكـن بمفرده. أيمكن أن يكون معه شرطيون آخـرون؟ أيمكن أن يكون سوانسون وفاسكيز وروبرتسون من العصابة أيضًا؟

لقـد خطر لكونكلين احتمال وجود علاقة بين حـادث ويكر هاوس ومقتل آل كالهون. سمعت خطى كونكلين، والتفت إليه عندما وصل إلى المطبخ.

قال: "ليس هناك جديد في الطابق العلوي. كانت جريمة قتل يا ليندسي. لا أرى أي علامات على السرقة؛ فكما قال كلابر، كل شيء في مكانه".

سألته: "ومن قتلهم؟"، وإن كنت أسأل نفسي في الحقيقة.

"ما رأيك يا ليندسي؟".

"دعنـا نقـل إن برادي على حق، وإن كالهون أحـد أفراد عصابة سترات الشرطة. كـان كالهون متحمسًا للغاية عندما أوقعنـا بالصبية المقلدين الذين ارتدوا سترات رجال الشرطة. أتذكر هذا؟".

أومأ كونكلين برأسه.

"كـان الأمـر كما لو أنـه يعبر عن فرحته بإغلاق القضيـة. ربما لأنه إذا استطـاع إقناعنا بأن قضية عصابة سترات الشرطة قد تم حلها، فإنه سيصبح بعيدًا عن الشبهات".

قال شريكي: "استمري".

قلـت: "حسنًـا، إذا كـان كالهون متورطًا فـي سرقة ويكر هاوسـ، فإن هذه المخـدرات المسروقـة تساوي الكثير لدى أحدهم. دعنا نقـل إن هذا الشخص كان كينج فيشر. ماذا لو عرف كينج فيشر هوية من سرقه؟".

قال كونكلين: "أوه. حسنًا، أنت تقولين إن هذا ربما لم يكن تعذيبًا للحصول علـى معلومات، وربمـا ما حدث مع آل كالهـون كان رسالة مفادهـا أن هذه هي نهاية من يعبث معهم".

قلتُ محدقة في الدم الذي يلطخ أرضية المطبخ: "إنه مجرد حدس".

قـال كونكلين: "مجرد حدس لكنـه أكثر منطقية من أي شـيء سمعته حتى الآن".

الفصل
61

عدت إلى المنزل قبل العشاء، وبعد الاستحمام وارتداء ملابس مريحة، أجلست جولي على ساقي وأطعمتها لحم الضأن المفروم والبازلاء بينما كنا نستمع إلى أغنية بصوت فاليري جون العذب، ثم وضعت الطفلة بين ذراعي جو، وملأت وعاء مارثا بوجبة ممتازة كنت أدخرها لمناسبة خاصة، وأخبرت جو أنني سأطهو العشاء، وقلت: "عليَّ أن أقوم بشيء أستطيع التحكم فيه. هذا سيشعرني أنني أفعل شيئًا نافعًا".

قال جو: "لقد أقنعتني منذ قلت: سأطهو".

ضحكت للمرة الأولى في ذلك اليوم، ضحكة طويلة قوية. انضم إليَّ زوجي، ثم أعطاني كأسًا من عصير البرتقال البارد، وهو ما تعودنا على فعله "للاسترخاء".

وبينما كنت أقطع الخضراوات، أخبرت جو عن يومي الشنيع.

قال: "طلبت منكِ اصطحابكِ إلى كولما".

"لا، كان الأفضل أن أذهب مع زملائي"، وأعطيت جو ملخصًا شفهيًا قصيرًا لما حدث بمنزل آل كالهون بعد الجنازة. وبينما كنت أرقق شرائح اللحم بمطرقة، أخبرته عن أفكاري حول تورط كينج فيشر، حتى وجدت الشرائح وقد أصبحت رفيعة للغاية، تكاد تكون شفافة، وشعرت بجو يأخذ المطرقة من يدي بلطف.

ضحكت مرة أخرى، وكان علاجًا شافيًا في الواقع.

وبينما تناولت العصير، تحدث جو عن تجار المخدرات الذين كان يعرفهم وعن كينج فيشر على وجه الخصوص، وهو مجرم متوحش عُرف بتدمير أي شخص يقف في طريقه.

قال جو: "إنه يُعد أسطورة وخرافة في الوقت نفسه، فلا أحد يعرف كيف يبدو، لكن يقال إنه يحصل على حصة من كل صفقة مخدرات تتم في الدولة، وإلا...".

تنهدت قائلة: "نعم أعلم".

قال: "لا أحاول إخافتكِ يا ليندسي، ولكن إذا كنتِ تعتقدين أن عصابة كينج فيشر عذبت شرطيًا قد يكون متورطًا في القضية التي تعملين عليها، فإن ...".

قلت: "نعم، أفهمك".

أصدر اللحم أزيزًا عندما وضعته في الزيت، وصب جو الصودا.

"أنا قلق يا ليندسي".

"سأكون حذرة. لن أورط نفسي في أي شيء بلا داع".

أومأ جو موافقًا، ثم قام بتشغيل جهاز الحماية ضد السرقة والاقتحام بينما كنت أرص الأطباق، وقررنا تناول العشاء على مائدة الطعام على سبيل التغيير. جلست مارثا بين مقعدينا حتى انتهينا. في أثناء إعداد القهوة، غيَّر جو الموضوع وأخبرني أنه توصل لخيط جديد في "قضيته" الخاصة بجرائم يوم ميلاد كلير.

قال جو: "لديَّ مشتبه به محتمل اسمه واين بروارد، وقد اتهم بثقب إطارات سيارة أحد الجيران. حكم القاضي بتغريمه، ولكن بروارد هدد بقتل القاضي، واغتصاب زوجته، وخنق أطفاله".

قلت: "يا إلهي! إنه مخبول تمامًا".

"نعم. حُكم عليه بأقصى عقوبة لتهديده قاضيًا، وهي دفع غرامة قدرها خمسة آلاف دولار والسجن لمدة عام. لكن بروارد خرج مبكرًا لحسن سيره وسلوكه. ومتى كان ذلك؟ قبل يوم ميلاد كلير منذ خمس سنوات".

قلت: "حقًا؟ دعنا نر ما لديك إذن".

في أثناء تنظيفي المائدة، أحضر جو حاسوبه المحمول. فحصت الملفات التي وجدها، ثم دخلت على قاعدة بيانات شرطة سان فرانسيسكو وقرأت ملف هذا الرجل المجنون، واين لورانس بروارد، الذي يعيش في حي بايفيو

عند تقاطع شارعي هوليستر وهاويس. وبصرف النظر عن ثقب إطار سيارة الجيران، فإنه صار لديه سجل إجرامي بعد الاعتداء على جار آخر سولت له نفسه أن يضع صندوق قمامته بالقرب من ممر سيارة بروارد. بالإضافة إلى ذلك، قدمت زوجة بروارد ضده شكوى عنف منزلي.

لقد تنازلت عنها فيما بعد، لكن قراءة شكواها كانت مهمة.

"استمع إلى هذا يا جو. ذكرت السيدة بروارد أن والدة زوجها المجنونة قد دمرته، وأنه يعاني مرضًا نفسيًا اسمه الاضطراب الانفجاري المتقطع".

"ولم تهجره!".

"نعم، صحيح. إذا أتيحت لي لحظة فراغ غدًا، سأذهب لتفقد هذا المخبول".

قال زوجي العزيز: "كوني حذرة فحسب".

الفصل
62

كان منزل واين لورانس بروارد هو المنزل الثالث بعد تقاطع شارعي هوليستر وهاوز، وكان مكسوًّا بالخشب بني اللون. وأمامه امتد سياج يحمل لافتات تناهض بقوة التعدي على ممتلكات الآخرين. كان يبدو أشبه ببيت أحد المصابين بجنون الشك!

أوقفت سيارتي أمام السياج، وثبتُّ شارتي على ثنية سترتي بحيث يتلألأ المعدن الذهبي على القماش الأزرق الداكن. كما أنني فككت أزرار سترتي كي يتبدى مسدسي للعيان. وأخيرًا دفعت البوابة ودخلت.

منذ اللحظة التي وضعت يدي فيها على البوابة، كنت أعلم أنني تعديت حدودي بشدة هنا. كان المحققان مايكلز ووانج يعملان على قضية تينا ستريشلير، وبرغم أنهما كانا جديدين، أو ربما بسبب ذلك، لم أشعر بالراحة في أن أطلب منهما التحقق من شكوكي أنا وجو.

ومع ذلك، كان من الصعب وضع هذه الشكوك جانبًا، وكان عليَّ التحقق منها بنفسي. سرت على الممشى إلى الباب الأمامي، الذي كان يحمل لافتة أخرى تقول: **ممنوع الدخول وهذا يشملك أنت أيضًا.**

ضغطت على الجرس، وسمعت صوت نباح كلب يتصاعد من داخل المنزل، ثم صوت رجل يقول: "حسنًا يا هاوزر. دعنا نر من هذا الوغد المتطفل".

سمعت همهمة من وراء الباب، ثم صوت انزلاق السلسلة، وفتح الأقفال. بالنظر إلى المستوى المتواضع لسكان هذا الحي، فإما أن واين بروارد يكدس سبائك الذهب في منزله، أو يخوض حرب رجل واحد.

أو ربما طعن امرأة حتى الموت في العشرين من مايو الماضي.

سمعت المزيد من النباح، ثم فُتح الباب أخيرًا. ظهر رجل أبيض بني الشعر، متوسط البنية، يرتدي قميصًا وسروالًا من الجينز، ويحمل بندقية في يده.

"ماذا تريدين بحق السماء؟".

قلت مظهرة شارتي: "أنا الرقيبة ليندسي بوكسر. أبحث عن واين لورانس بروارد".

رقد الكلب أمام المدخل، ولكن الرجل المهذب الذي كان يحمل البندقية دفعه بساقه للخلف، ثم قال: "قلت ماذا تريدين بحق السماء؟".

رفعت شارتي في وجهه وقلت: "شرطة. اخفض سلاحك".

كشّر الرجل في وجهي، لكنه خفض سلاحه.

أخرجت صورة تينا ستريشلير من جيبي. كان مشهد مقتلها الدموي على الرصيف أمام مائة سائح لا يزال حيًّا في ذاكرتي.

سألته: "هل تعرف هذه المرأة؟".

تفحص بروارد الصورة، ثم فتح الباب على مصراعيه، وقال: "لماذا لم تقولي ذلك من البداية؟ ادخلي".

الفصل 63

برغم أن ما قاله بروارد يؤكد أنه كان يعرف تينا ستريشلير، فإنني أردت أن أسمعه يقولها بأذني.

سألته: "هل تعرف هذه المرأة؟".

قال: "ادخلي. أنا لا أعض. حتى هاوزر لا يعض".

جر الكلب من طوقه، ودفعه إلى غرفة نوم، وأغلق الباب.

وضعت يدي على مسدسي، ودخلت البيت بحذر وأنا أتلفت حولي. كان البيت في فوضى عارمة. لم تكن هناك بوصة واحدة نظيفة أو مرتبة، وكانت هناك دجاجات حية في صندوق تحت الطاولة، وأطعمة معلبة مكدسة إلى السقف، وصناديق من الذخيرة على المناضد، وبنادق معلقة على الجدران.

فحصت الغرفة بحثًا عن متعلقات نساء مقتولات قد يكون محتفظًا بها كتذكارات، أو قصاصات من الجرائد تتحدث عن جرائم قتلهن، أو علامات تدل على وجود الزوجة ضحية الاعتداء. كما بحثت عن السكاكين التي ربما استخدمت لارتكاب جرائم قتل قبل أن يحملها القاتل معه.

لكني شعرت بالصدمة من الفوضى عمومًا حتى إن بروارد غاب عن نظري للحظات في خضمها، حتى شعرت بفوهة البندقية الباردة على مؤخرة عنقي.

قال واين بروارد: "لماذا لا تسلميني سلاحكِ لنتحدث قليلا".

قلت: "بكل سرور". غمر الخوف والخجل جسدي حتى النخاع وتبديا في عيني. كنت أرتجف حقًا. فأنا من دخلت الشرك بقدمي، وقد أموت الآن في هذه الغرفة بسبب ذلك.

قلت وظهري له: "إنني أخرج مسدسي ببطء شديد. أفعل هذا بأطراف أصابعي".

وكما تدربت آلاف المرات، استدرت بسرعة، ودفعت بندقية بروارد بعيدًا عني، ثم أمسكت بها بكلتا يدي، وانتزعتها من قبضته، ما جعل توازنه يختل. وأخيرًا رميت البندقية بعيدًا عن المكان الذي كنت أقف فيه، فاصطدمت بجدار معلق عليه إطارات دراجات، ثم رفعت سلاحي وصوبته على أنف بروارد.

استغرق هذا كله عشر ثوان تقريبًا، لكنني شعرت كأنها الثواني العشر الأخيرة في حياتي. كان هاوزر ينبح بشدة، وتعجبت من حظي الذي جعل بروارد يستهين بي ويترك الكلب وراء الباب.

صاح بروارد متشنجًا: "أيتها الحمقاء! كان بإمكاني إطلاق النار عليكِ. كان بإمكاني فعل أي شيء بكِ. ولم يكن أحد سيعرف بما حدث لكِ".

قلت: "استدر وضع يديك خلف رأسك".

وفعل ما طلبته.

قال بحزن: "كان بإمكاننا الاستمتاع قليلًا معًا. لم أقض ليلة مع شقراء منذ وقت طويل".

قلت: "اخرس أيها الحقير".

وضعت سلاحي في غمده، ثم أنزلت ذراعي بروارد، وكبلت يديه خلف ظهره.

قلت: "أنت رهن الاعتقال بتهمة الاعتداء على شرطية"، ثم قرأت عليه حقوقه.

الفصل 64

كان بروارد ملقى في مؤخرة سيارتي، ومكبلًا بالأصفاد.

كـان الأدرينالين لا يزال يتدفق بقوة بداخلي. كان يمكن أن يقتلني، كان من الممكـن أن يحدث هذا، ولكنـه سيكون خطئي بالكامل لقيامـي بهذا التصرف الغبي.

لـم أستطع التوقـف عن النظر إليـه في المـرآة الخلفيـة. أي شخص يراه سيقـول إنه مجنون بـكل تأكيد، ولكن بغض النظر عن حالتـه النفسية، فإنه لم يكن يعرف أو يهتم بأنه كان في طريقه إلى السجن.

ثم قال بروارد بصوت عال: "أتذكرين عندما كنا نعيش مع ماما؟".

"كان وقتًا ممتعًا يا واين".

"اعتدتِ على مناداتي بعزيزي المحبوب. كنت أحب هذا النداء".

"كان ذلك فيما مضى يا واين. لقد نسيت ما بيننا".

وبدأ بروارد في ترديد أنشودة.

رفعت الحاجز الزجاجي وأبقيت عيني على الطريق. لم يعجبني ما كان عليَّ أن أقولـه للقاضي عن سبـب دخولي منزل شخص غير مشتبـه به. كان السبب الوحيـد هو مجرد حدس. حمدًا لله أن بروارد دعاني للدخول؛ إذ ربما ساعدني هذا – بالإضافة إلى واقعة تهديده لقاضٍ – على أن أبدو أقل غباءً.

بعـد عشرين دقيقـة، أوقفـت سيارتي فـي ساحة انتظـار برايـنـت وألقيت بالمفاتيـح إلـى العامـل. لـم يسبب بـروارد أي مشـكلات عندما سـرت به في الأصفاد عبر الشارع وإلى مبنى مقر الشرطة. عبرنا جهاز الكشف عن المعادن وصعدت به الدرج إلى مكتب الرقيب في الطابق الثالث.

قلت: "أيها الرقيب، نحن بحاجة إلى احتجاز السيد بروارد للاعتداء بسلاح قاتل على شرطية. تأكد من حصوله على تقييم نفسي".

طـرح الرقيب بروكـس بعض الأسئلة ومـلأ استمارة، وجـاء شرطي يرتدي الـزي الرسمي وأخـذ بروارد للحجز. سيظـل الرجل مشغولاً لمـدة تتراوح بين أربـع وعشرين وست وثلاثين ساعة، حيث سيخضع لتفتيش دقيق، ثم سيأخذون بصمـات أصابعه، ويحممونه، وبعدها ستجـري عليه ممرضة بعض الفحوصات الطبيـة، ويراه طبيب نفسي. بعدها سيرتـدي بذلة الاحتجاز ويحبس في زنزانة إلى أن أتمكن من العودة إليه.

بعـد أن تركـت المكتب، ذهبت إلـى قسم مكافحة جرائم القتـل حيث أعمل. وجدت كونكلين على مكتبه وقد تكدست أمامه ملفات تجار مخدرات في كل مكان.

قلت: "آسفة جدًا يا ريتش.. لقد انشغلت بأمر ما". كنت قد خططت مسبقًا ما سأخبر به شريكي عن واين بروارد، لكنه قاطعني قائلًا: "رالف فالدين قتل".

كـان رالف فالديـن، المعـروف أيضًا باسـم راسكال، أحد عمـال المخزن فـي ويكـر هاوس. وقـد اتهـم فالديـن بالاعتـداء على ضابـط شرطـة بسبب تلك اللكمة التي وجههـا لكونكلين في الملعب، ولكن تـم إطلاق سراحه بكفالة. فعلى عكس دوني وولف، الذي سرق سيارة، لم يكن لدينا شيء آخر ضد فالدين. لـم يكـن هناك أي دليل على أنه يعرف قتلة ويكـر هاوس أو ما حدث للمخدرات التي سرقت من ذلك المعمل.

سألت شريكي: "ماذا حدث؟".

قال كونكلين: "ذهبت والدته إلى بيته فوجدته ميتًا في غرفة النوم. طلقتان فـي الصدر، وواحدة في الرأس. أرى أن هناك من يحاول طمس أي آثار متبقية للجريمة. ربما كان يعرف هوية قتلة ويكر هاوس".

قلت: "وها هو شاهد جديد يُقتل".

قال: "وقد كان أحد الشهود الذين استجوبناهم".

الفصل 65

عقد برادي اجتماعًا مرتجلاً في نهاية المناوبة. كنا منهكين، لكننا كنا متحمسين لأقصى درجة لإيقاف عجلة القتل وإنقاذ ما تبقى من سمعتنا التي كانت تنهش حرفيًا على يد وسائل الإعلام نهارًا، وليلًا، وخلال العطلات الأسبوعية.

إذا كان برادي فظًا في المعتاد، فإنه لم يكن كذلك اليوم.

قال برادي: "لدينا مشكلة كبيرة – جميعنا. هناك أكثر من عشرة أشخاص قد قتلوا، ومن ضمنهم واحد منا، هو وعائلته. هؤلاء القتلى منهم الضحايا، والشهود، والمجرمون، وكي أكون صريحًا فإنني لا يمكنني الجزم بصحة تصنيف كل واحد منهم. إليكم رؤيتي للوضع:

"لقد تغيرت طبيعة الحرب بين تجار المخدرات وبيننا. قد يكون رجال الشرطة متورطين في جرائم متعلقة بالمخدرات، ما يجعل تجار المخدرات يردون الصفعة. لا يمكن لأحد أن يجزم بما يفعله كل طرف، وهذا يجعل الأمر أكثر إزعاجًا بكثير. هذا لا يمكن أن يستمر.

جميعكم هنا تعملون على حل اللغز، كل واحد مكلف بالعمل على جزء محدد منه. تحدثوا مع محققي مسارح الجريمة. فكروا في كل ما قيل أو حدث ولم تنتبهوا له. أخرجوا من رءوسكم الفكرة السخيفة التي تقول إنك يجب ألا تشي بأحد زملائك. فقد عُذب أحد زملائنا، ثم قُتل هو وعائلته.

هـذه المرة الأولى التي يحدث أمامي فيها شيء كهذا، ولا أحتاج لأن أقول إنه لم يكن ينبغي أن يحدث قط. فقط اعلموا أن بابي مفتوح لكم جميعًا. إذا توصل أحدكم إلى دليل، حتى لو كان سيورط به شخصًا يعرفه ويثق به، فعليه أن يخبرني على انفراد".

سار برادي بضع خطوات، ثم سألنا إذا ما كان لدينا أي استفسار. لم يقل أحد شيئًا. لم يكن هناك غرباء في الغرفة – فقط رفاقنا الذين حمونا لسنوات عديدة.

رفاقنا الذين ترك واحد منهم ملاحظة مجهولة على مكتبي تقول: احذري.

واصل برادي حديثه قائلًا: "بوكسر وكونكلين هما المحققان الرئيسيان في قضية ويكر هاوس ومقتل توم كالهون وعائلته. إذا كُلف أحدكم بأي من القضيتين، فليقدم تقاريره إليهما.

أما المحققان سوانسون وفاسكيز فهما المسئولان عن جرائم القتل والسرقة في المتاجر الإسبانية ومكاتب صرف الشيكات، القديمة والحديثة منها.

وقد كلفت ويتني وبراند بالإشراف على جميع جرائم قتل تجار المخدرات. إذا كانت لدى أحدكم أي معلومات عن سرقة أو مقتل تاجر مخدرات على يد الشرطة، فقدموا تقاريركم فورًا لي.

"ستجدون رقم هاتفي الخلوي وعنوان بريدي الإلكتروني منشورين في غرفة الاستراحة. نحن لدينا الذكاء الكافي لإنهاء هذه المشكلة، لذلك دعونا نفعل ذلك. جميع الإجازات ملغية حتى إشعار آخر.

وهذا كل شيء".

انفض الاجتماع، وشق برادي طريقه عبر الغرفة المليئة برجال الشرطة إلى مكتبه. عندما وصلنا أنا وكونكلين إلى مكتبينا، أمسكت الهاتف، واتصلت بسجن الرجال، وفي بضع دقائق كنت قد أعددت غرفة للتحقيق مع لص السيارات وعامل المخزن السابق في ويكر هاوس: دونالد وولف.

الفصل
66

بدا لي دوني وولف في مزاج جيد عندما أحضره الحارس إلى غرفة التحقيق في بذلته البرتقالية مكبلًا بالأصفاد.

قال وهو يجلس بينما غادر الحارس الغرفة: "أهلًا. كيف حالكما؟".

ثم اعتدل في مجلسه ليحظى بمزيد من الراحة. ربما كان مستمتعًا باهتمامنا به أو سعيدًا لمجرد وجود صحبة. ثم أضاف: "ستجعلانني أفوت موعد عشائي".

قال كونكلين: "لديَّ خبر سيئ يا دوني".

"أوه، حقًّا؟".

"لقد قتل أحدهم صديقك راسكال".

"لا، لا، هذا لم يحدث".

أخرج كونكلين هاتفه من جيبه وعرض صورة رالف فالدين يرقد ووجهه لأسفل على سريره الضيق، بينما يغرق دمه الأغطية الزرقاء الفاتحة. وضع كونكلين الهاتف على الطاولة وأداره بحيث يتمكن دوني وولف من رؤية الصورة.

لوهلة، أمكنني رؤية الطفل الصغير داخل وولف بوضوح. جحظت عيناه للخارج، وتراجع مبتعدًا إلى الخلف. ولكنه تمكن من إخفاء صدمته بعد لحظات قليلة، وعاد يضع قناع المجرم المتعجرف الذي يحاول أن يصبح مجرمًا أكبر وأفضل.

قال: "هذه الصورة مزيفة. أنتم تحاولون إخافتي".

قال كونكلين: "حقًّا؟ هل تعتقد حقًّا أننا أعددنا هذا المشهد بكل هذه الدماء وقطع المخ المتناثرة كي نخيفك فعلًا؟".

"بالتأكيد. ولِمَ لا؟".

"لأننا يا دوني لسنا بحاجة لذلك. أنت محتجز في زنزانة، ومحاكمتك قادمة، وستحاكم بتهمة سرقة سيارة، وستُسجن لفترة طويلة. وقد تخرج في الوقت المناسب لترى ابنك الذي لم يولد بعد في حفل زفافه".

مرت لحظات طويلة بدا خلالها أن دوني يتخيل ذلك بالفعل. ثم قال: "وما خياري الثاني؟".

هذا هو أحد الأشياء التي أحبها في كونكلين. إنه رجل جدير بالثقة، تتدفق هذه الثقة من داخله، وتصل لمن أمامه حتى لو كان مجرمًا أرعن مثل دوني.

قال شريكي: "اسمع، نحن بحاجة إلى معرفة كل شيء ممكن عن فالدين. لماذا قتل ومَن الذي فعل هذا به؟ ساعدنا وسنخبر المدعي العام أنك تعاونت معنا. سيخفف هذا الحكم عليك، أعدك بهذا".

عم الهدوء غرفة الاستجواب الصغيرة. بذلت قصارى جهدي لعدم إظهار تململي بينما كان دوني يفحص خياراته، ثم قال أخيرًا: "كيف يفترض بي أن أساعدكما؟ لم أكن هناك، ولا أعرف لماذا قد يفعل أي شخص ذلك في راسكال".

وهنا، اضطررت للتدخل، فقلت: "دوني، صديقك راسكال قُتل عن عمد. أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟ لم يُطلق عليه النار بينما كان يسرق متجرًا أو سيارة أو يعتدي على امرأة شخص آخر، بل قتل رميًا بالرصاص في فراشه، بينما كان نائمًا".

"لا، لا، لا".

"بل نعم. وهذا ما أفكر فيه يا دوني. رالف كان يعرف شيئًا، وهناك مَن أراد أن يضمن ألا يتكلم أبدا".

بعد صمت طويل، قال دوني: "ربما كان يعرف شيئًا لا أعرفه".

استمررت في الضغط قائلة: "هل تعرف هوية مَن هاجموا ويكر هاوس؟ هل تعرفهم؟".

نظـر وولف إلـى الكاميرا، ثم عاد ينظر إلى كونكلين، وقـال له: "ليس أمام الكاميرا".

غادر كونكلين الغرفة، وعندما عاد، كان ضوء الكاميرا الأحمر قد انطفأ.

قال كونكلين: "تكلم يا دوني".

"الشرطة هي مَن هاجمت المكان".

سألت: "أي شرطة؟".

قـال: "كانـوا مـن *الشرطة*. أنـا وراسكـال أخبرنـا أحدهم بموعـد خروج المخدرات للتوزيع، وكان يفترض أن تكون عملية سرقة فقط. لم نكن نعلم أنهم سيطلقـون النـار، لم يخبرونا بذلك، أقسم لكما بابنـي الذي لم يولد بعد. كنت أحتاج نقود للهروب من هنا، وهذا كل شيء".

كانـت الدموع الحقيقية تملأ عينيه. فمسحها دوني بيديه، ومن جديد رأيت الطفل المذعور في داخله.

"كيف تعرف أنهم كانوا من الشرطة؟".

"كانوا يرتدون سترات رجال الشرطة".

"أهذا كل شيء؟ هل رأيت شاراتهم؟ أهم رجال شرطة تعرفهم؟".

قال دوني: "إنهم يتحدثون كرجال الشرطة، ويمشون كرجال الشرطة. إنهم من الشرطة".

سألته: "كم عددهم؟".

"لـم أقابل سـوى الشخص الذي أبرم الصفقة معـي أنا وراسكال. لكني سمعـت أن هنـاك خمسـة آخرين. وقـد حذرت الشخص الذي دفع لـي المال وأخبرته أن هذه المخدرات تخص الملك".

"كينج فيشر؟ وماذا قال؟".

"قال إنه لا توجد مشكلة، وإنه يسيطر على الأمر – شيء كهذا".

قال كونكلين: "وما اسم هذا الشرطي؟ نحن بحاجة إلى اسمه".

استمـر الصمت لثوانٍ طويلة، حيث كان دونـي وولف يفكر فيما سيجنيه إذا أخبرنـا باسمه، وما الذي سيخسره إذا لم يفعـل. أعتقد أنه وجد المكسب أكبر من الخسارة في النهاية.

قال كونكلين: "كيف يبدو؟".

هـز دونـي رأسه مرة أخرى، ثم اتخذ قراره، وقال: "فـي كل مرة رأيته فيها كان يجلس في سيارة. إنه رجل أبيض، يرتدي قبعة الشرطـة ونظارة شمسية كبيرة. لا يمكنك أن ترى سوى أنفه، وهو مجرد أنف عادي".

سأله كونكلين مرة أخرى بصوت ثابت: "وما اسمه يا دوني؟".

"واحد. هذا هو ما قاله، وهذا هو ما نناديه به. السيد واحد".

الفصل 67

بمجرد عودتي إلى المنزل تلقيت مكالمة من سيندي. كانت في المطار، بعد أن عادت للتو من جولة ترويج كتابها، فدعوتها هي وريتشي لزيارتنا وتناول اللازانيا بالنقانق التي يعدها جو.

بعد نصف ساعة، كانت جولي قد نامت، وشخصان من أقرب الناس إلى قلبي يقفان في المطبخ معي أنا وجو. كنا نتذوق الشراب الفاخر الذي جلبته سيندي من المتجر القريب.

كانت سيندي ترتدي سترة صفراء فاتحة وبنطالاً من الجينز، وتضع دبابيس لامعة في شعرها الأشقر المموج. وقفتْ ملتصقة بريتش، الذي أحاطها بذراعه. بدا كلاهما يشعان بالسعادة، الأمر الذي أسعدني أيما سعادة.

بينما كنت أعد السلطة، أخبرتنا سيندي بشيء غريب حدث في آخر محطة في جولتها، مكتبة ميستيريوس جالكسي في سان دييجو. في أثناء توقيع الكتاب، ظلت امرأة تنتظر حتى انتهى الثلاثون شخصًا الحاضرون من توقيع كتبهم، ثم همست لسيندي: "لديَّ قصة أعتقد أنكِ ترغبين في نشرها".

سأل جو سيندي: "حقًّا؟ قصة حقيقية؟".

وأجابته: "هذا هو ما قالته".

قصت سيندي علينا حكاية المرأة العجيبة عن شخص لديه خمس زوجات، كل واحدة لا تعرف عن الأخرى شيئًا. كان الرجل يتظاهر بأنه بائع متجول، ولكنه في الحقيقة كان نصابًا.

قالت سيندي: "أخبرتني نيكي، وهو اسم هذه المرأة، أن بيني كان أرق رجل عرفته - كان طيبًا للغاية وينتبه لأدق التفاصيل. لقد جعلها تشعر دائمًا بأنها أهم شخص في العالم. وبالمناسبة بيني كان والدها". ضحكت سيندي بسبب تعبيرات الذهول التي علت وجوه مستمعيها. ثم قالت: "أخبرتني نيكي أن والدها اختفى قبل عشر سنوات ويفترض أنه ميت، بيد أنه لم يتم العثور على جثته. إنها تريدني أن أكتب مقالاً عن والدها واختفائه الغامض. تريدني أن أجده، حيًّا أو ميتًا، وإذا كان قد قُتل، فإنها ترغب في العثور على القاتل. إنها لا تطلب الكثير، أليس كذلك؟ لكنني *أفكر* في عرضها في الواقع".

كانت وجبة العشاء ساخنة ولذيذة، وتخللها الكثير من الضحك، وهو ما كنت أحتاج إليه. لكنني كنت لا أزال أشعر بالضيق مما حدث مع واين بروارد، وكنت لا أطيق الانتظار لإخبار جو عنه.

كنت أجد كل ما حدث منذ اللحظة التي طرقت فيها باب بروارد محرجًا للغاية، فلم أخبر كونكلين حتى، ولحسن الحظ كانت سيندي وريتش متلهفين للعودة إلى منزليهما بعد العشاء. بعدما تعانقنا جميعًا وتمنى بعضنا لبعض ليلة طيبة، ذهبت للاطمئنان على جولي، ثم قلت لجو: "لقد فعلت شيئًا غبيًّا للغاية اليوم".

أخبرته عن زيارتي لمنزل واين بروارد وكيف سمحت للرجل بأن يصوب عليَّ بندقيته. عبس جو، وشعرت به يتململ ويكاد يذكرني بأن لديَّ طفلة الآن.

قلت: "من فضلك لا توبخني يا جو. لقد وبخت نفسي بما فيه الكفاية".

"أنا لم أقل شيئًا".

"أعلم، ولكن هذا حقك. هذا الرجل مختل، وعقله غير متزن على الإطلاق - يمكن أن يكون مريضًا عقليًّا. لا أستطيع أن أصدق أنه يستطيع التخطيط لقتل امرأة كل عام في الثاني عشر من مايو ثم ينفذ جريمته، ويفلت من العقاب في كل مرة".

هززت رأسي، وفكرت في البيت المليء بالنفايات، والطريقة التي كان ينتقل بها عقل بروارد من الماضي إلى الحاضر، وعدم تركيزه مطلقًا على شارتي.

قلت: "لقد أعطيته ظهري للحظة، وكان معه بندقية".

قـال جـو: "تعالـي"، فذهبت واستكنت بين ذراعـي زوجي. وأخـذت نفسًا عميقًا، ثم تحركنا وجلسنا على الأريكة وأرحت رأسي على كتفه.

"علـيَّ أن أخبـر بـرادي وريتشي بشأن هـذا الرجل. بعـد استدعائه إلى المحكمـة سيعرف الجميع بما حدث على أية حال، وسأعاقب بطريقة أو بأخرى لذهابي إلى منزل رجل بريء بناء على مجرد حدس".

قال جو: "لقد أخطأنا، لكن قاتل تينا ستريشلير لا يزال حرًّا طليقًا".

قلـت: "صحيح. لكننـي بدأت أتشكك في فكرة وجـود نمط لهذه الجرائم يا جو. ربمـا نتوهم وجود صلة بين خمس جرائـم طعن منفصلة. ربما ليس هناك قاتـل واحـد بعقل خارق. يمكن بسهولـة أن يكون هناك خمسـة قتلة، ولكل قاتل عقل مختلف".

الفصل 68

كان هذا هو اليوم الثاني من المحاكمة.

قضت يوكي ليلة عصيبة؛ فهي وبرادي يقفان على جهتين متقابلتين من نظام العدالـة، وكأن بينهما جدارًا عـازلًا. لم تستطع التحدث معه عن قضيتها، ولا هو يستطيع التحدث معها عن قضيتـه، وهذا جعل الحديث بينهما جافًا والنوم شبه مستحيل.

وصلـت مكتبهـا في الثامنـة إلا الربع، ووصلـت ناتالي بعدهـا ببضع دقائق وأحضـرت معها القهوة. بدأتا في تحليل مرافعة باريزي الافتتاحية، وتخمين ما يعتزم فعله بشهودهما. وطلبت ناتالي من يوكي ألا تقلق.

وصل زاك ووقف على العتبة ناظرًا إلى يوكي، ثم قال لها: "وصلتني عشرات الرسائل النصية التي تتحدث عن مرافعتكِ الافتتاحية بالأمس. تهانينا، وشكرًا لكليكما".

ارتفعـت معنويـات يوكي، وبدفعـة مساعدة من الكافييـن، توجهت بصحبة ناتالي إلى شارع ماكاليستر وأوقفت السيارة في المرآب تحت الأرض.

بمجرد دخولهما قاعة المحكمة، قدمت ناتالي الفيديو للكاتب وانضمت إلى يوكي على طاولة الادعاء، ثم بدأتا التحدث بهدوء مع بعضهما بينما كانت قاعة المحكمة تمتلئ ببطء.

عندمـا حان وقت قضيتهـا، نهضت يوكي من مقعدهـا، وتجاوزت المنصة، مقتربة من هيئة المحلفين. كان كل شيء يعتمد اليوم على الفيديو.

قالـت يوكـي للمحلفين: "صبـاح الخيـر جميعًا. عندمـا أدليـت بمرافعتي الافتتاحية بالأمـس، أخبرتكم أنكم سترون مقاطع من استجواب الشرطة الذي استمر ست عشرة ساعة لآرون–ري كورديل.

أخبرتكـم أيضًا أن هذه القضية تتمحور حول شيء واحد أساسي: هل أُرغم آرون–ري علـى الإدلاء باعترافـه أم لا؟ لأنــه إذا اعترف مجبـرًا، فلن يعد هذا اعترافًا. وإذا لم يكن آرون–ري قد اعترف، فإنه كان ينبغي ألا يسجن، وإذا لم يكن قد سجن، لما كان ميتًا الآن.

لقـد اخترت مقاطع مـن الاستجواب لأريكـم إياها، ولكـن بإمكانكم قراءة النص بأكمله".

طلبت يوكي من الحاجـب أن يشغل الفيديو. فخفتت الأضواء وظهر الفيديو على الشاشة المسطحة. كان آرون–ري يجلس بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين أمـام طاولة خشبية، وعلى الناحية الأخرى جلـس شرطيان عرفا نفسيهما على أنهما المحققان ويليام براند وستان ويتني.

كان ويتني في الثلاثيـن من عمره، بلحية نامية ونظارة مستديرة ذات إطار سلكـي، وكان أشبه بمدرس علوم أكثر منه شرطيًّا. من جلسته ونبرة صوته، بدا أنه متعاطف مع ضيق آرون–ري.

قال ويتني: "أهذا ما حدث يا آرون؟ هل فزعت؟ هل أخافك تجار المخدرات المسلحون الخطرون؟ لقد هـددوك ولكنك فاجأتهم، أليس كذلك؟ لقد أطلقت النـار عليهم وركضت؛ لأنه إذا كان هـذا هو ما حدث، فأنت كنت تحمي نفسك، وسيتفهم الجميع ذلك".

قـال آرون–ري: "*لم* أطلق النـار عليهم. لم أكن أعرف حتـى أنهم *أصيبوا* بالرصاص. لقد عثرت على المسدس على الدرج واعتقدت أن بإمكاني أن أجني خمسين دولارًا مقابله. كان هذا خطأ لأنه لم يكن مسدسي. أنا آسف على هذا".

قـال ويتنـي: "اسمع يا آرون. ليس عليك أن تكذب بعد الآن. سيعرف الجميع مـا فعلته إن آجلًا أو عاجلًا. ولكـن إذا أخبرتنا، يمكننا حمايتك. هذا ما عليك فعله يا بني".

عرضت يوكي خمس دقائق من محاولات ويتني في مصادقة آرون–ري، طالبًا منه ألا يخشى شيئًا من الاعتراف: "ألا تريد الذهاب إلى المنزل يا آرون؟ ألا تريد أن ينتهي كل هذا؟".

"بلى، أريد الذهاب إلى المنزل".

أعطاه ويتني ورقة، وقال: "تقول هذه الورقة إننا تلونا عليك حقوقك، وإنك تتنازل عنها لأنك لا تريد محاميًا. إنك لا تريد تعقيد الأمر، أليس كذلك يا آرون؟".

قال آرون–ري: "أنا لم أطلق النار على أي شخص".

قال براند: "حسنًا تفعل يا آرون".

أعطى براند الصبي قلمًا، ووقع آرون–ري باسمه في المكان الذي وضع المحقق إصبعه عليه، وبمجرد أن رفع آرون–ري القلم، جذب براند الورقة بعيدًا وخرج بها من الغرفة.

قال ويتني: "أتشعر بأنك أفضل الآن؟".

أجاب آرون–ري: "لا".

استخدمت يوكي جهاز التحكم عن بعد في تقديم الفيديو إلى الساعة السادسة، والتي بدأ فيها المحقق براند قيادة الاستجواب.

الفصل
69

ضغطت يوكي زر التشغيل، فيما ركز المحلفون على استجواب المحقق ويليام براند لآرون—ري.

كان براند يحقق معه بينما ظل واقفًا على قدميه.

بدأ براند يسير في غرفة الاستجواب الضيقة، محركًا ذراعيه بغضب واضح. فـي بعض الزوايا أمكن رؤية الوشم على رقبته، تحت أذنه اليسرى، بالقرب من المكـان الذي تمسه ياقــة القميص. كان الوشم صغيرًا، وبـدا كأنه موسوم على رقبته بالحديد الساخن. كان الوشم يمثل الحرفين الأولين من اسمه (و ب).

قال براند للمشتبه به: "لقد وقَّعت يا آرون على *تنازل* يقول إنك لا تحتاج إلى محـام، لذلك *عليك* الآن أن *تخبرنا بالحقيقة*. هذا هو ما يعنيه. أما إذا واصلت الكذب، فستدمر نفسك. هل *تفهم*؟".

قـال آرون—ري: "لقد قلت لكمـا الحقيقة". وبدأ يبكي، ووضـع رأسه بيأس على الطاولة دافنًا إياه بين ذراعيه المعقودتين.

قـال براند: "أنت تكذب يا كورديل. إنك تثير *اشمئزازي*. كنت رجلًا حقيقيًا عندمـا أمسكت بالسلاح، لكـن انظر إلى وضعك الآن. إنك كـاذب جبان، أسوأ أنواع الأشخاص هو من لا يدافع عما فعله. إنك يجب أن تحصل على جائزة لما فعلته في الواقع. لقد خلصتنا من هؤلاء الحثالة. هذا ما فعلته، أليس كذلك؟".

صاح آرون—ري: "لااااااااااا".

انحنى براند فوقه وصاح في وجهه: "أيها الغبي القذر، أنا أحاول مساعدتك، ألا تفهم؟ قل الحقيقة اللعينة ودعنا ننتـه. ألا تريد أن يفخر والداك بأنك كنت رجلًا؟".

قال آرون-ري وهو ينتحب: "لم أطلق النار من هذا السلاح".

أعـادت يوكي تسريـع الفيديو مجددًا، ثـم قالت لهيئـة المحلفين: "مضت خمس عشـرة ساعـة وأربـع وأربعون دقيقـة. تنـاول آرون-ري خلالهـا ثلاثة مشروبـات غازية وكيسًا من رقائـق البطاطس. لقد تنازل عن حقوقه كي يتمكن من العودة إلى المنزل، هذا هو ما فهمه. أخبر الصبي المحققين الحقيقة، لكن ويتني وبراند لم يصدقاه".

اعترض باريزي قائلًا: "سيدي القاضي، الفيديو يتحدث عن نفسه".

قال القاضي كويرك: "سأسمح باستكمال العرض على أية حال".

ضغطـت يوكـي على زر التشغيل. كـان وضع الأفراد الثلاثة فـي الغرفة كما هو. كان براند يضع يديه في جيوبه، ويتمشى في الغرفة والغضب يعلو ملامحه.

قال: "هذه آخر فرصة أعطيها لك لتنتهي من كل هذا يا آرون، وإلا ستسجن لبقية حياتك، أو ربما ستعدم. في كلتا الحالتين، لن تتمكن أبدًا من معانقة ماما مجـددًا. أو ... يمكنك إخبارنا بما حدث. كنتَ تحت تأثير المخدر، وكان عقلك مشوشًـا وشعـرت بالتهديد، وهكذا كان عليك أن تدافـع عن نفسك وتطلق النار على هؤلاء الرجال الثلاثة الخطرين".

جلـس برانـد، ووضـع مقعده بجانـب آرون-ري، وطـوق بيـده مؤخرة عنق الصبـي ثم قال: "من الأفضـل أن تخبرنا الآن يا آرون، الآن وإلا ستنال عقابك. لديَّ عائلـة، ويجب أن أعود إلى المنزل. قل الحقيقة، أو في المرة القادمة التي أراك فيهـا، سأكون شاهدًا علـى إعدامك. سيبكي أبوك وأمـك، ولكني سأقول لهما إنني طلبت منك قول الحقيقة، وإنك أصررت على الإنكار. أتريد أن يحدث هذا؟".

رفـع آرون-ري رأسه من فوق الطاولة، وقال: "وهل سأتمكن من العودة إلى المنزل بعدها؟".

قـال برانـد: "نعم. فهذا ما قلته. أليس كذلك؟ اعترف، وإلا سأتركك وحيدًا هنا وأعود إلى منزلي".

تنهـد آرون–ري، وقال: "حسنًا. لقد فعلت هـذا. كنت خائفًا ولذلك أطلقت النار عليهم، حسنًا؟".

قال ويتني: "أطلقت النار على مَن؟".

"إيه. بيجي ودوين ودابل دي".

عاد آرون–ري يبكي مرة أخرى.

قال ويتني: "أنت فتى شجاع".

ثم نظر باتجاه المرآة ذات الاتجاهين، ورفع إبهامه. فتح براند الباب ودخل ضباط يرتدون الزي الرسمي إلى الغرفة وأوقفوا آرون–ري كورديل على قدميه.

تصافح ويتني وبراند في سعادة وأظلمت الشاشة معلنة انتهاء الفيديو.

ضمت يوكي النص إلى أدلة الاتهام وعادت إلى طاولتها.

قال القاضي كويرك: "سيدة كاستيلانو، ألديكِ شاهد؟".

كانـت تتفـوق على باريزي بمـا أنها كـان مسموح لهـا باستدعـاء شاهدين يستدعيهمـا الدفاع عادة. من الناحية القانونيـة، كانا "شاهدي دحض"، وكان بإمكانها التعامل معهما كما لو أنها تستجوب شاهدي الخصم.

تمنت يوكي أن تنجح في مسعاها.

فقالت: "أدعو المحقق ستانلي ويتني إلى الشهادة".

الفصل 70

كان المحقق ستان ويتني، من قسم مكافحة المخدرات، يرتدي قميصًا وبنطالًا من الجينز وربطة عنق مخططة تحت سترة زرقاء داكنة. بدا محترمًا وجديرًا بالثقة، وكانت نظارته ذات الإطار السلكي تكمل الصورة.

أقسم أن يقول الحقيقة كاملة ولا شيء غير الحقيقة، ثم اتخذ مقعده على منصة الشهود.

قضت يوكي بضع دقائق في إثبات أن ويتني كان يعمل لدى شرطة سان فرانسيسكو منذ ثماني سنوات، وأنه قضى السنوات الثلاث الأخيرة منها في قسم مكافحة المخدرات.

ثم طلبت منه أن يصف مقابلته مع آرون–ري.

قال ويتني: "حسنًا، لقد كان مثل الكثيرين الذين يتعرضون لضغوط ويرتكبون جرائم بسببها. جميع مرتكبي الجرائم سواء فعلوها للمرة الأولى أم كانوا محترفين، كبارًا كانوا أم صغارًا، لا أحد منهم يعترف ويقول: "لقد فعلتها"، حتى لو قبضنا على الواحد منهم وهو يقف بجوار الجثة والمسدس في يده والدم يلطخ ملابسه".

قالت يوكي: "أفهم، ولكن بما أنها كانت جريمة قتل، فلماذا استجوب المشتبهَ به رجال من قسم مكافحة المخدرات؟".

قال: "لقد أوقفت الشرطـة السيد كورديل لهروبه من وكر المخدرات وبيده مسدس. لقد قابلنا السيد كورديل من قبل، وفي البداية اعتبرناه شاهدًا".

"أنت لم تقبض على السيد كورديل في المرات التي قابلته فيها من قبل، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"ولم يكن موضع اتهام في أي جريمة من قبل، أليس هذا صحيحًا؟".

"صحيح تمامًا".

"إذن، ماذا كان سبب استدعاء السيد كورديل في المرة الأولى؟".

"لقـد كان من المترددين على المنطقة. أحيانًا كنا نداهم المكان ونجده هناك".

"حسنًا. لذا أنت لم تعرف عنه قط أنه شخص عنيف، أليس كذلك؟.

"حسنًا، لقد كان عنيفًا عندما قتل ثلاثة رجال".

"لكنـك لا تمتلك أي دليل على أنه أطلـق النار على أي شخص، أليس كذلك أيها المحقق؟".

"كان سلاح الجريمة في حوزته".

"وهـل أخضعتم يـدي السيد كورديـل أو ملابسه للفحص بحثًـا عن آثار البارود الذي كان سيثبت أنه أطلق النار بيديه من هذا السلاح؟".

"لا، لم نفعل".

"وهـذا لأنكـم عرفتم أنكم لن تجـدوا أي آثار للبـارود، أليس هذا صحيحًا أيها المحقق؟".

"كانت المقابلة تسير على ما يرام. لقد حصلنا على أجوبة، وكنا واثقين بأننا سنجد شهودًا على إطلاق النار".

كانـت يوكـي تتصبب عرقًا تحـت بذلتهـا السـوداء، ورأت أنها كانت تعامل ستـان ويتني برفق مبالغ فيه. فوقفت علـى مسافة قصيرة من الشاهد، ونظرت لـه وقالت: "لكن الحقيقة هي أنكم لم تستدعوا شهـودا على حادثة مقتل هؤلاء الرجال الثلاثة، أليس كذلك؟".

"بلى".

"واستمر السيد كورديل على مدار أكثر من خمس عشرة ساعة متواصلة يخبركما أنه لم يطلق النار على أحد، أليس كذلك؟".

"على ما أفترض".

"لكنكما لم تقبلا هذا".

"بدا واضحا لي أنه فعلها".

"لكنه ليس واضحا لي أيها المحقق. لم يكن لديكما شاهد، ولم تجريا اختبار آثار البارود، ولم يكن بحوزتكما أية أدلة جنائية، ولم يكن لديكما اعتراف لمدة ست عشرة ساعة تقريبًا. أليس هذا صحيحًا؟".

"بلى".

قالت يوكي: "من مهام ضابط الشرطة استخلاص الاعتراف الذي يدين المتهم، هل أنا محقة أيها المحقق ويتني؟".

"نعم".

"أليس صحيحًا أن أي مراهق، وخصوصًا إذا كان لديه تأخر ذهني، سيحاول إرضاء رجلي السلطة اللذين أخبراه أنه يستطيع العودة إلى المنزل؟ أليس هذا بالضبط ما أخبرتماه أيها المحقق؟ أليس بهذه الطريقة حصلتما على اعتراف السيد كورديل الزائف؟".

هب باريزي صائحًا: "أعترض يا سيدي القاضي. أي من هذه الأسئلة تريد السيدة كاستيلانو من الشاهد الإجابة عليها؟".

وأجابت يوكي: "أسحب جميع الأسئلة يا سيدي القاضي".

سرت همهمة خفيضة في القاعة؛ حيث بدأ الحضور يهمسون إلى بعضهم البعض. نظرت هيئة المحلفين إلى القاضي.

قال القاضي كويرك: "هل تريد استجواب الشاهد يا سيد باريزي؟".

الفصل
71

وقف لين باريزي، المدعي العام لمدينة سان فرانسيسكو والشريك بمكتب مورهاوس آند روجرز للمحاماة، والذي عُيِّن للدفاع عن المدينة ضد أي دعوى قضائية، وسار باتجاه الشاهد، المحقق ستان ويتني.

قال باريزي: "أيها المحقق ويتني. هل اعتقدت وقتها أنه كانت لديك أسباب لاعتقال آرون-ري كورديل بسبب إطلاقه النار على تجار المخدرات الثلاثة؟".

"بالطبع".

"هل اعتقدت أن السيد كورديل قتل الرجال الثلاثة؟".

"المتهم بريء حتى تثبت إدانته، لكنه كان المشتبه به الأول واعتقدت أنه هو من أطلق النار عليهم. إنه لم يكن يعرف أسماء القتلى فحسب، بل كان يحمل سلاحًا عندما قبض عليه هاربًا من مسرح الجريمة".

"هل ضربت السيد كورديل كي تجعله يعترف؟".

"لا، لم أفعل".

"هل هددته بأي اعتداء جسدي؟".

"لا".

"هل قرأت عليه حقوقه؟".

"نعم".

"إذن لماذا جعلته يوقع تنازلًا عن حقه في الحصول على محامٍ؟".

"لأننا أردنا أن نوضح أننا منحناه كل فرصة لتوكيل محام وأنه هو من قرر ألا يفعل. كان هذا قراره".

"وماذا عن الاتصال بوالديه؟".

"كانت هناك ملاحظة مرفقة بتقرير الشرطيين اللذين اعتقلاه تطلب عدم استدعاء والديه".

سأل باريزي: "وهل تعرف لماذا؟".

"لقد أخبرهما أنه كان في الثامنة عشرة. من الشائع ألا يرغب المراهق في أن يعرف أبواه ما يفعله".

"أكنت تعرف عمر آرون-ري؟".

"لا. لم تكن معه بطاقة هوية أو أي أوراق لإثبات الشخصية".

استدار باريزي كي يواجه المحلفين وسأل: "لماذا تعتقدان أنكما حصلتما على هذا الاعتراف بطريقة قانونية أيها المحقق ويتني؟".

أجاب ويتني: "لأننا استخدمنا الأدوات المتاحة لنا. لقد أردنا اعترافًا، وحصلنا عليه دون أن نفعل شيئًا خارجًا عن القانون. قال السيد كورديل إنه قتل هؤلاء الثلاثة، ورأيي أن هذه هي الحقيقة".

قال باريزي: "شكرًا لك، أيها المحقق. ليس لديَّ أسئلة أخرى لهذا الشاهد".

وبينما كان باريزي عائدًا إلى طاولة الدفاع، صدرت بعض الهمهمات غير المفهومة مع حركة غير معتادة بين الجالسين.

قال القاضي: "هدوء"، وظل يضرب بمطرقته إلى أن ساد الهدوء، ثم قال: "أترغبين في إعادة استجواب الشاهد يا سيدة كاستيلانو؟".

"نعم، سيدي القاضي".

نهضت يوكي من خلف الطاولة، ومرت بباريزي دون أن تنظر إليه في طريقها إلى منصة الشهود.

وقفت أمام ويتني وقالت: "أيها المحقق ويتني، هل تتفق معي في أن آرون-ري قبل أن يقول إنه فعلها، أخبركما مرارًا أنه لم يطلق النار على أحد؟".

أجاب: "مثل أي شخص آخر حققنا معه".

"الرجاء الإجابة عن السؤال. الحقيقة تقول إن السيد كورديل أخبركما أنه لم يطلق النار على أحد، أليس كذلك؟".

قال ويتني: "نعم، هذا صحيح".

"وهـل يفاجئك أن تعـرف أنه خلال التحقيق ذكـر السيد كورديل أنه لم يطلق النار على أي شخص سبعًا وستين مرة على مدار الاستجواب؟".

"لم أكن أعلم ذلك".

"حسنًا، لقد عددناها".

"حسنًا".

"وهـل سيكـون مـن المفاجـئ أن تعرف أنـه أيضًـا خلال التحقيـق الذي أجريتماه، نفى أن يكون السلاح ملكه اثنتين وعشرين مرة؟".

"مجددًا، لم أكن أعد خلفه".

"ومجـددًا أيهـا المحقـق، نحـن حسبناها. هـذا يعنـي أنه لسبـع وستين مـرة نفى السيد كورديل إطـلاق النار من السلاح، ولاثنتيـن وعشرين مرة نفى امتلاكه للسلاح. أيها المحقق ويتني، كم مرة أخبركما أنه أطلق النار على تجار المخدرات الثلاثة؟".

"مرة على ما أعتقد".

"مـرة واحـدة. وكان ذلـك بعد أكثر مـن خمس عشرة ساعـة في غرفة التحقيق، أليس كذلك؟".

أجاب ويتني دون أن تظهر عليه أية عاطفة من أي نوع: "نعم".

"ولم يكن لديكما أي شاهد أو أدلة تؤكد اعتراف الصبي، أليس كذلك؟".

"نعم".

سألت يوكي: "وهكذا أنهكتما الصبي حتى قال في النهاية إنه فعلها، هل أنا محقة؟".

نظر ويتني إليها دون رد.

قالت يوكي: "لا يمكنك الإجابة، أليس كذلك؟".

تركت سؤالها معلقًا في الهواء، ثم قالت: "لقد انتهيت يا سيدي القاضي. ليس لديَّ المزيد من الأسئلة لهذا الشاهد".

الفصل 72

مــررت ناتالــي فاترمان جهازها اللوحي إلى يوكي كــي تتمكن من قراءة كلمة "*رائمــة*" التي طبعتهــا عليه بأحــرف كبيرة. ابتسمــت يوكي، ثم نهضــت لتبدأ استجواب المحقق ويليام براند.

دخل براند من الباب الدوار الموجود في مؤخرة القاعة، وسار على الأرضية الصلبــة المصنوعة من الخشب، حتى وصل إلـــى منصة الشهود، ثم ذكر اسمه وأقسم على قول الحقيقة، ثم جلس على مقعده.

اقتربت يوكــي منه، فرأت الغضب واضحًا على وجهه المربع، والتوتر يتبدى على جسمه المفتول العضلات، بينما أخفت ياقة قميصه عنقه تقريبًا.

بدأت يوكي هجومها على الفور.

"سيد برانــد، أكنت تعرف آرون—ري كورديل قبل أن يصبح المشتبه به في جريمة قتل ثلاثة تجار مخدرات؟".

"نعم".

"وكيف عرفته؟".

"لقد رأيته بضع مرات في وكر المخدرات عند تقاطع شارعي تورك ودودج عندما داهمناه".

سألت يوكي: "وهل حدث أن فتشتموه بحثًا عن مخدرات أو أسلحة؟".

"نعم".

"كم مرة؟".

"مرتين فيما أعتقد".

"لكنكم لم تعثروا على مخدرات أو أسلحة بحوزته، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"هل كان صبيًّا عدوانيًّا؟".

"لا".

"إذن كيف تصف شخصيته؟".

"كان فتى ضخمًا غبيًّا دائم التسكع في وكر للمخدرات. إنني لم أدرس شخصيته أو أقيمها، ولم أنتبه له كثيرًا".

"لكنه لم يكن لديه سجل جنائي قبل إلقاء القبض عليه لحيازة سلاح، أليس كذلك؟".

"بلى".

"وهل كان عدوانيًّا عندما استجوبته بخصوص حادثة إطلاق النار في السادس عشر من فبراير لهذا العام؟".

"لا".

"أيمكن أن تصف سلوكه في بضع كلمات؟".

تنهد براند، ورفع كتفيه في ملل، ثم قال: "كان يبكي، وينفي وجود أي صلة له بما حدث".

قالت يوكي: "إذن دعني أتأكد من أنني أفهم الوضع: لقد رأيت السيد كورديل من قبل، ولم يكن معروفًا لديك باعتباره مدمن مخدرات أو حاملًا للأسلحة. كما أنه لم يكن لديه سجل إجرامي، أليس كذلك؟".

"بلى".

"لكنكما في هذه القضية دفعتماه إلى الاعتراف بجريمة نفى ارتكابها، أليس هذا صحيحًا؟".

"كان بحوزته سلاح الجريمة أيتها السيدة. وقد قتل هؤلاء الرجال برصاص في الصدر من مسافة قريبة. لا يمكن أن يقترب أحد من إيه. بيجي وصديقيه وبيديه سلاح إلا إذا كان شخصًا غبيًّا كآرون. هل تفهمين ما أقوله؟ لم يكن

القتلـى خائفين ممن هاجمهم – من آرون–ري. لـو كان المهاجم شخصًا آخر كانوا سيدافعون عن أنفسهم" .

لقـد أخبر برانـد يوكي شيئًا لم تسمعـه من قبل. إذا كان قـد ارتكب خطأ، فربما تتمكن من الاستفادة منه للتشكيك في مصداقيته.

ولكنها ربما تكون على وشك ارتكاب خطأ كبير هي نفسها.

الفصل 73

القاعدة الأولى للاستجواب هي ألا تسأل الشاهد سؤالًا إذا لم تكن تعرف الإجابة.

لكن في بعض الأحيان تحتاج إلى المجازفة.

قالت يوكي: "أيها المحقق براند، لقد وصفت للتو آرون–ري كورديل بوصف "الغبي"، وأنه الشخص الوحيد الذي بإمكانه أن يقترب بما يكفي من تجار المخدرات وإطلاق النار عليهم من مسافة قريبة، أليس كذلك؟".

"بلى".

"لكنك لم تكن تعلم أن الطلقات التي قتلت هؤلاء الرجال الثلاثة أطلقت من مسافة قريبة، أليس كذلك؟".

"لا أفهم السؤال".

"سأعيد صياغته. قُبض على السيد كورديل لحمله سلاحًا ظُهر يوم السادس عشر من فبراير. تم إحضاره إلى القسم، وبعدها على الفور تقريبًا، بدأتما استجوابه حتى صباح يوم السابع عشر. لكن متى رأيت جثث القتلى؟".

قال براند: "بعد يومين".

"أي بعد يومين من استجوابك للسيد كورديل؟".

"هذا صحيح".

"إذن، وإذا كنت أفهم جيدًا، فإنك عندما رأيت جثثهم، كانوا في *المشرحة*، أليس هذا صحيحًا؟".

بدا براند مرتبكًا، وكأنه يفكر مليًا فيما عليه أن يقوله، محاولاً فهم ما ترمي إليه، إذ ربما يدرك خطأه، ثم أجاب: "بلى صحيح".

"إذن، ولكي نكون واضحين، فإن شهادتك التي أدليت بها منذ بضع دقائق غير صحيحة، أليس كذلك؟ لقد رأيتَ الجثث بعد عدة أيام من انتزاعك اعتراف السيد كورديل، أليس كذلك؟".

"لقد أخطأت في تقدير الوقت. هذا كل شيء".

"إذن، لم تكن تعرف مدى قرب أو بعد القاتل من الضحايا عندما استجوبت السيد كورديل، أليس كذلك؟".

"قلت لكِ إنني أخطأت في تقدير الوقت".

استمرت يوكي في الضغط قائلة: "إذن بحسب فهمي، كنت تستجوب صبيًا "غبيًا" وحيدًا دون وجود محامٍ أو حضور عائلته، وقررت أن تتهمه صراحة دون شاهد، ودون أدلة جنائية، ودون حتى نظرية. فالنظرية التي ذكرتها كوَّنتها في وقت لاحق، لكنك أولاً *أنهكت* الصبي المسكين إلى أن حصلت أخيرًا على اعتراف، والذي كان كل ما تريده، أليس هذا صحيحًا أيها المحقق براند؟".

قال براند: "هذه طريقتكِ في التعبير عما حدث".

قالت يوكي: "نعم، هذا صحيح. ليس لديَّ أسئلة أخرى يا سيدي القاضي".

سأل القاضي: "سيد باريزي، هل تريد استجواب هذا الشاهد؟".

ظل باريزي في مقعده خلف طاولة الدفاع، وبدا غير منزعج، كأنه يحمل جميع الإجابات الصحيحة، فقال: "أيها المحقق براند، هل كنت صديقًا لتجار المخدرات الذين قتلوا؟".

"ماذا؟ بالطبع لا".

"هل هناك أي شيء يجعلك تُعادي السيد كورديل؟".

"لا مطلقًا".

"إذن، فيما يتعلق باستجوابك العنيف للسيد كورديل، فإن هذا هو ما تفعله عندما يكون لديك مشتبه به رئيسي، أليس هذا صحيحًا؟".

"بلى صحيح".

"هل تصدق الاعتراف الذي حصلت عليه من المشتبه به؟".

قال براند: "بكل تأكيد. لقد قال إنه فعلها. نحن سمعناه يقول ذلك بآذاننا، وصدقنا اعترافه".

قال باريـزي: "شكرًا لك أيهـا المحقق براند. ليس لـديَّ أسئلة أخرى لهذا الشاهد".

قال القاضــي: "إذا لم تكن للسيدة كاستيلانو أسئلة أخرى، فيمكن للشاهد الانصراف".



الفصل 74

رفعت الجلسة لهذا اليوم، وفي اللحظة نفسها وصلت يوكي رسالة نصية من بـرادي تقول: *تعرض توني ويليس للضرب. إنه في جناح السجن داخل مستشفى سان فرانسيسكو العام، وقد سأل عنكِ.*

هرعـت يوكي لسيارتهـا، وتوجهت نحـو مستشفى سـان فرانسيسكو العام، حيث يودع السجناء الذين يحتاجون إلى رعاية صحية.

كان تونـي ويليس، الملقب بتونـي الصغير، مشتبهًا به فـي مقتل آرون–ري كورديـل. لقد أنكر أنه كان هو الفاعل، لكن عندما تحدثت معه مؤخرًا، أشعرها أنه يعرف مَن *قتل* آرون–ري.

ربما سيخبرها الآن.

هذا إذا عاش.

كـان الزحام المروري خانقًـا، وكانت يوكي مصممة علـى عدم التسبب في حـادث أو التأثر بما يحـدث والاستسـلام للغضب. تركت المـرآب، واستدارت يســارًا نحو شارع بولك وعبـرت من شارع ميشن. استغرقت ما يقرب من نصف ساعـة وميلين ونصــف للوصول إلى شارع ٢٢، و٢٠ دقيقـة أخرى لركن السيارة والوصول إلى المستشفى.

عندما وصلت إلى جناح (٧د)، في وحدة الجراحة، كان توني ويليس لا يزال على قيد الحياة يستنشق الأكسجين عبر الأنبوب. وكانت هناك أسلاك ملصقة في صدره، بينما تقطرت السوائل عبر أنابيب أخرى إلى عروقه.

أخبر الطبيب يوكي: "هذا الشاب فقد الكثير من الدماء، وهو مصاب بجروح في عدة أعضاء رئيسية. إنه يتناول مسكنات الألم، ولا أستطيع أن أعدكِ بأنه سيتعرف عليكِ".

"لقد سأل عني".

"أتفهم ذلك، ولكن لا تطيلي الزيارة. خمس دقائق فقط، اتفقنا؟".

سارت يوكي عبر الممر الذي يمتد على طول الجناح. كانت جميع الأسرَّة الأحد عشر مشغولة، وكان ويليس في الطرف البعيد على اليسار. وصلت إلى السرير، وجذبت الستار لمزيد من الخصوصية، ووضعت مقعدًا إلى جوار السرير.

بدا توني ويليس، البالغ طوله مترًا ونصف المتر، صغير السن عندما قابلته للمرة الأولى، لكنه الآن بدا أصغر سنًّا وحجمًا بكثير، بخصلات شعره المموجة، وغطاء سريره القطني الخفيف الذي رُفع حتى وصل إلى تحت إبطيه، بينما أحاطت به الشاشات التي تعرض نبضات قلبه وأجهزته الحيوية.

"توني؟ هذه أنا، السيدة كاستيلانو".

فتح توني ويليس عينيه، وتقلص وجهه من الألم، ثم وضع يده على صدره وقال: "أهلًا. لقد جئتِ".

"كيف حالك؟".

"كحال أي رجل أبرحته جماعة من الرجال البيض ضربًا، ثم مزقوه بالسكين في كل مكان".

"هذا ما سمعته. حافظ على قوتك، اتفقنا؟".

قال: "حسنًا. لديَّ شيء لأقوله".

قالت يوكي: "تفضل".

"أريدكِ أن تكوني محاميتي كي أضمن لنفسي السرية التي تتبعونها بين المحامي وموكله".

"هـل تريدنـي أن أُمثلك يا توني؟ الأمر يحتـاج لأكثر من ذلك؛ فعليَّ دراسة قضيتك. كما أنني لا أعرف ما التهم الموجهة إليك. والقرار ليس في يدي، فأنا أعمل لحساب غيري".

"سيدة كاسيلانـدرو، يجـب أن تستمعـي إليَّ. أحتاج إلى ميـزة السرية بين المحامي والمريض الآن. هل تسمعينني؟".

كان يتنفس بصعوبة، ومن الواضح أنه يتألم، وقد يموت.

قالت يوكي: "حسنًا، حسنًا يا توني، سأكون محاميتك. ماذا لديك لتخبرني به؟".

"رسميًّا؟".

أمسكت بيده المضمدة وصافحته بلطف، وقالت: "أجل، رسميًّا".

"حسنًا. لديَّ اعتراف. أنا من قتلت آرون–ري".

شهقت يوكي: *"أنت قتلته؟"*.

"لقد أمروني بالتخلص من كورديل بسرعة. بعدها كان من المفترض أن أُنقل إلى كوركوران، ولكن يمكنكِ أن تري أن ذلك لم يحدث".

قالت يوكي: "أنا لا أفهم"

كانـت *تحـاول* أن تفهـم مـا يقوله، لكـن الصورة كانـت مفككـة ولا يمكنها تركيبها. مَن الذي أمر توني الصغير بقتل آرون–ري ووعده بالحماية أيضًا؟ مَن الذي قد يفعل هذا بحق السماء؟ ومن الواضح أيضًا أنه لم يفِ بوعده.

سألته يوكي: "من فعل هذا يا توني؟".

"استمعي لي يا سيدة قبل أن أموت. مَن طلب مني ذلك كان شرطيًّا".

"أي شرطي؟ أخبرني *باسمه*".

"إنه معروف باسم "واحد"، أي رقم واحد".

"لكـن يـا توني هـذا ليس اسمًا. مـا المعلومات التي يمكنـك أن تعطيني إياهـا؟ لا أستطيع إبرام صفقة معك إذا كـان كل ما ستخبرني به هو أنك قتلت آرون–ري. فلم يعد أحد يبحث عن قاتله".

كـان توني يجاهد ليتنفس. في أي لحظة الآن ستحضر ممرضة لتطلب منها المغادرة. أمسكت بيده وقالت:

"يجب أن تعطيني شيئًا أعتمد عليه يا توني. هل تفهم؟ الرقم واحد معلومة غير كافية".

قال "قد لا تبدين قوية، لكنكِ كذلك"، ثم ابتلع توني ريقه بصعوبة، وأردف: "أرتورو. مينديز. اعثري عليه. إنه صديق آرون. لقد رأى مَن أطلق النار على تجار المخدرات".

"كيف أجده؟".

أغلق توني عينيه، وصار تنفسه يزداد صعوبة.

ثم قال: "*اللعنة!* هل عليَّ فعل كل شيء بنفسي؟ اسألي والدة آرون".

قالت يوكي: "اصمد، وسأفعل كل ما بوسعي".

الفصل
75

اتصلت يوكي بوالدة آرون-ري، السيدة بيا كورديل، التي كان هاتف ابنها بحوزتها، وعليه وجدا رقمًا يحمل اسم "أرتورو". أرسلت يوكي رسالة لأرتورو، وعادت لترد على رسالته، ثم أرسلت رسالة أخرى.

وبعد ساعة، في الثامنة مساءً تقريبًا، كانت تقف بالقرب من تقاطع شارعي تورك ودودج، وهي منطقة خطرة تواجه مباشرة الشارع الذي يقع فيه وكر المخدرات المكون من ثلاثة طوابق.

لم تحتج يوكي للانتظار طويلًا.

خرج صبي من المطعم الصيني المجاور لوكر المخدرات. كان طوله تقريبًا خمس أقدام وثماني بوصات، ووزنه حوالي ١٤٠ رطلًا، وكان يرتدي بنطالًا من الجينز متدليًا أسفل وركه، ليظهر من تحته سرواله الداخلي القصير المقلم، وفوقه سترة داكنة اللون، وسماعات جهاز الأيبود تتدلى من أذنيه.

ظل يقف في الزاوية لفترة، ينظر في كل اتجاه، وإن كانت عيناه تتمهلان للحظات كلما وقعت على سيارتها السيدان البرونزية ذات البابين.

عندما هدأت حركة المرور، عبر الصبي الشارع، وهو يهز رأسه مع إيقاع الموسيقى، وظل يسير إلى أن وصل لنافذة سيارتها.

"يوكي؟".

"أرتورو، اركب السيارة".

فكرت يوكي أنه إذا رآها برادي تدعو تاجر مخدرات إلى سيارتها، فإنه كان سيجنّ حتمًا. ركب أرتورو السيارة وأغلق الباب قائلًا: "لديَّ دقيقة واحدة".

"هل أفهمتك السيدة كورديل؟ أريد أن أعرف ما حدث ذلك اليوم في وكر المخدرات".

"وعلى ماذا سأحصل مقابل ذلك؟".

"ستحصل على فرصة لفعل الشيء الصحيح. ومحامية مجانية، إذا احتجت إليها؟".

"نعم، محامية مجانية. اتفقنا!".

تصافحا معلنين اتفاقهما، ثم أخرجت يوكي بطاقة من حقيبتها وسلمتها إلى أرتورو. *يا للسماء*. لقد صار لديها ثلاثة زبائن في يوم واحد. في الوقت نفسه، ظلت عينا أرتورو تجوبان الطريق في ترقب. عندما خلت الأرصفة من المارة بدأ الحديث.

"لم يطلق آرون النار على أحد. من فعلها كانوا ثلاثة رجال – رجال بدوا من الشرطة، لقد ارتدوا سترات الشرطة على أية حال. عندما صعدوا إلى الطابق الثاني هرب الجميع، لكني كنت قادمًا لحظتها من المرحاض ورأيت ما حدث".

كانت يوكي مذهولة، بل بالأحرى مصدومة.

"أتقول إن من أطلقوا النار على تجار المخدرات كانوا من الشرطة؟".

"لا أعرف إذا كانوا من الشرطة أم لا، لكنهم كانوا يرتدون *سترات* الشرطة، وكانوا يحملون أسلحة. أخبرونا أنهم من "شرطة سان فرانسيسكو"، لكنهم كانوا يرتدون أقنعة بلاستيكية. لقد دفعوا إيه. بيجي ودوين ودابل دي نحو *الجدار*، وفتشوهم وأخذوا المال، والمخدرات، والأسلحة، والهواتف، التي على حد علمي تحمل صورًا لرفيقاتهم. هنا سألهم إيه. بيجي: *هل انتهيتم؟*. فأجاب أحدهم، والذي بدا أنه زعيمهم: "*آسف، ضع نفسك في مكاني*"، أو قال شيئًا من هذا القبيل، وقتلهم جميعًا ببساطة".

بدا الحزن على أرتورو، وكأنه يرى المشهد مجددًا، وهز رأسه كما لو أنه لا يستطيع التخلص من الذكرى.

قالت يوكي: "أرتورو. لماذا لم أسمع بهذا من قبل؟".

"لأنني كنت الوحيد الذي رأى ما حدث. ثم رأيت الرجال الثلاثة يهبطون الدرج وكأن شيئًا لم يحدث".

سألت يوكي: "ثم ماذا؟".

"انتظرتُ بضع دقائق، وتأكدتُ من خلو المكان، وكنت على وشك الخروج، عندما رأيت آرون–ري يصعد إلى الطابق العلوي. لم يكن يعرف شيئًا عن إطلاق النار وجاء يبحث عن أصدقائه كما تعود أن يفعل دائمًا. كانوا يعاملونه بود. لم يكن قد رأى شيئًا حتى تلك اللحظة، ونظر لي قائلًا: انظر ماذا وجدت على الدرج يا تورو. كان في يده سلاح القاتل – كان مسدسًا عيار ٣٨.

قلت لآرون–ري: اخرج من هنا يا رجل، لكن الفتى رأى الجثث واقترب منها مذهولًا. كان يحبهم، وبدأ يبكي لكنني صحت فيه: هيا نخرج من هنا!

"ثم هبطنا الدرج. كان آرون–ري يسبقني، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى الشارع، رأى بعض رجال الشرطة هذا الفتى الضخم وطاردوه بسيارتهم، ثم خرجوا وأوقفوه وألقوا به على الأرض".

استمر أرتورو يقول: "رأيت هذا، لكن خبريني، ماذا كان عليَّ أن أفعل؟ الشرطة هي من هاجمت وأطلقت النار. كان عليَّ أن أختفي عن الأنظار".

قالت يوكي: "هل تعرف ما حدث لآرون–ري في السجن؟".

"نعم، سمعت. كان الفتى يظن أن الجميع أصدقاؤه".

"أرتورو، هل يمكنك التعرف على الرجال المرتدين لسترات الشرطة؟".

"لا، وخصوصًا الزعيم. ربما أستطيع التعرف على أحد الرجلين الآخرين، ربما. كان لديه وشم دقيق على رقبته، وأظن أنني رأيت وشمًا مثله على رقبة أحد محققي جرائم المخدرات".

شعرت يوكي بدفقة من الأدرينالين تسري في دمها، لكنها أبقت تعبير وجهها محايدًا قدر الإمكان. قالت: "أنا أقاضي المدينة نيابة عن عائلة آرون، وأحتاج إليك يا أرتورو. أحتاج إلى أن تدلي بشهادتك من أجل آرون–ري".

"وماذا سيحدث بعدها؟ سيقتلونني مثله".

قالت يوكي: "سأرى ما يمكنني فعله".

قال أرتورو: "آه، نعم. أصدقكِ"، وكان على وشك الخروج من السيارة، لكن يوكي أمسكت بذراعه.

وقالت: "أنا محاميتك، ولديَّ نفوذي. إذا اتصلت بك، أجب على الاتصال. هذا يعني أنني أستطيع أن أجلب لك كل ما تحتاج إليه".

خرج أرتورو من السيارة ولم ينظر خلفه.

جلست يوكي في السيارة وشاهدته يعبر الشارع بالطريقة نفسها التي جاء بها. ثم فعلت ما لا يمكن تصوره. اتصلت يوكي برئيسها السابق وخصمها الحالي، ريد دوج باريزي، وعندما أجاب قالت: "لين. معك يوكي. لديَّ شاهدان جديدان يمكنهما قلب القضية رأسًا على عقب. نحن بحاجة إلى الاجتماع فورًا".

الفصل 76

في الطريق إلى المنزل بعد يوم آخر غير مثمر من استجواب أصدقاء وجيران عائلة كالهون، وجدت نفسي أفكر في تينا ستريشلير.

فانتهزت تلك الفرصة، واتصلت بالسيد والسيدة ناثان جوسلين من السيارة.

كان الزوجان جوسلين في بالمي آلي عندما طُعنت تينا ستريشلير حتى الموت على قارعة الطريق، وقد رأت السيدة جوسلين القاتل الذي كان يحمل سكيناً في الواقع، لكن من الخلف ومع وجود العديد من الناس بينها وبينه.

كان كونكلين قد أجرى مقابلة مع ناثان وأليسون جوسلين في مكان الجريمة، وكذلك تحدث إليهما المحققان مايكلز ووانج، الشرطيان المسئولان عن القضية.

ولكن لأن الزوجين جوسلين أخبراهم أنهما لا يستطيعان التعرف على المجرم، تم استبعادهما. في الواقع، كنت متأكدة أن القضية بأكملها قد حفظت الآن، وأن كل شرطي في مقر قيادة الشرطة صار يعمل على قضية عصابة سترات الشرطة.

بدا الزوجان سعيدين لأني اتصلت بهما، وأخبراني أنهما لم يتوقفا عن التفكير في تلك المرأة التي قتلت في الشارع أمامهما. أعطاني السيد جوسلين عنوانهما، الذي اتضح أنه كان في بناية سكنية هادئة تقع بين شارعي إليزابيث

ودايموند. أدخلتني السيدة جوسلين من البوابة، واستقبلتني ورحبت بي في منزلها.

قلت: "شكرًا على وقتكما. أحتاج إلى التطرق لأحداث ذلك اليوم مجددًا".

بعد فراري من الموت في منزل واين بروارد، كنت أتوخى الحذر عند دخول أي منزل. أبقيت عيني على السيدة جوسلين، وهي تسير إلى المطبخ، حيث كان السيد جوسلين يجلس على الطاولة التي حملت بقايا عشائه.

قلت له: "أرجوك لا تنهض".

قال ناثان جوسلين: "تفضلي بالجلوس. ماذا يمكنني أن أحضر لكِ؟".

قلت: "لا شيء، شكرًا. أنا فقط بحاجة إلى بضع دقائق من وقتكما". قلت ذلك، لكنني أملت أن تكون الدقائق القليلة التالية زاخرة بالمعلومات التي ربما تذكراها مؤخرًا وربما تحمل مفتاحًا لحل القضية.

اتخذت مقعدًا بجوار الطاولة وطرحت الأسئلة الاعتيادية: *ماذا رأيتما؟ هل أنتما متأكدان من أنكما لم تريا وجه القاتل؟ هل يمكنكما تذكر أي تفاصيل بدت غير مهمة وقتها؟*

تنهدت أليسون جوسلين وقالت: "لقد ظللت أفكر في هذا ليلًا ونهارًا. لكن عليك أن تفهمي أن هذا حدث بسرعة، وأن الشارع كان مزدحمًا بالناس الذين كانوا يحاولون الوصول إلى بيوتهم قبل حلول الظلام، كما أنني لم أكن أتطلع مباشرة إلى الرجل الذي ارتكب هذا الجرم الشنيع".

"أتفهم ذلك".

"لذا، وكما أخبرتكم وقتها، فما أنا متأكدة منه هو أنه كان أبيض البشرة، بني الشعر، ويرتدي سترة بيسبول سوداء. كان طوله عاديًا. لكني لم أر وجهه. عندما سقطت د. ستريشلير، أصيب معظم الناس بالذعر وفروا، وقد أردت العثور على زوجي والاتصال بالشرطة، وعندما عدت لأبحث عن ذلك الرجل، كان قد رحل.

قلت: "أليسون، من الواضح أنكِ امرأة ذكية للغاية، من النوع الذي يلاحظ التفاصيل الصغيرة. وبصراحة، هذا نوعي المفضل من الشهود. استخدمي مخيلتكِ بحثًا عن أي تفاصيل، أهناك شيء آخر تتذكرينه؟ أي شيء مهما بدا لكِ بسيطًا؟".

قالت أليسون جوسليـن: "لقـد خطـرت لي فكرة لكني لم أبلـغ أحدًا بها في الواقع".

قلت: "حسنًا، لم يفت الأوان بعد"، وقرَّبتُ مقعدي من الطاولة.

"حسنًا. رأيت الكثير من رقم ثلاثة في ذلك اليوم".

"رقم ثلاثة؟".

"نعم. كـان هنـاك ثلاثـة أشخاص بينـي وبيـن الرجـل الـذي قتـل د. ستريشلير. وقـد وصلـت ثلاث سيـارات شرطة أولًا، وتحـدث معي ثلاثة من رجال الشرطة، ورأيت ثلاثة طيور سوداء فوق كابلات الهاتف".

بذلـت قصارى جهدي كيلا أنفجر في وجههـا! حاولت السيطرة على نفسي وقلت: "أليسون...".

لكنها لم تكن قد انتهت بعد.

فقالـت: "وكان هناك ٣ مسعفين يقفون حـول جثمانها. والتاريخ كان الثاني عشر من مايو ١+٢=٣".

قلت: "حسنًا، وماذا يعني ذلك بالنسبة لك؟".

أجابت السيدة جوسلين ضاحكة: "لا أعلمَ، أنتِ المحققة، أليس كذلك؟".

يا إلهي! إلى متى سيظل طريقي مسدودًا؟

شكرت الزوجين جوسلين، وتركت لهما بطاقتي، وغادرت شقتهما.

ثم اتصلت بجو وقلت: "سأعود إلى العمل يا جو، اترك لي بعض الطعام. أنا آسفة، أقسم إني سأعود للمنزل خلال ساعتين. أعدك".

الفصل 77

كان مقتل تينا ستريشلير الدموي يزعجني كثيرًا بما يتجاوز نظرية جو عن سلسلة جرائم يوم ميلاد كلير. قضية ستريشلير لم *تغلق* بعد، لكني كنت أعلم أن مايكلز ووانج لا يعملان عليها.

لقد أغضبني هذا، لكني فهمته. لم يكن هناك شهود أو أدلة أو وقت للعمل على القضية، فانحدرت مباشرة إلى أسفل القائمة.

لكن القضية كانت حقيقية وحيَّة بالنسبة لي. كنت أرى دماء ستريشلير تسيل عبر الطريق. لقد اطلعتُ على محتويات محفظتها ورأيتُ أنها كانت تمتلك عيادة أمراض نفسية. كانت أنيقة المظهر، وغالبًا كانت تعيش حياة هانئة، لكنها انتهت على يد رجل مجنون بسكين – قاتل مجهول قد لا يُعرف أبدًا.

بعد التحدث مع جو، توجهت إلى مقر قيادة الشرطة وصعدت إلى جناح الاحتجاز بالطابق السادس، وطلبت رؤية واين بروارد.

كان بروارد محتجزًا هنا لأنني اخترقت شرنقته الآمنة التي حصنها بكلب شرس وأسلحة متهالكة، وكان عليَّ أن أحضر جلسة الاستدعاء الخاصة به في ذلك الصباح. لكنه لم يجب على سؤالي مطلقًا.

استخدمت نفوذي واستطعت نقله من زنزانته بعد ساعات الزيارة إلى إحدى غرف الاستجواب. عندما رآني، ناداني بشوق: "حبيبتي، أعطيني قبلة".

"هذا يخالف القواعد يا واين".

أجلسه الحارس على المقعد، وثبت أصفاده بخطاف في الطاولة. كان الحارس يعرف سبب احتجاز بروارد، فسألني: "أتريدين مني أن أبقى معكِ هنا أيتها الرقيبة؟".

"شكرًا يا سانتينو، لا تقلق، سأكون على ما يرام".

كان من المحرج أن يذكرني بما حدث، لكن الرجل الجالس أمامي كان بإمكانه قتلي. هذه هي الحقيقة.

" لديَّ سؤال لك يا واين".

"أليس من المفترض أن يكون المحامي الخاص بك هنا؟".

"هذا لا علاقة له بقضيتك. أنت متهم بالاعتداء عليَّ بسلاح قاتل".

ضحك واين وقال: "اعتداء. هذه مبالغة، ألا تظنين ذلك؟".

استمررت قائلة: "أنا متأكدة أن هذا هو الدفاع الذي سيستخدمه محاميك غدًا. وبالمناسبة، هل تتذكر سبب مجيئي لزيارتك في منزلك؟".

"كلا. ذكِّريني".

أخرجت صورة تينا ستريشلير من جيب سترتي.

كانت الصورة مجعدة ولكن كان لا يزال من السهل التعرف على صاحبتها.

"هل سبق لك أن رأيت هذه المرأة؟".

"لا أذكر في الواقع. ذكريني".

"هل تعرفها يا واين؟ هل سبق لك أن رأيتها؟".

"إنها تبدو مألوفة".

حقًا؟ شعرت بشيء من الأمل.

قال: "انتظري. ألم تريني صورتها من قبل؟".

أومأت برأسي وقلت: "نعم. لقد أريتك الصورة من قبل".

هل كان واين بروارد حقًا بهذا الجنون؟ أم أنه يمثل دور المخبول أمامنا فحسب؟ لقد تعاملت مع قتلة مخابيل من قبل، ولم يكن واين بروارد مجنونًا مثل بعضهم في الواقع.

أخبرت واين أنني سأراه قريبًا وناديت الحارس.

غادرت مقر قيادة الشرطة في حوالي الثامنة والنصف مساءً، وقدت سيارتي إلى المنزل. طوال الوقت كنت أحاول إخراج الدكتورة تينا ستريشلير من رأسي، لكني لم أتمكن مطلقًا.

الفصل 78

لم يكن جو في مزاج جيد.

"قلت إنك ستعودين في السابعة يا ليندسي".

"أنا آسفة".

"حسنًا".

كـان وجهه قاسيًـا، كما لو أنه كان يتميز غيظًا منذ فتـرة. عندما احتضنته شعرت بأنني أحتضن شجرة.

"أنا آسفة. هل حدث خطب ما؟".

قـال: "لا. كان يوما معتـادًا لأب وحيد. نظفت المطبـخ، وغسلت الملابس، ونظفـت السجاد، وعبأت حقيبة لغرض التبـرع الخيري، وذهبت بصحبة جولي ومارثا إلى السوق. ثم عدنا وبدأت تحضير العشاء: فقشرت الخضراوات وقطعتها وطهـوت العشاء. بعدها حممت جولي، وهدهدتها حتى نامت، وقصصت أظافر مارثـا، ثم تناولت العشاء وحيدًا. بعد ذلـك نظفت المطبخ، وأخرجت القمامة، ورتبـت الفراش، وأرسلت ثلاثة طلبات لوظائف استشارية في العاصمة. آه، كما تلقيت اتصالًا من إيفان مونرو، الذي كان يبحث عنك".

"ومن هو إيفان مونرو؟".

"شقيق تينا ستريشلير".

شقيـق تينا ستريشلير اتصل بي؟ لماذا؟ أرجـأت التفكير في هذه المعلومة في الوقت الراهن.

قلت لجو: "هل كنت ستنفجر في وجهي هكذا إذا عدت إلى المنزل في السابعة؟".

"أشك في ذلك. أنتِ تستغلينني يا ليندسي".

كنت أفهم ما يعانيه. بينما كنت بالخارج أمارس عملي طوال اليوم، كان يحاول تدبير شئون المنزل والاعتناء بالصغيرة وحيواننا الأليف دون تحفيز من أحد أو التمكن من الحديث مع شخص ناضج. فهمت أنه لم يكن يتميز غيظًا اليوم فقط؛ بل هي تراكمات أيام تشبه هذا اليوم، فضلًا عن حقيقة أنني أعمل في وظيفة شديدة الخطورة تتبعني حتى في البيت، هذا *إذا* عدت إلى البيت.

أخبرت جو بكل هذا، وبذلت قصارى جهدي في الاعتذار له. قلت إنني سأحرص قدر الإمكان على عدم العمل لساعات متأخرة، وإنني مدينة له بالكثير، وإنني غدًا سأحضر جليسة أطفال كي نتمكن من الخروج لتناول العشاء وحدنا "في أي مكان".

ثم توقفت فجأة عن استجداء رضائه.

قال: "حسنًا، حسنًا، انسي الأمر. أين كنتِ إذن؟".

"ذهبت لرؤية واين بروارد".

"في السجن؟ وماذا حدث؟".

"إنه مخبول. يجب أن يظل محبوسًا. آمل أن يحصل على محام فاشل".

لم يسامحني جو تمامًا، لكنه ضحك. ثم أخرج طبق طعام من الثلاجة، فنهضت وأخذته منه.

لكنه قال: "يمكنني تسخين هذا. اجلسي".

وضع طبق الدجاج والفاصوليا الخضراء في الميكروويف، وسكبت أنا كأسين من العصير. وفي أثناء ذلك خلعت حذائي، ووضعت سلاحي بعيدًا، ثم ذهبت لتفقد جولي التي كانت تنام بعمق.

سمعت صفير الميكروويف.

كان جو يعمل على حاسوبه بينما تناولت عشائي، وكان هذا مقبولًا. كنت أفكر في الرسالة التي تركها لي إيفان مونرو، متسائلة عما إذا كان هذا هو الوقت المناسب لمعاودة الاتصال به؛ وربما يثير الرد على تلك المكالمة استياء زوجي أكثر.

قمت بتنظيف المطبخ، وبعد أخذ دُش سريع وتغيير ملابسي، قلت: "ما الذي أراده إيفان مونرو يا جو؟".

"أعطاه وانج اسمكِ، وأعتقد أنه فعل هذا لأنكِ كنت الضابط الأول، لذا اتصل بك مونرو لأنه لم يكن هناك أي تحرك في القضية، وأخبرني أنه ربما يعرف شيئًا عن قاتل الدكتورة تينا".

قلت: "أقال هذا حقًا؟".

"كان مشوشًا يا ليندسي. أخبرته بأنكِ ستعاودين الاتصال به، لكنه لم يسمح لي بإنهاء الاتصال. أخبرني أن تينا تعرضت للاغتصاب في أثناء فترة دراساتها العليا، وأنها استطاعت التعرف على الرجل؛ فسُجن لخمسة وعشرين عامًا. ثم رأته بعدما أطلق سراحه قبل مدة، وأخبرت إيفان أنها لم تعد متأكدة من أنه الشخص الذي اغتصبها".

"وهل خرج الرجل من السجن؟".

"نعم. انتهت مدته قبل خمس سنوات، في بداية مايو".

"تبًا. وهل أخبرك ايفان مونرو باسم الرجل؟".

"كليمنت هابل. بحثت عنه على قاعدة بيانات برنامج احتواء جرائم العنف".

سار جو إلى غرفة الجلوس وجلس على الأريكة. جلست بجانبه، فوضع ذراعه حولي، وأسعدني هذا كثيرًا.

ثم قال: "خرج هابل في الخامس من مايو قبل خمس سنوات. إذا كانت تينا قد أخطأت في التعرف عليه، فقد أتيح له وقت طويل ليضع خطة للانتقام. ولكن ربما كان من الصعب العثور عليها بعد قضاء كل هذا الوقت في السجن. كان يعرفها باسم تينا مونرو وقت واقعة الاغتصاب. لكنها تزوجت وطلقت واحتفظت باسمها بعد الزواج".

قلت وأنا أضع يدًا على ساق زوجي: "دعنا نر كيف يبدو هابل".

انحنى جو إلى الأمام، وفتح حاسوبه المحمول، وبحث عن صور ملفه الجنائي. كان أبيض البشرة بني الشعر متوسط الطول، يبلغ طوله حوالى خمس أقدام وعشر بوصات.

وكان طليقًا منذ الخامس من مايو قبل خمس سنوات.

الفصل 79

لم يستغرق جو وقتا طويلًا في تحديد موقع كليمنت هابل، الرجل الذي أدين بتهمة الاغتصاب، وقضى عشرين عامًا في سجن تشينو، ثم أطلق سراحه قبل أسبوعين من أول جريمة قتل في سلسلة الجرائم الخمس السنوية التي يرى جو أنها مرتبطة بعضها ببعض، والتي وقعت كل منها في الثاني عشر من مايو.

بعد تناول الغداء مع جولي وجليستها، تحرك جو تحت السماء المشمسة نحو منطقة إيدجهيل ماونتين، حيث يقع منزل دينيس وكليمنت هابل.

كانت منطقة إيدجهيل ماونتين عبارة عن مشروع سكني قديم وناءٍ، تتخلله الطرق المتعرجة والمنازل الصغيرة والمتباعدة التي تطل على المحيط الهادئ وشاطئه. عرف جو من جهاز تحديد المواقع العالمي بسيارته أنه كان يقترب من وجهته، ثم رأى على يساره منزلًا أنيقًا ذا لون أصفر داكن بأبواب حمراء، يقف وحده على جانب الطريق.

أبطأ جو السيارة كي يلقي نظرة على الحديقة المسيجة أمام المنزل، حيث انحنت امرأة عجوز ترتدي سروالًا أحمر وسترة صوفية وردية تزيل الأعشاب الضارة.

تفقد جو رقم صندوق البريد، ثم أوقف سيارته المرسيدس في الممر بجانب سيارة تويوتا متهالكة، بعدها أخرج سلاحه من صندوق التابلوه، ووضعه في الجراب، وارتدى سترته الجلدية المبطنة وخرج من السيارة.

ثم وضع يديه في جيبيه، وسار إلى البوابة وألقى نظرة على الحديقة. كانت المرأة المشغولة بتنقية العشب تتمتع بوجه جميل، وكانت ذات شعر أبيض وملامح أشبه بملامح الدمى. بدت في منتصف السبعينيات من عمرها، وربما كانت والدة هابل.

قال جو: "سيدة هابل؟".

نظرت المرأة لأعلى، ورفعت ذراعيها لتحمي عينيها من الشمس.

قالت: "أوه، مرحبًا يا جيري، أين كليم؟".

"لا يا سيدتي. اسمي جو موليناري، ولم يسبق أن التقينا. هل أنتِ والدة كليم؟".

"نعم، أنا دينيس، لكن كليم ليس في المنزل. اعتقدت أنه كان معك". ثم ضحكت المرأة، ونهضت، ونظفت ركبتيها من الغبار.

قالت: "تعال. لديَّ فطيرة توت في الفرن، وبرطمان لا أستطيع فتحه بنفسي".

قال جو: "بالتأكيد"، وفتح الباب لتمر دينيس هابل، التي ظلت تثرثر، بينما كانت تقوده نحو المنزل، عن زراعة أنواع الفلفل المختلفة. تردد جو في الدخول إلى المنزل، لكنه حسم الأمر وقرر المجازفة. لم يكن كليمنت هابل في المنزل، لكنه ربما استطاع استيضاح بعض الأمور من أمه.

تبع جو السيدة هابل حتى فتحت الباب الخلفي الذي قادهما مباشرة إلى المطبخ.

قالت السيدة هابل: "تفضل بالجلوس".

جلس جو أمام طاولة فورميكا حمراء، وأعطته برطمانًا من شرائح الدراق، ثم انشغلت بأمور المطبخ.

فتح جو البرطمان وقال: "الجو جميل جدًّا هنا يا دينيس، كيف حال كليم؟".

ضحكت وقالت: "أوه، مازال مجنونًا بعد كل هذه السنين، ويقضي معظم وقته في القبو".

ارتدت دينيس هابل قفازًا سميكًا وأخرجت الفطيرة من الفرن ثم وضعت الصينية بعنف على الطاولة. رأى جو على الفور أن الفطيرة لم تنضج بعد، لكن لم يبد على السيدة العجوز أنها أدركت ذلك.

"لنتركها تبرد دقيقة يا جيري".

قال جو: "آسف، ولكن ماذا تقصدين بالحفرة؟".

خلعت دينيس قفازها، وسوت شعرها، وقالت: "هذا ما يطلقه على غرفته. فأي مساحة واسعة أو مشرقة تصيبه بالدوار. هل تذكر كيف اعتاد كلاكما الركض طوال الوقت؟ كنت أغري كليم بوجبة العشاء، وبمجرد دخوله، كنت أغلق الباب بسرعة".

ضحكت مرة أخرى. وكانت ضحكتها لطيفة للغاية.

قال جو: "أتظنين أنه سيمانع إذا رأيت غرفته؟ لديَّ ملاحظة له سأتركها على منضدة الزينة الخاصة به".

قالت السيدة: "لا مشكلة. افعل. الغرفة في آخر الردهة، أنت تعلم أين هي. عندما تعود، سنتناول معًا القهوة والحلوى".

قال جو: "اتفقنا"، وخرج من المطبخ عبر الردهة، واجتاز غرفة المعيشة على يمينه، ثم غرفة نوم وردية الجدران على اليسار، ثم وجد الباب في نهاية الردهة.

أدار جو مقبض الباب متوقعًا رؤية "حفرة" كليم هابل، ولكن عوضًا عن أن يرى غرفة نوم، رأى سلالم متجهة نحو الأسفل. عثر على مفتاح إنارة، ووجد أن السلالم الخشبية تقود إلى غرفة في الطابق السفلي، ما يجعل من "القبو" اسمًا على مسمى.

ترك باب المدخل مفتوحًا وبدأ النزول.

الفصل
80

عندما وصل جو إلى أسفل السلم، رأى أن القبو كان عبارة عن حجرة نموذجية تحت الأرض مشيدة من قوالب الإسمنت. أمكنه رؤية غسالة ومجفف، وسخان مياه، وفرن، بالإضافة إلى أكوام من الصناديق، وكومة من أثاث الحديقة، فضلًا عن أربع نوافذ صغيرة مرتفعة تسمح بدخول بعض الضوء.

لم يكن هناك سرير أو أريكة أو أي شيء يوحي بوجود شخص يعيش في ذلك المكان. ولكن في أسفل الدرج كان هناك باب ضيق بمقبض نحاسي لامع والذي قد يكون مدخل "حضرة" كليمنت هابل.

فكر جو مرة أخرى فيما كان يفعله، وكان متأكدًا من أنه لم يخرق أي قوانين. لقد تمت دعوته إلى المنزل، وحصل على إذن لمعاينة غرفة هابل. وهكذا أدار مقبض الباب وفتحه، فوجد نفسه أمام ردهة أخرى، هذه المرة كانت خالية تمامًا من أي ضوء.

ترك جو الباب مفتوحًا خلفه، وبعد أن ترك عينيه تتأقلمان على الإضاءة الخافتة، لاحظ أن أرضية هذا الممر كانت مصنوعة من الخرسانة المصبوبة، وأنه بحساب المنعطفات التي اتخذها، فإنه كان الآن أسفل الحديقة بعشرين قدمًا.

كوَّر يديه ونادى: "مرحبااااا"، لكنه لم يسمع إجابة أو صوتًا، فاستمر في المضي واضعًا يده على الحائط الإسمنتي متوجهًا نحو أسفل المنحدر، حتى

انتهى إلى غرفة فارغة لا تزيد مساحتها عن ١٢ × ١٢ قدمًا، مضاءة بمصباح أزرق باهت.

في منتصف أرضية الغرفة وجد جو كوة كان بابها مفتوحًا، ورأى سلمًا قابلًا للطي متصلًا بفتحة الكوة، يمتد مباشرة إلى الأسفل حيث تكمن بقعة شاحبة من الضوء الأزرق.

نادى جو: "مرحبا!!!!" مرة أخرى، ولكن كما حدث في المرة الأولى، لم يجبه أحد. كان فضوله أقوى من خوفه، ولكن هبوط هذا السلم كانت خطوة أخطر من كل ما سبق.

احتاج جو إلى وضع كلتا يديه على السلم، ما يعني وضع مسدسه في غمده، والنزول على غير هدى إلى مكان لا يعرف عنه شيئًا. وعلى الرغم من عدم وجود هابل بالمنزل، فإن جو كان قلقًا وشعر بأن هذه الحفرة ليست إلا فخًا.

وضع يديه على ركبتيه ونظر من الفتحة محدقًا إلى أسفل لكنه لم ير شيئًا سوى السلم الطويل والضوء الأزرق الخافت. قرر أن يعود أدراجه ويخبر دينيس هابل أنه سيعاود زيارتها مجددًا في وقت آخر.

لكنه بدلًا من ذلك، وجد نفسه يمسك بالسلم، ليتأكد من ثباته، ويضع قدمه على أعلى درجة، وبعد أن تأكد من ثباتها، بدأ النزول إلى أسفل.

عندما صارت كلتا قدميه على الخرسانة الصلبة، وجد جو مصدر الضوء: إنهما حاسوبان محمولان مفتوحان فوق مكتب رديء الصنع. تحرك نحو المكتب، على أمل العثور على مصباح، لكن فجأة أحاطت ذراع قوية بصدره من الخلف، والتصق نصل حاد بارد بحنجرته.

قال حامل السكين: "من أنت بحق السماء؟".

الفصل 81

تجمد جو مكانه.

فكر في ركل ركبة الرجل، لكن احتمال أن يتسبب هذا في شق حنجرته، جعله يرفع يديه ويقول: "لا شيء يدعو للقلق يا كليمنت. أنت بالتأكيد لست بحاجة إلى السكين يا رجل. طلبت والدتك مني النزول للاطمئنان عليك، هذا كل شيء. كانت قلقة. ألم تسمعني أناديك؟". حافظ جو على صوته ثابتًا، لكنه لم يتمكن من التحكم في دقات قلبه المتسارعة أو العرق الغزير الذي تفصد على شفته العليا.

خف ضغط الذراع المطوقة صدره قليلًا، ولكن اليد الممسكة بالسكين شددت قبضتها. شعر جو بالنصل يحز في جلده، وفي الوقت نفسه، شعر بأن يد الرجل تخرج السلاح من جرابه.

قال الرجل: "سلاح رائع لا يحمله إلا من يعمل لدى الحكومة. من أنت؟ عميل فيدرالي؟".

قال جو: "كنت كذلك لكني مدني الآن. عميل متقاعد".

"وماذا تفعل هنا؟".

قال جو: "أقود سيارتي عبر هذا الطريق أحيانًا، وعندما أرى والدتك في الحديقة، أتجاذب معها أطراف الحديث. وقد أعطتني بعض الثوم المعمر ذات

مرة". كان جو يرتجل كل هذا، لكن الكلام بدا مقنعًا بالنسبة له. وفي ذات الوقت، كان الأدرينالين يتدفق عبر عروقه مثل نهر في موسم الأمطار.

أجبر جو نفسه على إبطاء تنفسه والتركيز على ما يحيط به.

كانت مساحة الغرفة لا تزيد على ١٢×٨ أقدام، بأبعاد زنزانة فسيحة تسع شخصين في السجن. وفي الجانب الأطول من الغرفة وُضع سرير معدني بطابقين، وعلى الجانب الأيمن، الأقل طولاً، وُضع المكتب الذي كان مصنوعًا من لوحين قياسهما نحو عشر بوصات مثبتين على قاعدتين من الأسمنت. أما على يساره، عند الجانب الآخر الأقل طولاً، فكان هناك مرحاض، وحوض بدون مرآة، وثلاجة صغيرة. لم يستطع جو تخيل ما كان يقع وراءه على الجدار الطويل المتمم للغرفة.

قال المجرم السابق الذي يعيش في القبو: "اجلس أيها العميل"، ونحى السكين جانبًا ودفع جو نحو الطابق السفلي من السرير، والذي تحرك إلى الخلف بضع بوصات نحو الجدار بسبب قوة الدفعة.

عدَّل جو جلسته وتمكن من رؤية كليمنت هابل بوضوح للمرة الأولى. كان هابل رجلاً نحيلاً، وبدا أكثر نحافة مما كان عليه في أثناء التقاط صورته الجنائية. كان شعره حليقًا، ويرتدي قميصًا ذا حمالات وسروالاً قطنيًا، ويقف أمامه حافي القدمين، بذراعين موشومتين من الأصابع وحتى عظمة الترقوة بالجماجم، والثعابين، والنساء، بالإضافة إلى كلمة أمي داخل قلب على عضلة ذراعه اليمنى. كان القلب ينبض كلما ثنى هابل ذراعه.

شاهد جو هابل يضع السكين على المكتب في متناول يده، ويتحقق إذا ما كان سلاح جوٍ محشوًا بالرصاص، ولما وجده كذلكٍ، صوبه نحو جو وفي الوقت نفسه رفع السلَّم، فارتد بسهولة إلى السقف، وهنا أغلقت فتحة الكوة.

عاود قلب جو الخفقان. لقد كان أكبر بعشرين عامًا من هابل، ومع ارتفاع السلم وإغلاق الكوة، لم تعد هناك طريقة للفرار.

أشار هابل إلى زوج من الأصفاد بجانب قدمي جو، ورأى جو أن الأصفاد كانت متصلة بسلسلة تقع أسفل السرير. من المرجح أن الطرف الآخر من السلسلة كان حول رجل السرير الأقرب للجدار.

قال هابل: "قيد نفسك، وبعدها يمكننا التحدث".

فقال جو: "هذا ليس ضروريًا. ليس لديَّ أي شيء ضدك يا كليم". لكن هابل صوب المسدس إلى الحائط المجاور لجو وأطلق النار. كان الصوت عاليًا، وظل صداه يتردد لثوان طويلة.

ثم قال هابل: "الرصاصة التالية سأطلقها عليك".

التقط جو الأصفـاد ووضعها حول معصميه، وحرك السلسلة محاولًا معرفة طولها التقريبي، فوجده حوالي خمس أقدام، ما يعني أن بإمكانها الوصول حتى المرحاض، لكنه لا يستطيع الآن الوصول إلى هابل، الذي كان يجلس أمامه على مقعد دوار.

سأل هابل جو باسترخاء: "ما اسمك؟".

"جو".

"جو ماذا؟".

"هوجان".

"حسنًا يا جو هوجان، استرح في مكانك. أشعر بأنني كنت أنتظر مقابلتك منذ فترة طويلة للغاية".

الفصل
82

كان مكتب ليونارد باريزي مغلقًا عندما وصلت يوكي لحضور الاجتماع. نظرت إلى ساعتها، فعرفت أنها وصلت متأخرة ستَّ دقائق على موعدها. شرحت يوكي لمساعدة باريزي أنهم أوقفوها في الطابق السفلي عند مكتب الأمن، ولكن قبل أن تجيبها دارلين، فتح باريزي بابه، وقال:

"ظننت أنني سمعت صوتك. نحن في انتظارك".

يحتل مكتب باريزي قسمًا كبيرًا من الطابق الثاني، وكان ضخمًا مقارنة بالمكاتب في مقر قيادة الشرطة، ولكن ما أضافه إليه حجمه، أفقده إياه قربه الشديد من شارع براينت ذي حركة المرور المكتظة دائمًا.

كان رئيس المباحث وارين جاكوبي جالسًا على المائدة المستديرة المصنوعة من خشب البلوط معطيًا ظهره للنافذة. جلس باريزي مدير يوكي ومعلمها السابق في المقعد الأقرب إلى مكتبه، وجلست يوكي بين الرجلين، بالقرب من الباب.

قدمت دارلين زجاجات المياه للجالسين، وطلب منها باريزي ألا تحول إليه أية مكالمات، ثم قال ليوكي: "فلتبدئي أنتِ".

أخذت يوكي جرعة من زجاجة المياه. فبعد خمس سنوات من كونها تلميذة باريزي، شعرت بأن الوضع انقلب مائة وثمانين درجة.

كان هذا اجتماعها، وكانت تأمل أن تتمكن من النجاح فيه.

قال جاكوبي: "لديَّ اجتماع مع العمدة في غضون خمس عشرة دقيقة".

قالـت يوكي: "سأقول ما لديَّ حـالًا. لقد التقيت شاهدين جديدين بالأمس، وهما على استعداد للتعاون إذا حصلا على الحماية.

إذا أخبرونـا بما يعرفانه، سيتوافر لنا دليل قـوي على هوية من شاركوا في مقتل تجار المخدرات بين شارعي تورك ودودج. وسنعرف أيضًا من قتل آرون–ري كورديل".

قال باريزي: "هذا هو ما يعنيه أمر الاستدعاء، أيتها المحامية. دعينا نستمع إلى شهادتيهما".

قالت: "بشـرط الحماية يا لين. الشاهدان يخشيـان على حياتهما، ولسبب وجيـه في الواقع. سأخبركما بما قاله الرجلان، وإذا توصلنا إلى اتفاق، سأعقد اجتماعين مـع كل منهما. أعتقد أنك تريد تسوية قضية كورديل خارج المحكمة يا لين".

أجاب باريزي: "أشك في ذلك، لكن استمري وأقنعيني".

قالـت يوكي: "سأفعل. الشاهد الأول سيعترف تحـت القسم أنه قتل آرون–ري كورديل".

سأل باريزي: "إلى أين تذهبين بهذا؟ نحن نعلم أن كورديل قُتل في السجن، فلماذا نحمي قاتله؟ علينا أن نعاقبه".

قالـت يوكـي: "لقد طُلب مـن هذا الرجـل التخلص من كورديـل سريعًا في مقابل نقله إلى سجن مختلف".

قال باريزي: "ومن وعده بذلك؟".

"كان شرطيًا يا لين".

سأل جاكوبي: "لماذا؟ لماذا قد يرغب أي شرطي في موت كورديل؟".

قالت يوكي: "هذا يقودنا إلى الشاهد الثاني".

لم يتحدث كلا الرجلين. كان اهتمامهما منصبًا عليها بالكامل.

قالـت يوكي: "إن الشرطي الـذي كلفه بقتل كورديل هو أحـد الثلاثة الذين قتلوا تجار المخدرات".

قـال باريزي: "هل تعنين أن الشرطـي الذي شارك في قتل تجار المخدرات رغب في مقتل كورديل لإخفاء آثار جريمته؟".

قالـت يوكـي: "هذا صحيح. كـان الشاهـد الثاني في وكـر المخدرات وقت الجريمة ويمكنه تأكيد ذلك. لقد شاهد إطلاق النار. بحمايته، سيدلي بشهادته التـي تؤكـد أن آرون–ري كورديل لم يرتكب شيئًا. وقـد يتمكن من التعرف على رجل أو أكثر من الرجال الذين فعلوا ذلك".

الفصل 83

أغلق القاضي كويرك باب غرفته، وعاد إلى القاعة حيث تجمع كل من: يوكي كاستيلانو، وليونارد باريزي، ووارين جاكوبي، وشاب متوتر يرتدي الجينز وسترة شبابية ولا يتوقف عن هز ساقيه.

استقر القاضي في مقعده بجانب الشاهد، وقال: "من فضلك أخبرنا باسمك أيها الشاب".

"أرتورو مينديز".

"والآن، أريدك أن تقسم أمامي وأمام الجميع على أنك ستقول الحقيقة كاملة، ولا شيء غير الحقيقة".

"أقسم على ذلك".

قال القاضي كويرك: "السيدة اللطيفة التي تجلس خلفك هي السيدة بيرسون، وستقوم بتسجيل ما نقوله. ستطرح عليك السيدة كاستيلانو أسئلة، ثم قد يكون للسيد باريزي محامي الدفاع بعض الأسئلة أيضًا.

السيد باريزي هو الشخص الذي أمر بوضعك في برنامج حماية الشهود. أما الرجل الأشيب الذي يجلس بجانب السيد باريزي فهو رئيس الشرطة السيد جاكوبي، وهو أيضًا يرغب في الوصول إلى الحقيقة يا سيد مينديز. لكن الحقيقة فقط، وليس ما تعتقده، أو ما قيل لك، أو ما تظن أننا نريد سماعه، فقط ما رأيته بعينيك وسمعته بأذنيك. ألديك أي أسئلة؟".

"لا، يا سيدي. لقد اعتدت على مشاهدة مسلسل *قانون ونظام*".

قال القاضي: "جميل، لكن هذا مجرد مسلسل تليفزيوني. أنت هنا في العالم الواقعي. إذا كذبت، فإن هذا يعد حنثًا باليمين، وهذا يعني السجن. هل تفهم؟".

"نعم يا سيدي، أفهم".

"شاهدكِ يا سيدة كاستيلانو".

جلست يوكي في مواجهة أرتورو مينديز، وقالت: "متى التقيتك يا أرتورو؟".

"بالأمس".

"وكيف تمكنتَ من مقابلتك؟".

"لقد حصلتِ على اسمي من والدة آرون-ري؛ فهي لديها رقم هاتفي بحكم أنني كنت صديقًا لابنها آرون".

قالت يوكي: "هذا صحيح. وهل التقيتك عند تقاطع شارعي تورك ودودج، بالقرب من العقار الذي تمت فيه جريمة قتل تجار المخدرات الثلاثة؟".

"هذا صحيح".

"وهل تعرف من أطلق النار على تجار المخدرات داخل هذا العقار؟".

قال أرتورو مينديز: "نعم يا سيدتي، لأنني كنت هناك وشاهدت ما حدث".

سألته يوكي: "هل كنت تحت تأثير أي مخدر عندما شاهدت إطلاق النار؟".

"لا، لم أكن أتعاطى أي مخدر".

"وهل أنت تحت تأثير أي مخدر الآن؟".

"لا يا سيدتي، أنا لست مدمنًا على أية حال. يمكنكم إجراء تحليل للتحقق من ذلك إذا أردتم".

"ليس الآن يا أرتورو. أيمكنك أن تخبرنا بالأحداث التي وقعت في وكر المخدرات ليلة مقتل التجار؟".

حكى أرتورو مينديز القصة بالضبط كما قصها على يوكي في اليوم السابق. كان في المنزل عندما جاء ثلاثة رجال يرتدون سترات شرطة سان فرانسيسكو وأمروا تجار المخدرات برفع أيديهم والاستدارة نحو الحائط.

كان مينديز مختبئًا، لكنه شاهد هؤلاء الرجال وهم يجرُّون التجار ويأخذون أموالهم وأسلحتهم ومخدراتهم، ثم سمع أحد "الشرطيين" يقول: "ضع نفسك مكاني".

أخبـر أرتورو مينديز جميع مـن في القاعة أن من قال ذلك هو الرجل نفسه الـذي أطلق النار علـى تجار المخـدرات الثلاثة، وبعدها "غـادر الجناة الذين يرتدون سترات الشرطة عن طريق السلالم".

وذكـر مينديز أنه انتظر حتى غادروا، وبينما كـان على وشك المغادرة رأى آرون–ري كورديل يصعد الدرج، متحمسًا لأنه وجد مسدسا على الدرج.

قـال مينديز إن آرون–ري لم يشهـد عملية إطلاق النار من الأساس، وأمره مينديز بأن يهرب.

قالت يوكي: "هل يمكنك وصف الجناة؟".

"نعم، قليلًا. كانوا يرتدون أقنعة".

"أي نوع من الأقنعة؟".

"أقنعـة مطاطية، من النوع الذي يشبه الوجوه الحقيقية. وكانوا كما قلت يرتـدون السترات الواقية من الرصاص والقبعات الزرقاء الخاصة بشرطة سان فرانسيسكو بالإضافة إلى أحذية كالتي يرتديها الشرطيون أيضًا".

"أهناك شيء آخر تظن أننا يجب أن نعرفه يا سيد مينديز؟".

"أحـد هـؤلاء الرجـال كان لديـه وشم على رقبتـه، هنـا مباشرة"، وأشار ميندي‍ـز إلى ما تحـت أذنه اليسرى، فـوق خط الياقة مباشـرة، ولاحظت يوكي أن عيني باريزي تتسعان.

قالت يوكي: "هل يمكنك وصف ذلك الوشم؟".

سالـت الدمـوع تلقائيًـا من عينـي ميندي‍ز، وقـال: "عليكم نقلـي إلى ولاية أخرى، أتفهمون؟ بينما كنت أدخل المبنى قبل قليل، أعتقد أنني رأيت الشرطي ذا الوشم على رقبته، وربما رآني هو أيضًا".

الفصل 84

عندما توقف جو عن التفكير في مدى حماقته، حاول التفكير في طريقة يخرج بها حيًّا من هذا القبو. كان يجلس على السرير ذي الطابقين، ويداه المكبلتان متدليتان بين ركبتيه، تقيدهما السلسلة المثبتة أسفل السرير. وإلى يساره كان كليمنت هابل يجلس إلى حاسوبه المحمول، بعيدًا للغاية عن متناوله.

قال هابل: "هناك الكثير ممن يدعون جو هوجان في سان فرانسيسكو، بعضهم متقاعد. أحدهم لديه مطعم وآخر يعمل في بيع قطع غيار السيارات، وثالث يعمل في شركة تأمين، وهو الأقرب إلى عمرك. والعديد منهم ميت أيضًا؛ فأي واحد تكون؟".

"كليم. هل يمكنني مناداتك بكليم؟".

قال هابل: "هذا هو اسمي"، قبل أن يغلق محرك البحث ويدير مقعده في مواجهة جو. وفاحت منه رائحة هي مزيج من العرق والثوم.

قال جو: "ما الذي يحدث هنا يا كليم؟".

على الحائط خلف هابل علقت خريطة سان فرانسيسكو، وقد استُخدم قلم التحديد في تحديد خمس نقاط عليها. أكانت هذه أماكن مقتل النساء الخمس المغدورات، بما في ذلك تينا ستريشلير؟

قال هابل: "أتسأل ماذا يحدث هنا؟ إنها حياتي. تخيل كيف أفاجأ بك تدخل زنزانتي هكذا. هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا، وأنت تعرف أنه اختراق للخصوصية".

قال جو: "فك قيودي وسأخرج من هنا، وسأتظاهر بأنني لم أقابلك قط".

قـال هابل: "وأين المتعة في ذلك؟ لم تتح لي فرصة للتعرف عليك، وأنا أود ذلك حقًّا".

فتـح هابـل سكينه الصغيرة ثـم أغلقها وراح يدور في مقعـده. كان لسكينه مقبض من العاج ونصل يبلغ طوله ٢٠سم تقريبًا. ورأى جو أن النصل يبدو حادًّا كشفرة حلاقة.

قال جو: "قلت إنك كنت تنتظرني، فماذا تعني؟".

"أحـب العزلـة، ولكن بين الحين والآخر، يرغب الرجل منا في وجود من يتحدث معه".

بينمـا أحنـى هابـل رأسه، رأى جـو الوشم الكائـن تحت شعره، كـان لنسر بمنقار مفتوح، وجناحين مفرودين.

قال جو: "وعم تريد أن تحدثني؟".

قال: "عن جرائم القتل التي ارتكبتها، كتلك التي فعلتها في منتصف النهار. لـم يستطـع أحد أن يكشفني قـط. يمكنك رؤيتها كلها علـى خريطتي"، والتفت نصـف التفاتـة إلى الخريطة علـى الحائط خلفـه، وأكمل: "لقد كـان احتفالاً بمناسبة خروجي من السجن".

شخصـ جو ببصـره إلى الخريطـة، مركزًا على العلامة التـي وضعت عند زاويـة شارعـي بالمي آلي و٢٤ حيـث رقـدت تينا ستريشلير وحولهـا حشد من السياح.

انتظر الرجل ردًّا، وكان جو يرغب بكل تأكيد في أن يواصل حديثه، فقال له: "حقًّا؟ هل كنت في السجن؟".

قـال هابـل: "أوه، نعم. بل يمكنـك أن تقول إننـي نشأت هنـاك. سأخبرك بأشياء لم أخبر بها أحدًا يا جو"، وأدار وجهه مجددًا نحو جو الذي جلس مقيدًا علـى الطابق السفلي من السرير. "لكن عليـك أن تعدني بالاحتفاظ بالسر. هل تعدني بذلك؟ قل أعدك".

قال جو: "أعدك".

قال هابل: "لنتصافح على هذا".

لقد كانت فرصة لم يستطع جو أن يفوتها.

قال: "لنتصافح على هذا"، ومد يده المقيدة إلى هابل الذي مد يده اليمنى، لكن قبل أن يلمس يد جو، سحبها بعيدًا، وقال: "هاها خدعتك".

ضحك هابل وسار بضع خطوات إلى الثلاجة الصغيرة بالقرب من المرحاض، وأخرج إبريقًا كبيرًا من الماء، وشرب بعضه ثم عرض الباقي على جو الذي قال: "لا، شكرًا".

كانت الزنزانة الصغيرة عازلة للصوت حيث تقع تحت الأرض بمسافة ثلاثين قدمًا، وكان جو يعتقد أنه لن يغادر هذا المكان حيًا. فبعد أن ينتهي هابل من إخباره بالتفاصيل الدقيقة عن مغامراته في عالم الجريمة، سيقوم بتقطيعه إلى أجزاء ودفنه قطعة قطعة.

الفصل 85

عرف جو أن القتلة المتسلسلين يندرجون تحت فئتين رئيسيتين: الفئة الأولى هم القتلة المختلون، الذين يسمعون أصواتًا، ويشاهدون رؤى، ولا يعرفون الصواب من الخطأ.

أما الفئة الثانية فهم القتلة معدومو الضمير. كانوا يقتلون للمتعة، حيث يشعرهم القتل بنشوة لا مثيل لها. كان السبيل الوحيد لإيقاف أمثالهم هو قتلهم أو سجنهم.

اندرج كليمنت هابل تحت الفئة الثانية.

صرف جو مشاعر الخوف عن ذهنه، وكذلك صُور الأشخاص الذين كان يحبهم، ولن يراهم مجددًا، والأشياء التي لن يتمكن من فعلها أبدًا، والصور التي غزت عقله لجسده المقطع إلى أشلاء، ثم استجمع شتات نفسه، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم نظر إلى آسره.

كان هابل أصغر وأقوى من جو، كما كان مسلحًا ويستمتع بلعبة القط والفأر، والأرجح أن القطة هي التي ستفوز.

كان لدى جو فكرة واحدة غير متبلورة عن كيفية الخروج من هذا السجن، وليست أمامه سوى فرصة واحدة لتنفيذها، ما يعني أنه لا مجال للخطأ.

وهكذا قال جو: "أريد أن أعرف كل شيء عن الأشخاص الذين قتلتهم. أريد كل التفاصيل. أنا شغوف بالقتل، وإن لم أمارسه من قبل. كنت مدفونًا في الأعمال المكتبية. واليوم أشعر بأنني محظوظ بعدما قابلتك يا كليم، ولا أستطيع الانتظار كي تخبرني بقصصك".

قال هابل: "سأفعل، فلدينا ما يكفي من الوقت ويزيد. ربما لاحظت أنه لا توجد هنا ساعات، وهذا ما نطلق عليه وقتًا طويلًا حقًّا".

قال جو: "هل تمانع في أن أقضي حاجتي قبل أن تبدأ؟ كنت أحتاج لفعل ذلك حتى قبل وصولي إلى هنا".

قال هابل: "أبدًا. تفضل".

نهض جو على قدميه، وكان هابل لا يزال في المقعد الدوار المقابل للسرير. كان المرحاض على يمين جو، ففك سحاب سرواله واقترب منه.

بمجرد أن وصل جو بالسلسلة إلى نهايتها، استدار إلى الجهة الأخرى، واستخدم قدمه كنقطة ارتكاز، وضرب بها ساق السرير الأقرب إليه. في الوقت نفسه، جذب إحدى الدعامات العلوية للسرير بيديه المقيدتين بقوة.

قفز هابل وصاح: "اللعنة!".

لكنه لم يكن لديه مكان يذهب إليه. كان المكتب إلى يمينه، وجو إلى يساره، ومع استمرار جو في الضغط، بدأ السرير يهتز، ثم سقط ناحية هابل.

رفع هابل يديه ليحمي نفسه، لكن وزن السرير ذي الإطار الحديدي كان أقوى منه بكثير. انزلقت الحشية وانحشر هابل بينها وبين السرير المقلوب.

كان جو لا يزال مكبلًا، لكن السلسلة لم تعد ملتفة حول ساق السرير الآن. لف جو السلسلة حول رقبة هابل، وأمسك بكتفيه، وضرب رأسه القبيح بالأرضية الخرسانية.

صرخ هابل: "توقف عن *ذلك*! لا!!!!! توقف".

قال جو: "أين المفتاح؟".

فقال هابل: "أي مفتاح؟".

ضرب جو رأس هابل بالأرض مجددًا. لم يكن يريد قتله.

لكنه أراد أن يؤذيه حقًّا.

الفصل 86

صاح جو في وجه هابل المبتسم:

"أين *المفتاح*؟ أين *المفتاح اللعين*؟".

"*ستجده داخل بطني*".

التقط جو السكين من الأرض وصوبه نحو هابل وقال: "لا أمانع. فهذه طريقة ممتعة للتفتيش".

قال هابل: "لا، لا. *إنه في علبة مكعبات الثلج*".

أبقى جو السلسلة مشدودة بإحكام حول رقبة هابل، وأمكنه الوصول إلى الثلاجة، فأمسك بعلبة مكعبات الثلج الصغيرة بأطراف أصابعه، وألقى بها على الأرض، وعندما وجد المكعب الذي يحمل المفتاح بداخله، سحقه بكعب حذائه.

أمسك جو بالمفتاح الصغير وأمر هابل: "نم على بطنك".

انقلب هابل على بطنه، ووضع جو قدمه فوق عنقه، وظل يدير المفتاح بيدين مرتعشتين حتى استطاع فتح الأصفاد. عندما تحررت يداه، أعاد إغلاق سحاب بنطاله.

جذب ذراعي هابل حول ظهره وقيد معصميه بالأصفاد نفسها، ثم حرك السرير إلى وضعية الوقوف، وجذب مسدسه من على المكتب.

عندما أوقف جو هابل على قدميه، لم يتملص، أو يركل، أو يقاومه بأي شكل، بل بدا متقبلًا لما حدث. ربما كان قضاء عشرين سنة في السجن يفعل هذا بالإنسان.

قال هابل لجو: "لم تكن بحاجة إلى فعل كل هذا".

"بل كنت بحاجة لكل هذا، وتقبل خالص اعتذاري".

قال هابل: "لم أكن لأؤذيك. أردت فقط أن أخبرك بالأشياء التي قمتُ بها وكيف قمت بها".

"لا تقلق. الكثيرون يريدون معرفة كل شيء عنك يا كليم. سيكون عليك أن تحكي قصتك مرات عديدة".

لفَّ جو السلسلة حول يده اليسرى، مع الاحتفاظ بسجينه مقيدًا أمامه بإحكام، ثم سحب السلم من السقف، وفتح باب الكوة بسلاسة.

قال جو: "ما رأيك يا كليم؟ هل نخرج من هنا؟".

بعد أن صعد الرجلان السلم ووصلا إلى الطابق السفلي، قيد جو كليمنت هابل بالسلاسل إلى الفرن، وأغلق باب الكوة خلفه. ثم اتصل بليندسي من المطبخ، وكذلك اتصل بجليسة ابنتهما ليتأسف على تأخره في العودة، ويطلب منها البقاء مع جولي.

عندما أنهى الاتصال، غسل جو يديه، وأشعل الفرن على درجة ٢٧٥، وضبط المؤقت على ثلاثين دقيقة.

كان جو ودينيس هابل يأكلان فطائر التوت الساخنة عندما وصلت ليندسي بصحبة فرقة مسلحة من الشرطة إلى المنزل رقم ٢٥٥ شارع إيد جهيل. وبدأت الشرطة على الفور في تحطيم باب المطبخ المطلي باللون الأحمر.

الفصل 87

كان عليَّ تقديم تفسيرات عديدة بمجرد عودتي أنا وجو والفرقة الخاصة إلى مقر قيادة الشرطة بصحبة القاتل المعترف المقيد بالأصفاد، القاتل الذي لم يعرف أحد في قسم مكافحة جرائم القتل بوجوده حتى تلك اللحظة.

أطلعت برادي على المستجدات في حين انتظر جو في مكتبي.

نظر برادي لي ببرود شديد بينما كنت أخبره أن ما فعله جو كان بناء على مجرد حدس، وأن مالكة المنزل هي من دعته إلى المنزل، وأعطته إذنًا بدخول غرفة ابنها.

سألني برادي: "أهذا يشبه الحدس الذي قادكِ إلى المنزل الذي صوب صاحبه سلاحه إلى رأسك؟".

"فعلًا. مثله بالضبط".

قال برادي: "بتنحية المشاعر الشخصية جانبًا، فأنتِ تعلمين أن عليَّ أن أكتب تقريرًا بما فعلته، والذي كان خطيرًا على أقل تقدير. ماذا لو أصابكِ؟ ماذا لو اضطررتِ إلى إطلاق النار على أحدهم؟ والآن يتصرف جو التصرف الغبي نفسه؟ هل تديرين قسم شرطة سريًا من مرآب منزلكِ؟ أليس لديكِ ما يكفي من العمل يا بوكسر؟".

لم يكن ينتظر إجابة؛ فلم أجبه، لكن حمرة الخجل كستني من رأسي إلى أخمص قدمي. كان من المهين أن يوبخني برادي. في الواقع، لم يكن هناك

شـــيء ضد جو بالنسبة لشرطـة سان فرانسيسكو؛ فليس هــو الذي أفسد قضية هابل، ولكن الأمر الآن صار رسميًا، وكان لزامًا عليَّ أن أتوخى الحذر الشديد.

انتظـرت لحظة، ثم قلت: "أيها الملازم، في أثناء احتجاز هابل لجو في قبو منزله، اعترف له بقتل خمس نساء، وسأحاول جعله يعترف مرة أخرى".

مال برادي إلى الخلف بشدة حتى ظننت أنه سيسقط من فوق مقعده، ووضع يديه على عينيه وتنهد بقوة، الأمر الذي أشعرني بالأسف تجاهه.

ثم قـال: "استدعي وانج ومايكلـز، فهما المسئولان عن قضيـة ستريشلير، ويجـب أن يحضـرا الاستجواب. لا مزيد من الأخطاء يـا ليندسي. يجب أن يتم تصوير كل شيء بالفيديو، ولن يسمح لكِ بمخالفة القوانين من الآن فصاعدًا".

"أفهم ذلك، وأنا آسفة حقًا يا برادي".

الفصل 88

بعد تفتيش هابل أجلسناه في مقعد معدني صغير أمام طاولة من المعدن نفسه في الغرفة الرمادية الصغيرة التي نطلق عليها غرفة الاستجواب ٢. اتخذنا مقاعدنا أنا والمحققان مايكلز ووانج، بينما وقف جو وراء المرآة المزدوجة يشاهد ما يحدث بصحبة برادي. ارتدى برادي ميكروفونًا حتى يتمكن من إملاء التعليمات أو طرح الأسئلة لاسلكيًا في أذني مباشرة.

بدأت على الفور بالحديث حول إلقاء القبض على هابل لاغتصابه تينا ستريشلير قبل خمسة وعشرين عامًا وسجنه في بيليكان باي ثم كوركوران، وشهادات حسن السير والسلوك التي حصل عليها.

وعلى الطاولة نشرنا الخريطة التي حدد هابل عليها مواقع جرائم القتل.

قدم لنا هابل مفتاحًا إضافيًا لحل جرائم القتل، حيث دون على ظهر الخريطة الأسماء والمواقع وتاريخ كل منها.

جلس وانج ومايكلز يشاهدان ما يحدث ويشاركان في صنع المجد، هذا إذا كان هناك أي مجد. لكن من دواعي سروري أن أسلم هذا القاتل المتسلسل لهما على كل حال.

قدمت نفسي رسميًا إلى هابل، وقدمته إلى رجلي الشرطة الآخرين في الغرفة، وأخبرته أنني أقدر مجيئه للتحدث إلينا. قلت ذلك دون أي أثر للسخرية.

لكنه ضحك رغم هذا.

وقال: "كانت رفقتي مميزة للغاية حقًا".

"لا نرضى لك سوى بمعاملة من الدرجة الأولى يا سيد هابل، فأنت بمثابة نجم، ألست محقًا في ذلك؟".

ضحك مجددًا. يا إلهي! إنه مستمتع بالأمر.

"سيد هابل، لقد أخبرتنا أنك قتلت خمس نساء في مواقع حددتها بنفسك على خريطة سان فرانسيسكو، وهذه هي الخريطة. أليس كذلك؟".

قال هابل: "أتمانعين في إحضار شيء لأشربه؟".

قال وانج: "ماذا يمكنني أن أحضر لك؟".

"أيمكنني الحصول على مشروب الصودا؟".

"سنحضر لك زجاجة باردة على الفور".

كنت جالسة أمام هابل مباشرة، وبعد أن تجرع زجاجة الصودا، قلت: "هل أنت مستعد الآن؟".

"لديَّ طلب أخير".

قلت بلطف: "أخبرني".

"أريد العودة إلى بيليكان باي. إذا وعدتموني بذلك سأخبركم بكل شيء".

"ولماذا بيليكان باي تحديدًا؟".

"أريد العودة إلى المنزل".

تحدث برادي في أذني قائلاً: "أخبريه أن رئيسكِ يعده بذلك، وأننا سنحصل على تصديق المدعي العام في الصباح".

أخبرت هابل بذلك، متوقعة أن يقول شيئًا على غرار: "*حسنًا. سننتظر إلى أن نحصل على تصديق المدعي العام*".

لكنه قال: "حسنًا، عدوني فقط بفعل ما بوسعكم".

قلت: "أعدك"، وكان هذا كل ما احتاج إليه هابل. كان حريصًا على التحدث عن الأعوام الخمسة التي ارتكب فيها سلسلة من جرائم القتل. يجب أن أرجع الفضل إلى جو الذي كان مصيبًا منذ البداية. كان كليمنت هابل يقتل في ذكرى إدانته بتهمة الاغتصاب، ووصف جرائمه بأنها احتفال ببداية حياته الرائعة في السجن.

أما جرائم القتل نفسها، باستثناء مقتل تينا ستريشلير، فقد قال هابل عنها إنها حدثت دون تخطيط.

وقال لي، وهو يميل على الطاولة، محاولاً إقناعي بروايته: "لقد فعلت ذلك لأختبر مهاراتي.

كنت أختار سكينًا من مجموعة سكاكيني، وأبحث عن امرأة يصلح قتلها. في بعض الأحيان كنَّ وحيدات، وفي أحيان أخرى كنَّ بين حشد من الناس، مثل التي قتلتها في السباق في العام الماضي. كنت أمنح نفسي اثنتي عشرة ساعة للقيام بالمهمة ثم أؤشر على بقعة جديدة بخريطتي. وبمجرد عودتي إلى المنزل، كنت أنتظر إذاعة أخبار جريمتي الكاملة، وأظل أفكر فيها لمدة عام آخر"، وابتسم ابتسامة عريضة.

قلت: "لكنك لم تستطع أن تخبر أحدًا؟ لابد أن هذا آلمك".

قال هابل: "هذا صحيح بالتأكيد. لقد افتقدت وجود زميل لي في الزنزانة".

سألته: "وهكذا كانت تينا ستريشلير الضحية الوحيدة التي عرفتها، أليس كذلك؟".

"اسمها تينا مونرو، وهي الفتاة الوحيدة التي أحببتها، وكانت أول من اغتصبتها. هددتها بسكين، لكن هذا كان لرفع مستوى الإثارة. لم أكن لأقتلها، بل لم أفكر حتى في قتلها. ظننت أنها ربما ترغب في مرافقتي. أعلم أنك تجدين هذا مضحكًا أيتها الرقيبة...".

"لا، لا. أنا فقط مندهشة لأنك كانت لديك مشاعر نحوها".

"نعم. قبل أن أغتصبها لم تكن تعرف حتى بوجودي".

"ولماذا *قتلتها*؟".

"لأترك للشرطة دليلا".

"ولماذا؟".

"لأن الوقت قد حان".

بعد ساعة، أخبرنا كليمنت هابل بالتفصيل الدقيق عن كل جريمة قتل ارتكبها. لم يطلب محاميًا قط، وبعد فترة، وضع رأسه على الطاولة وغفا قليلًا. أيقظه وانج، ووجه مايكلز له الاتهام بخمس جرائم قتل. قبل أن يخرج

هابـل من الغرفـة، شكرني. كانت المرة الأولــى التي يحدث فيهـا أمامي شيء كهذا.

قلت: "على الرحب والسعة".

غادرت غرفة التحقيق ووجدت جو وبرادي ينتظرانني.

قال برادي: "أحسنتم جميعًـا. لقد سامحتكِ يا بوكسر، لكن لا تضعيني في موقف كهذا مجددًا".

صافح برادي جو، وصافحني مربتًا على ذراعي.

بشكل عام، كان هذا يومًا جيدًا لي كشرطية.

الفصل 89

كانت يوكي منتشية تمامًا.

لقد واجهت للتو باريزي الجالس خلف مكتبه المكسو بالجلد، وتفاوضت على تسوية بقيمة ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار واعتذار علني لأسرة كورديل، وهي الشروط التي تم قبولها بالكامل خلال مكالمتين هاتفيتين طويلتين.

أرسلت يوكي رسالة نصية لبرادي قبل أن تغادر مقر قيادة الشرطة، وأخرى في الطريق، وثالثة في موقف السيارات في السوق بشارع فورث ستريت، ولم يرد برادي على أي منها.

في أثناء عودتها إلى منزلها في تلجراف هيل، عاودت التفكير في اجتماعها مع باريزي، وخاصة الجزء الذي قال فيه إن مليوني دولار تعويض كافٍ، وردها الحازم عليه: "لا، ليس كافيًا يا لين. مستحيل أن أقبل".

تذكرت يوكي بصعوبة أنها وصلت إلى المنزل، ولكن بعد وضع ما اشترته من البقالة، تفقدت هاتفها الأرضي، ورأت أن برادي لم يتصل بعد. وبدأ ذلك يضايقها الآن.

أخرجت زجاجة من ماء جوز الهند من الثلاجة، وجلست على مقعد مريح، وكانت على وشك فتح رسائلها الإلكترونية عندما رن جرس الباب. نهضت، ونظرت عبر العين السحرية، فرأيت صبيًا يقف في الردهة ويحمل باقة ضخمة من الزهور.

هذا أفضل بكثير.

وقعت على الاستلام وقرأت البطاقة المصاحبة في طريقها إلى المطبخ:
بوركتِ يا يوكي. التعاقد معكِ كان أفضل شيء قمت به في حياتي. أهنئكِ. زاك.

أخرجت يوكي الزهور من الغلاف ووضعتها في الزهرية على الطاولة المرتفعة خلف الأريكة. ثم عادت إلى حاسبها وفتحت صندوق البريد.

كانت هناك رسالة من رئيس الشرطة جاكوبي.

> يوكي، ظننت أنكِ تودين أن تعرفي أن المحقق براند محتجز في انتظار التحقيق معه. وقد وضعت أرتورو مينديز في الاحتجاز الوقائي حتى أستطيع وضعه في مكان آمن. آسف لإخباركِ أن توني ويليس قد توفي. أما بالنسبة لكِ أيتها الشابة، فلا أقول سوى أحسنتِ صنعًا! أحسنتِ صنعًا!

لسعت الدموع عيني يوكي.

مسحت دموعها، وفكرت في توني الصغير، والأنابيب تخرج من أنفه وذراعيه، وطلبه أن ينقل إلى سجن آخر. كان هذا كل ما أراده. عندما فتحت عينيها مرة أخرى، وصلتها رسالة إلكترونية جديدة.

> يوكي، نحن نتحرك بأسرع وقت ممكن لتكريم ابننا. أشعر بالأسف لأن آرون–ري لم يقابلكِ أبدًا، كان سيحبكِ مثلما أحببناكِ. لن ننساكِ أبدًا.
>
> محبتي، بيا كورديل

هنا بدأت يوكي في البكاء. ذهبت إلى غرفة النوم، واستبدلت ملابسها، ورقدت على السرير. كانت تنام بعمق عندما استيقظت شاعرة بقبلة تُطبع على خدها.

كان برادي جالسًا إلى جوارها، ينظر إليها بطريقة لم ينظر بها إليها منذ عملت في رابطة الدفاع، فنهضت جالسة.

قال: "أنا غبي وأحمق".

"هاه".

"أنا غبي وأحمق، وآسف".

كانت لا تزال غاضبة. مدت يدها وأخذت منديلًا وتمخطت.

قالت: "ليس خطأك أنه ممنوع علينا التحدث عن قضايانا".

قال: "كان بإمكاني صنع الشاي. كان بإمكاني مشاهدة فيلم معكِ أو أن أخوض معك عراكًا بالوسائد .. أي شيء".

قالت: "لست غاضبة منك".

"بل أنتِ غاضبة، ويجب أن تكوني كذلك. هل تعرفين لماذا لم أستطع مهاتفتكِ اليوم؟ لأنني كنت في اجتماعات بدون توقف؛ لأنكِ حللت قضية عصابة سترات الشرطة التي كنت أعمل عليها، أنا والقسم بأكمله".

"أنا لم أفعل كل ذلك".

"أنتِ من فتحت الباب يا حبيبتي، قدمت الفرصة لنا لحل هذه القضية اللعينة. فشكرًا لك".

"أنا سعيدة بذلك". كانت تحب صوته، وطريقته في نطق الكلمات، ولم تستطع تحويل عينيها بعيدًا عنه.

وضع برادي يده على خدها، فنظرت إليه.

قال: "كنت أحمق، وكان هذا يقتلني. لقد افتقدتكِ حقًا".

اهتز صوتها وهي تقول: "وأنا أيضًا".

الفصل 90

كنا أنا وجو راقدين في الفراش، ولم يكن الوقت متأخرًا، فكانت الساعة تقترب من العاشرة مساءً، لكنني كنت أكثر تعبًا من أن أذهب للركض، وأكثر انفعالًا من أن أكمل نومي. تثاءب جو وتمطى بجانبي وهو في أفضل حال. في الواقع، كانت المرة الأخيرة التي رأيته فيها في هذه الحالة عندما شاهد وجه طفلته للمرة الأولى.

لكن يومي أنا كان مرعبًا.

كان لا يزال بإمكاني سماع صوته المضطرب عبر الهاتف يخبرني أن عليَّ التحرك سريعًا، وأنه يحتجز كليمنت هابل.

كنت أتحرك كما لو كانت هناك قنبلة موقوتة متصلة بي. اتصلت بقائد فرقة العمليات الخاصة وأخبرته أننا سنحصل على تصريح في وقت لاحق. كنت آمل أن أتمكن من ذلك. ثم قفزت إلى أول سيارة دفع رباعي تسير بسرعة الريح في الطرق الوعرة المحيطة بمنطقة إيدجهيل ماونتين، وطوال الطريق لم أكن آمل سوى في الوصول إلى هناك في الوقت المناسب.

الآن بعد أن انتهى كل هذا، رحت أتخيل من جديد الفرقة الخاصة وهي تحطم الباب الأحمر، والمفاصل وهي تتخلع، والباب وهو يسقط مثل لسان أحمر كبير على الأرض بينما اقتحم العشرات من الرجال المسلحين المطبخ.

كان جو على الطاولة يمسك فطيرة مافن في يده، وبجواره جلست امرأة عجوز مصدومة. قالت لهم بتأفف: "كان من الممكن أن *تطرقوا* الباب".

ابتسم جو ابتسامة عريضة مثل طفل استطاع إلغاء القفل الأبوي على قنوات الكبار الترفيهية. كان ذلك *قبل* أن يتم احتجاز هابل.

كنت لا أزال في حالة صدمة وظللت أفكر في مدى السوء الذي كان يمكن أن يؤول إليه الأمر – كان من الممكن أن يموت زوجي. قال جو وهو يمد ذراعه ويجذبني نحوه: "أنتِ متوترة للغاية".

"وأنت سعيد بنفسك، أليس كذلك يا حبيبي؟".

ضحك جو قائلًا: "بكل تأكيد. بعد كل هذه السنوات من العمل المكتبي، ما زلت أمتلك المهارة".

أحاطني بذراعه، ورفعت وجهي نحوه لأقبله. حاولت التخلص من أفكاري السوداء، لكنني لم أستطع.

كانت أعصابي مشدودة بعد كل ما جرى في مجزرة عائلة كالهون، وجرائم عصابة سترات الشرطة، والإنذار الذي تركه لي بعض الجبناء المجهولين يتهمونني فيه بتخطي حدودي.

"ليندسي؟".

قلت: "أنا آسفة يا جو. عقلي يموج بالأفكار. لنرجئ هذا إلى الصباح، اتفقنا؟".

داعب شعري بكفه الكبير، ثم قال: "بالطبع. حدثيني عما يقلقكِ".

احتضنته وأخبرته أن الجرائم التي ارتكبها رجال الشرطة الفاسدون لا تزال تصيبني بالجنون: "أنا لم أعد أثق بشرطة سان فرانسيسكو، ولا حتى في القسم الذي أعمل به".

لم أتحدث طويلًا، وأدركت بعد قليل أن تنفس جو انتظم وأنه راح في النوم.

خرجت من السرير بهدوء وذهبت لتفقد جولي.

رأتني محبوبتي الصغيرة أراقبها في مهدها، فغمغمت ورفعت ذراعيها. حملتها إلى المقعد الهزاز بالقرب من النافذة، ثم قربتها من صدري وهدهدتها، ورحت أراقب حركة المرور في شارع ليك.

لم أشاهد أي نشاط مشبوه.

لم أجد رجالاً يتسكعون في الطرقات أو يجلسون في سيارات داكنة اللون.

ظللــت أهدهد طفلتي حتــى نامت، وهدَّأتنــي حركة المقعــد الهزاز وصوت تنفسهــا. شعرت بالاسترخاء أخيرًا، ووضعت الصغيرة في مهدها وغطيتها، ثم تفقــدت الأقفال على الباب الأمامي، وتأكدت من أن جهاز الحماية ضد السرقة والاقتحام في وضع التشغيل.

بعدمــا تفقدت كل الثغــرات، عدت إلى الفراش، حيث كــان زوجي العزيز لا يزال حيًّا وبصحة جيدة، وربما يحلم بالنجاح الساحق الذي حققه اليوم.

لا بــد أنني نمت، لأننــي استيقظت ونظرت إلــى الساعة، فوجدتهــا الثالثة والربع. وبعد ما بدا لي أنها دقيقة، نظرت إلى الساعة مجددًا.

وجدتها الثامنة إلا ربع.

كان لديَّ اجتماع في الثامنة، وسأصل متأخرة بكل تأكيد.

الفصل 91

اتصلت بجاكوبي من سيارتي وأخبرته أنني في الطريق، فصاح بي: "اللعنة يا بوكسر. تحركي بسرعة. نحن نعقد الاجتماع *لأجلكِ*".

ولم يكن يمزح.

قلت: "أمامي عشر دقائق"، وأغلقت الاتصال كيلا أصيح في وجهه أنا الأخرى كرد فعل طبيعي لجرحه مشاعري.

بالطبع كانت مشاعري مجروحة.

قبل خمس سنوات، عندما كنا أنا وجاكوبي شريكين، أُطلقت النار على كلينا في زقاق مظلم في إحدى المهام السرية وكنا على وشك الموت. وقد اتصلت أبلغ عن إصابتنا في لحظة ظننت أنها الأخيرة بالنسبة لنا. ومنذ ذلك الحين، صار يربطنا أنا وجاكوبي رباط أبدي.

وبالأمس، استجويت قاتلًا متسلسلًا. وكان الأمر يشبه السير حافية القدمين على حافة سكين. لقد سجلنا الاعتراف بالفيديو، وحللنا جميع الألغاز، ما رفع معدل قضايانا التي تم حلها. كان يومًا مهمًّا لجميع رجال ونساء شرطة سان فرانسيسكو!

واليوم، كنت متأخرة على اجتماع مع ثلاثة رجال أثق بهم تمام الثقة، ويثقون بي تمام الثقة. والآن جاكوبي يوبخني على هذا *التأخير*.

سمعت صوت والدي المتوفى يتردد في ذهني: *تجلدي أيتها الأميرة*.

كنت أكنُّ لأبي القليل من الحب، لكنه كان محقًّا في هذا.

عليَّ أن أتجلد. كنت أسير بأقصى سرعة، ووجدت فجأة أنني كنت على وشك الاصطدام بشاحنة صغيرة مليئة بالأطفال والكلاب وأن الإشارة صارت حمراء. توقفت وأخذت نفسًا عميقًا – عدة أنفاس بالأحرى.

حاولت استجماع شتات نفسي، وعندما تغيرت الإشارة إلى الأخضر. أكملت طريقي إلى مقر قيادة الشرطة في حدود السرعة القانونية، ووصلت الى شارع براينت في الساعة ٨:٤٦.

أوقفت سيارتي في المرآب، ملقية بالمفتاح إلى كارل. وعبرت الشارع إلى المبنى وأخذت المصعد إلى الطابق الخامس.

عندما دخلت مكتب جاكوبي، وجدت ثلاثة رجال مكفهرين يجلسون على أثاث جلدي "عتيق الطراز" حول طاولة قهوة من الزجاج. كان الجدار مليئًا بالصور المؤطرة لجاكوبي مع سياسيين مختلفين، بالإضافة إلى صورة لنا في ثياب الشرطة الزرقاء ونحن نُكرَّم من رئيسنا السابق.

تخطيت ساقي برادي وجلست على المقعد الشاغر بجانب كونكلين. شعرت بأنني أفضل الآن؛ فقد كنت محاطة بأصدقائي، واستعدت رباطة جأشي.

قلت: "آسفة على التأخير".

أعطاني كونكلين كوبًا من القهوة التي لم تعد ساخنة، لكنني عرفت أنه أضاف إليه ثلاث ملاعق من السكر.

قال برادي: "أتريد أن تخبرها أيها الرئيس؟".

كدت أقول: "يخبرني بماذا؟"، لكن كونكلين قاطعني قائلاً: "لقد مات روبرتسون".

"روبرتسون؟".

للحظة لم أكن أعرف عمن كان يتحدث، ثم تذكرت. كايل روبرتسون شريك توم كالهون، الشرطي الذي كان يبلغ الخمسين من عمره تقريبًا، ويسعى للتقاعد المبكر في أقرب وقت ممكن.

سألت الجميع: "وكيف مات؟".

قال جاكوبي: "ترك كلبه مربوطًا بسياج جاره، وحشر ورقة كتب فيها كلماته الأخيرة بين حلقات السلسلة، ثم وضع شارته على طاولة الطعام وجلس وأطلق النار على نفسه".

"يا إلهي! وماذا كتب في هذه الورقة؟".

"كتب: آسف. يرجى الاعتناء ببرونو. إنه كلب مطيع. وترك شيكًا للجار بقيمة ألف دولار. وقد دون روبرتسون التاريخ وكان في منتصف الليلة الماضية. اتصل الجار بنا قبل عدة ساعات".

سألت: "وماذا الآن؟".

قال جاكوبي: "أن نقرر أن تكون هذه هي مهمتنا الحالية".

الفصل 92

عندما قال جاكوبي: "أن نقرر أن تكون هذه هي مهمتنا الحالية"، كان يعني أنها ستصبح *مهمتنا* نحن الأربعة، أي أن علينا أن نربط بين الأدلة الغامضة ونفضح أمر الشرطيين الفاسدين.

يهوى برادي صنع القوائم. كانت لديه مفكرة صفراء، وكان يدون الأسماء على الجانب الأيسر من الصفحة بالقلم الأحمر.

كان اسم كالهون هو الأول في القائمة، وتبعه اسم روبرتسون. كان الاثنان شريكين، والآن كلاهما ميت.

قال برادي: "لنفترض أن روبرتسون قتل نفسه لأن ما كان يهدد كالهون صار يهدده هو الآخر".

قلت: "عندما أجريت مقابلة مع روبرتسون، شهد لصالح كالهون، وقال إنه كان شابًا صالحًا ولم يكن عليه أي شبهات من أي نوع. لم أفهم أنه كان يتستر على شريكه أو نفسه. ربما فهمت خطأ. كان روبرتسون وكالهون يعملان تحت إشراف تيد سوانسون".

قال جاكوبي: "اتصلت بسوانسون. إنه الآن بمنزل روبرتسون، يبحث عن أي دليل يمكن أن يفسر ما حدث، وهو وفاسكيز يستجوبان الجيران".

ذكر كونكلين اسم دوني وولف، الواشي في ويكر هاوس، الذي أخبر المهاجمين بموعد وجود المخدرات والمال في المكان.

قال كونكلين: "أخبرنا وولف أن اللصوص كانوا من رجال الشرطة، وأن اسم رئيسهم هو "واحد"، وأن عددهم ستة رجال يرتدون سترات الشرطة الواقية من الرصاص".

كتب برادي (١+٥) بأعلى مفكرته.

قال جاكوبي: "الشاهد على إطلاق النار على وكر المخدرات رأى وشما على رقبة أحد رجال عصابة سترات الشرطة. وهو يبدو، كأنه وشم ويليام براند نفسه".

رأيت ذلك الوشم (وب)، والذي يبدو كما لو أنه موسوم بالحديد الساخن.

قال كونكلين: "كنا نعمل مع هؤلاء الأشخاص كل يوم؛ ما يجعلنا نستنتج أن براند، وكالهون، وروبرتسون ينتمون إلى عصابة سترات الشرطة، وربما هناك آخرون لا نعرف عنهم شيئًا. ويتني مراقب أيضًا، لصلته بالشرطي براند"

قال برادي: "إنها نظرية معقولة. براند محتجز في انتظار التحقيق، وسأقابله أنا وجاكوبي خلال ساعة. عليك يا بوكسر أنتِ وكونكلين التحقيق مع ويتني. اضغطا عليه قدر الإمكان. من يعترف أولًا سيحصل على صفقة، ومن سيبقى للنهاية سينال أشد العقاب".

عند عودتي إلى مكتبي، اتصلت بهاتف ويتني الخلوي وتركت رسالة، هي الأولى ضمن ثلاث رسائل. قال كونكلين: "ربما يجب أن نفعل ذلك شخصيًّا. سأعود بعد قليل".

وبالفعل عاد بعد عشر دقائق.

قال كونكلين: "إن ويتني لم يحضر ولا نعرف مكانه، لكني سأفترض أن الرسالة وصلته بالفعل".

توجهنا إلى مكتب برادي ذي الجدران الزجاجية، فنظر إلى الأعلى وقال: "براند لم يظهر".

قال كونكلين: "ولم يظهر ويتني كذلك، ولم يجب على اتصالاتنا".

كنا نراهن أن ويتني وبراند انفصلا. وبدونهما قد لا نعرف أبدًا من قتل كالهون، أو قام بالهجوم على ويكر هاوس وقتل سبعة أشخاص فضلًا عن الواشي راسكال فالدين. وقد لا نعرف أبدًا مَن قَتَل التجار في وكر المخدرات، أو من أطلق الرصاص على أصحاب مكاتب الشيكات الأبرياء، بالإضافة إلى

حادث إطلاق النار على المتجر الإسباني الذي أسفر عن مقتل مايا بيريز وطفلها الذي لم يولد.

شعرت بأننا نقف على الحافة. وفجأة، خطرت لي فكرة عن الشرطي الذي يمكن أن يكون "واحد".

لقد فكرت به من قبل، لكن وسامته وسلوكه اللطيف جعلاني أتخلى عن حذري. وهو ليس ضمن المشتبه بهم على الإطلاق.

جلست أمام برادي كيلا أتحدث من مدخل المكتب المفتوح.

قلت: "ما رأيك في سوانسون؟".

"ماذا تعنين؟ هل تعتقدين أنه مشارك في هذا؟".

"سوانسون شرطي مميز، ويتحدث الآخرون عنه كنجم، وكان كالهون وروبرتسون يعملان تحت إشرافه. كيف يمكن ألا يكون مشاركًا؟".

قال برادي: "أثق بحدسكِ".

الفصل 93

كان حدسي يخبرني أننا لا ينبغي أن يذهب كلانا إلى سوانسون.

وافقني كونكلين، وقال: "تحدثي معه، وسأعمل على تحديد موقع ويتني".

كانت عائلة سوانسون تعيش في حي بارك ميرسد، على بعد عشرين دقيقة من وسط المدينة في قرية خاصة مساحتها ١٥٠ فدانًا تضم بنايات سكنية شاهقة ومنازل فخمة. كان الغروب قد حل بينما كنت أقود سيارتي عبر الشوارع المليئة بالأشجار، وأمر بالمتنزهات الصغيرة الساحرة والملاعب الواسعة.

كان من السهل أن نفكر أنه لا يمكن أن يحدث شيء سيئ هنا.

يعيش سوانسون في مبنى فخم من دورين بواجهة برتقالية من الجص، والذي بدا أنه يكفي ثلاث عائلات. كنت أوقف سيارتي عندما رأيته يخرج من الباب الأمامي ليستقبلني.

قلت: "آسفة للقدوم دون موعد، ولكن علينا أن نتحدث".

قال سوانسون: "تعالي يا بوكسر. أنا مسرور لرؤيتكِ في الواقع".

كان تيد سوانسون محبوبًا، وقد جعل أسلوبه اللطيف والمباشر نظريتي الخاصة بأنه رئيس العصابة تبدو سخيفة للغاية.

بمجرد دخولنا غرفة المعيشة، عرفني سوانسون على زوجته نانسي، التي قالت: "هيا لتقابلي الأطفال".

سرت خلفها إلى إحدى الغـرف ورأيت ثلاثة صغار، جميعهم دون العاشرة، مستلقين على مقاعد قماشية محشوة يشاهدون فيلمًا في ملابس النوم.

قدموني إلى ميف وجوي وبات على أنني "زميلة بابا من العمل"، وبعدها بقيت نانسي مع الأطفال، وذهبت برفقة سوانسون إلى غرفة المعيشة المكسوة بالألواح الخشبية والمفروشة بأرائك فاخرة وسجاد ثمين.

جلست على إحدى الأرائك ورفضت عرض سوانسون بتناول "القهوة أو أي شيء آخر"، وصدمني ما ظهر عليه من شدة التعب خلال الأسابيع القليلة الماضية.

كان وجهه شاحبًا، وكتفاه متهدلتين، ويبدو على وشك الإصابة بنوبة قلبية، وأن هذا يمكن أن يحدث في أي لحظة.

قال سوانسون: "لقد قضيت اليوم في منزل روبرتسون. رأيت المقعد الذي كان يجلس عليه عندما أطلق النار على نفسه، وفكرت كم كان رجلاً رائعًا، وسألت نفسي لماذا فعل ذلك".

سألته: "وماذا استنتجت من ذلك؟".

لكني لم أعتقد أن سوانسون سمعني.

قال: "اطلعت على دفتر شيكاته. لم يكن ثريًا، لكنه لم يكن فقيرًا أيضًا. تحققت من الملفات في مكتبه، ووجدت نتائج آخر فحص طبي له. لم يكن مريضًا بالسكري أو السرطان أو القلب. كان ضغط دمه عاليًا، لكن هذا حالي أنا أيضًا.

تحققت من خزانة أدويته، ووجدت أدفيل، وتامز، ودواء لسعفة القدم.

هز سوانسون رأسه.

قلت: "وماذا أيضًا؟".

"تحدث فاسكيز إلى الجار الذي أوصى له بالكلب – اسمه موراي. كان موراي يرافق روبرتسون في تناول الشراب، وفي مشاهدة مباريات الكرة. لم يتوقع موراي حدوث شيء كهذا. قال إن كايل كان مزاجيًّا ولكن لم يكن مكتئبًا. بيد أن عليَّ أن أخبرك يا بوكسر أن أحدًا منا لم يتوقع حدوث شيء كهذا. تحفظت فرقة التحقيق في مسرح الجريمة على حاسوب روبرتسون المحمول. ربما سيخبرنا هذا بشيء".

قلت: "هل يمكننا أن نكون واقعيين هنا يا تيد؟ كايل روبرتسون لم يقتل نفسه لمجرد نزوة. لقد عمل معنا في عمليات البحث عن القتلة التي كنا نعمل

عليها. ماذا لو هددوه؟ هل كانت لديه معلومات تمنى لو أنها ليست لديه؟ أعتقد أنك تعرف الإجابة".

اكفهر وجه سوانسون وقال: "هذا يعني أنني يمكن أن أكون مستهدفًا، وأن ما حدث لعائلة تومي كالهون يمكن أن يحدث لي. ماذا ستفعلين لو كنتِ مكاني؟".

"سأتحدث مع شخص يمكنه مساعدتك".

"إلام ترمين يا بوكسر؟".

"أنت تعرف ما أرمي إليه. أعطني معلومات كافية يا سوانسون. الرئيس جاكوبي كان شريكي، وعملنا معًا لأكثر من اثني عشر عامًا، وسيستمع لي".

"ليس لديَّ ما أقوله".

كان سوانسون يجلس في مقعده وقد مال للأمام وهو يتحدث:

"كنا نؤدي وظيفتنا مثلكم تمامًا. ربما اقترب كالهون من شيء ما، وربما كان روبرتسون يعرف ما هو".

"أهذه هي القصة التي ستستخدمها؟ أنك لا تعرف أي شيء؟".

قال: "أنا ذاهب إلى الفراش الآن يا بوكسر. لقد كان يومًا آخر بغيضًا".

كان معنى كلامه أنه لا يريد التحدث معي، لكن النظرة على وجهه أخبرتني خلاف ذلك. أقسم إنه أراد أن يضع ثقته بي، لكن كلينا نهض. ذهبت باتجاه الباب، وعندما مررت بغرفة المعيشة سمعت الأطفال يضحكون. شعرت بالخوف على هؤلاء الصغار وعلى نانسي وتيد سوانسون أيضًا.

لقد وجدت كلامه قابلًا للتصديق، لكني لم أصدقه على الإطلاق.

الفصل 94

خرجت مـن زيارتـي لتيد سوانسون وأنـا متأكدة من أنـه كان يكذب، وهذا لم يكن مزعجًا فحسب، ولكنه ضاعف شكوكي نحوه أيضًا.

لقـد أعرب لي عـن قلقه من التعرض للهجوم، لكنه لـم يخبرني بما يعرفه. شعـرت بالإحباط والغضب ولم أتمكن من منع نفسي مـن التفكير في المجزرة التي حدثت في منزل توم كالهون، عالمة أن سوانسون كان يفكر بها أيضًا.

كانـت يدي على باب سيارتي عندمـا نادتني نانسي سوانسون باسمي. كانت تسيـر مسرعة نحـوي، وعندما وصلت إلـيَّ، وقفت أمامي وقالـت ووجهها يكاد يلاصق وجهي:

"استمعـي لي أيتهـا الرقيبة. من الصعب ترك كل مـا يتعلق بالعمل عند الوصـول للمنـزل، لكني أحاول حقًّـا. إذا كان الأمر متروكًا لـي، لم أكن لأدعكِ تدخلين المنزل من الأساس".

قلـت: "نانسي، أنا أرغب في حماية عائلتك، لكنني لا أستطيع مساعدتكِ ما لم يتحدث تيد معي. إذا كنتِ تعرفين شيئًا، فأخبريني بالله عليكِ".

بيد أنها قالت: "سعيدة بمقابلتك".

فمـددت يدي بسرعة وأمسكـت بكتفيها قبل أن تتمكن مـن الابتعاد، وقلت: "استمعي لي، أنا أعلم ما أتحدث عنه. لا يمكنكِ الاعتناء بعائلتك بمفردكِ".

أبعدت يدي عن كتفيها، وقالت: "وداعًا. لا تعودي مجددًا".

شاهدت السيدة سوانسون تسير نحو منزلها، ثم التفتت ونظرت لي بغضب قبل أن تدخل وتغلق الباب.

صعدت إلى سيارتي، وأبلغت برادي بما حدث، وفجأة وجدت تيد سوانسون قادمًا من منزله يغلي من الغضب، ويرتدي سترة واقية من سترات شرطة سان فرانسيسكو. *يا إلهي! ماذا سيحدث الآن؟*

قرع نافذة سيارتي فأنزلتها.

قال سوانسون: "اتصل بي فاسكيز. هناك سيارات غريبة تدخل حيَّه، وتتوقف بالقرب من منزله. هناك شيء مريب يحدث. أبلغي القسم بهذا".

ثم دلف إلى سيارتي وأعطاني عنوان فاسكيز، فنقلته إلى برادي، وطلبت منه أن يرسل جميع القوات المتاحة. كنا بين المناوبات، ولم أكن أعلم كم شرطيًّا يمكن لبرادي أن يحضره.

انطلقت إلى العنوان بينما قمت بتشغيل صافرة الإنذار، وصوت سوانسون المرتفع يمنحني الاتجاهات على طول الطريق.

الفصل 95

كان جهاز اللاسلكي في سيارتي يصدر أصواتًا خشنة عالية مضيفًا إلى الإزعاج الذي تصدره صافرة الإنذار. كان موزع المهام يطلب من جميع الدوريات الذهاب إلى عنوان فاسكيز، وكانت الدوريات تجيب النداء واحدة بعد الأخرى بأنها في طريقها إلى هناك.

ظل سوانسون يحدق من الزجاج الأمامي. بدا مذهولًا، وغارقًا فيما يبدو أنه عالمه الخاص، بينما كنت أتقدم بسيارتي الإكسبلورر نحو منطقة ناجلي في حي الطبقة العاملة المعروف باسم كايوجا بارك.

بينما كنت أقترب من منطقة ناجلي قادمة من الاتجاه الجنوبي الغربي نحو منطقة كايوجا، سمعت صوت إطلاق نار متواصل، ثم رأيت السيارات المتوقفة على جانبي الشارع.

كانت هناك سيارات شرطة، تكسو أضواؤها الكاشفةُ المنازلَ ببقع حمراء وزرقاء. كان رجال الشرطة في السيارات يتبادلون إطلاق النار مع رماة في ثلاث سيارات سيدان أمريكية الصنع، ربما كانت السيارات الغريبة التي ذكر فاسكيز أنها تقف بالقرب من منزله.

تمتد منطقة ناجلي غربًا من الطريق ٢٨٠ السريع، وتوازي خط نقل علويًّا سريعًا لمنطقة الخليج. كانت المنازل الموجودة هناك متراصة في صف طويل، وكانت من النوع الذي يصلح لسكنى العائلات، وكانت بها أسيجة قصيرة تحيط بممراتها.

كان الملعب الواقع أمام تلك المنازل فارغًا في هذا الوقت من الليل.

تركز القتال على منزل في منتصف الطريق، وهو منزل خشبي بلون البيج ذو جدار صخري بنفس ارتفاع المرآب.

قال سوانسون: "هذا هو منزل فاسكيز".

"هل لديه عائلة؟".

"لا. إنه مطلق، لا يوجد أطفال".

أوقفت سيارتي بعيدًا عن مجال إطلاق النار وإن كان لا يزال بإمكاني رؤيته. كانت لديَّ سترتان واقيتان في صندوق سيارتي. طلبت من سوانسون البقاء في مكانه.

خرجت من سيارتي، وانحنيت زاحفة بجوار السيارة على الجانب البعيد عن إطلاق النار. فتحت صندوق السيارة، وأخذت سترة، وارتديتها، وحملت الأخرى لأعطي سوانسون إياها. كنت في طريقي للتسلل إلى باب السيارة عندما وجدت سوانسون يفتح الباب ويهرع نحو منزل فاسكيز.

صرخت: "*سوانسون! الزم الحذر!*".

كان سوانسون يركض على طول السياج القصير الذي يفصل مدخل منزل فاسكيز عن ذلك الخاص بجاره عندما رأيت جسده يرتعش مرتين، ثم يسقط أرضًا.

تسللت حتى دخلت سيارتي، وأمسكت الميكروفون، وصحت: "*شرطي مصاب! شرطي مصاب!*"، ثم أعلمت المعنيين بموقعي، رغم أنني كنت أعلم أنه لا يمكن لسيارة إسعاف أن تدخل هذا الحي إلى أن يتوقف إطلاق النار. كان هذا هو البروتوكول المتبع.

لم أكن أعلم ما الذي كان سوانسون يحاول القيام به، لكن إذا كان على قيد الحياة، فعليَّ أن ألحق به. أطفأت أضواء السيارة وصافرة الإنذار، وخفضت رأسي إلى أسفل، وظللت أقود حتى رأيت سوانسون مستلقيًا بجانب السياج.

أوقفت السيارة، وانزلقت على بطني عبر المقعد الأمامي، وفتحت الباب. نظرت مباشرة إلى سوانسون.

كان ينزف، لكنه كان يتنفس.

صحت: "أنت غبي يا سوانسون، هل تعرف ذلك؟".

كان الدم ينتشر عبر سترته الواقية، إلا أنه ابتسم ابتسامة عريضة.

وقال: "انظروا من يتحدث عن الغباء!".

الفصل
96

مثلت سيارتي حاجزًا معقولًا ضد عاصفة إطلاق النار إلى يساري، لكن ليس لدرجة أن تكون ملاذًا آمنًا. سمعت صافرة سيارة إسعاف، وسرعان ما قدمت سيارة أخرى، وبدأت أصوات إطلاق النار تتوقف بينما أوقف المسعفون سياراتهم أسفل الطريق السريع.

جلست عاقدة ساقي على الأرض بجانب سوانسون الذي كان يهمهم بأغنية ما بين الحين والآخر: "امممم مممم يا لوهج الصواريخ الحمراء، ممممم- ممممم، وهي تنفجر في الهواء".

طويت سترتي ووضعتها تحت رأسه. بدا هادئًا، وربما كان في حالة صدمة. ربما تلقى رصاصة في عموده الفقري. وربما كان ينزف بشدة.

قال: "سررتُ بمعرفتك".

"أنت أقوى من هذا. نحن من الشرطة. أليس كذلك؟".

"أريد منك فعل شيء لأجل نانسي والأطفال".

"هذه *مهمتك* أيها المغفل".

"قولي لهم إنني مت... أثناء العمل. هذه هي الحقيقة".

"تحدث معي يا سوانسون. هذا أبسط شيء عليك فعله".

"ما زال علمنا مرفوعًا".

"سوانسون، هل يعرفك بعض الناس باسم "واحد"؟".

سمعت محرك سيارة يبدأ في العمل، وصوت صرير إطاراتها. ثم عاد إطلاق النار. بناء على ما سمعته من أصوات، كانت السيارة تحاول الهروب قاصدة الطريق السريع في نهاية الشارع.

قال سوانسون: "رقم واحد. هذا أنا".

هل فهمني؟ أكان يعرف عن ماذا كنت أسأله؟

سألته مجددًا: "أتعني أنك الرجل رقم واحد، رئيس عصابة سترات الشرطة؟".

ضحك سوانسون.

"ما المضحك في الأمر؟".

"وقع كلماتك عجيب! رقم واحد رئيس عصابة سترات الشرطة!".

"لماذا فعلت ذلك؟".

تنهد قائلًا: "*إذا* فعلت ذلك، فإنها كانت جريمة بلا ضحايا".

"ماذا تعني بهذا؟ لقد قتل أكثر من اثني عشر شخصًا".

"سرقة مخدرات من الحثالة؟ هذه جريمة بلا ضحايا".

كيف أصبح شرطيًّا، ونجمًا في مجاله، إذا كان يفكر بهذا الشكل؟ لكنني كنت أعرف الإجابة. كان يُطلق عليها جرائم القتل لخدمة المجتمع، وبالتأكيد وجد لنفسه عذرًا يبرر ما كان يفعله.

سألته: "وماذا عن كالهون؟".

رفع يده وأشار إلى اتجاه إطلاق النار الذي كان لا يزال على أشده، ثم قال: "تومي المسكين".

خفت صوت سوانسون، وسقطت يده.

"تيد، تيد، إياك أن تتركني".

سعل دمًا، فأمسكت بيده.

ثم سمعت شرطيًّا يصرخ من بعيد: "*اخرج من السيارة رافعًا يديك!* اخرج من السيارة *الآن!*".

ثم صاح صوت: "*نهايتك على يدي!*".

ثم سمعت تبادلًا عنيفًا لإطلاق النار. ثم صمت قاتل. سمعت صوت برادي قادمًا من جهاز اللاسلكي الخاص بسيارتي يطلب من سيارات الإسعاف أن تقترب.

وقفت وناديته بأعلى صوت لديَّ. وبعد لحظات، كان برادي، الملازم أشقر الشعر يقف جواري، ويسألني: "هل أنتِ بخير؟".

"نعم. وأنت؟".

"بخير".

انحنى برادي ونادى سوانسون المرتدي سترة شرطة سان فرانسيسكو:

"سوانسون، أجبني".

قال سوانسون "أهلًا". كانت عيناه مغلقتين، وتنفسه ضحلًا.

قلت: "لقد فقد الكثير من الدماء. أين المسعفون بحق السماء؟".

تركني برادي ليوجِّه سيارة الإسعاف، وبقيت مع سوانسون حتى وصل إلينا المسعفون. شاهدته بينما حملوه على النقال، وأوثقوه بالأربطة، ورفعوا النقال إلى السيارة.

على عكس روبرتسون، كان لدى سوانسون عائلة، والطريقة الوحيدة التي قد تحصل بها تلك العائلة على معاش محترم هي أن يموت رب الأسرة في أثناء العمل، وقد وجد سوانسون فرصته، واستغلها حقًّا.

جذبت يد أحد المسعفين، وابتعدت به قليلًا، وسألته: "هل سينجو؟".

رفع المسعف كتفيه، ثم هز رأسه نفيًا، وصعد إلى سيارة الإسعاف وأغلق الأبواب.

كنت أرغب في أن يخبرني سوانسون بشأن بقية "طاقمه"، ولكن كان لديَّ شعور قوي بأنه حتى لو عاش، فإنه لن يشي برجاله.

الفصل 97

كانت سيارات الإسعاف تتوافد بلا انقطاع لأخذ المصابين. وصلت سيارة الطب الشرعي، وكانت كلير تتحدث إلى كلابر، بينما ملأ محققو البحث الجنائي المكان. كان الخبراء ينصبون الأنوار وخيمة جمع الأدلة، وكان المحققون يعملون بأفضل ما لديهم تحت هذه الظروف.

وفقًا لبرادي، كان عدد الجثث أربعًا، وكان جميع القتلى مجهولين. استطاعت سيارة واحدة الهروب، وكان عدد الأشخاص بداخلها غير معروف.

جلست داخل سيارتي، وبعد أن اتصلت بجو وكونكلين، هاتفت نانسي سوانسون.

قلت عندما أجابت: "يجب أن أراك".

"ماذا حدث؟ هل حدث شيء لتيد؟".

"لقد تأذى، لكنه على قيد الحياة".

"ماذا حدث؟ *أخبريني الآن*".

"سأكون في منزلك خلال خمس عشرة دقيقة. سأقلك إلى المستشفى. اطلبي من أحدهم أن يبقى مع أطفالك".

سقط هاتفها أرضًا. ناديتها، لكنها كانت تصرخ وتنادي أطفالها. اتخذت أسرع وأقصر طريق إلى منزل سوانسون، وأنا أفكر أن نانسي قد تخبرني الآن بما كانت تعرفه.

كانت تقف عند المدخل ترتدي قميصًا رجاليًا أبيض، وبنطالاً من الجينز، ونعلين خفيفين.

سألتني، بينما دلفت إلى مقعد الراكب بسيارتي: "أي مستشفى. ما وضعه؟ هل حالته خطيرة؟".

قلتُ: "ضعي حزام الأمان".

انطلقت السيارة نحو مستشفى متروبوليتان. ضمت نانسي قبضتها وظلت تضرب بها ساقها بينما كنت أخبرها عما حدث في منزل أوزوالدو فاسكيز.

أخبرتها بأن فاسكيز اتصل بزوجها في حالة من الذعر، وأخبره أن عددًا من السيارات قدمت إلى منزله وأنه اعتبرها تهديدًا، وأنه بحلول الوقت الذي وصلت فيه بصحبة تيد، وجدنا عاصفة من إطلاق النار بين الشرطة والرجال في تلك السيارات.

أخبرت نانسي: "كان آمنًا في السيارة معي، لكنه قفز فجأة من السيارة وركض نحو منزل فاسكيز".

"يا إلهي! وهنا أطلقوا عليه النار؟".

فأومأت برأسي وقلت: "لقد سقط وظل ينزف حتى وصل المسعفون".

قالت لي بنبرة تهديد: "هذا خطؤكِ. اللعنة عليكِ أيتها الرقيبة".

"أفهم ما تمرين به يا نانسي، وأشعر بأسى كبير لأجلكِ".

"لا أبالي بالطريقة التي ستصوغين بها الأمر. لقد كنتِ تضغطين على تيد منذ أسابيع، وهو لم يرتكب أي خطأ. لقد فعلها من أجلنا، من أجل أسرته".

"هل تفهمين الحقيقة؟ زوجكِ مجرم".

قالت هازئة: "المجرم الحقيقي هو كينج فيشر".

"لا أفهم ما تقصدينه".

"إنه الذي تسبب في مقتل عائلة كالهون، ألا تعرفين هذا؟".

سألتها: "هل أنتِ متأكدة من هذه المعلومة؟".

غطت نانسي سوانسون وجهها بيديها. كانت رقبتها وذراعها حمراوي اللون. بدأت تبكي وتقول: "لا أدري، لا أعرف. لا أدري، لا أعرف. لديَّ ثلاثة أطفال. لا يمكننا أن نفقد تيد، أتفهمين؟".

قلت: "نانسي، هل يمكنكِ إخباري بأي شيء قد يساعدنا في القبض على الجناة؟".

حولت عينيها الحمراوين نحوي وقالت: "هل جننتِ؟ أنا زوجة شرطي. ألا تعتقدين أنني أعرف ما الذي تحاولين القيام به؟".

أوقفت السيارة خارج غرفة الطوارئ وفكت نانسي حزام مقعدها، وفتحت الباب، وبدأت تركض.

رن هاتفي حتى قبل أن أتمكن من إغلاق باب السيارة.

كان برادي.

وقال: "فاسكيز مفقود. لا يرد على هاتفه، ومنزله فارغ يا بوكسر. لقد اختفى!".

الفصل 98

في العاشرة من صباح اليوم التالي، توجهنا أنا وكونكلين إلى حي باركميرسيد وتبعنا في سيارة أخرى شرطيان في الزي الرسمي.

فتحت نانسي سوانسون الباب، وكانت ترتدي نفس القميص الأبيض وبنطال الجينز اللذين كانت ترتديهما بالأمس. ومن منظر عينيها، فإنها على الأغلب كانت تبكي منذ ذلك الحين أيضًا.

قدمت لها كونكلين، لكنها لم تنظر إليه. سلمتها مذكرة التفتيش فتنحت جانبًا وهي تصيح: "ماذا لديكِ ضد تيد؟ هل تعرفين كيف حاله حتى؟".

سألتها: "هل سمعت شيئًا عن فاسكيز؟".

"لو حدث، ستكونين آخر شخص أخبره".

بدأت أنا وكونكلين جولتنا في المنزل، الذي بدا مبهجًا في ضوء النهار القادم من خلال النوافذ العديدة التي تطل على الأشجار في فيلا ميرسيد بارك.

ارتدينا قفازينا، وراقبتنا نانسي بينما رحت أنا وكونكلين نفتش منزلها. وجدنا لوحًا متحركًا داخل خزانة الكتب يخفي بداخله عددًا لا يحصى من رزم المال فئة العشرين دولارًا.

كما وجد أحد الشرطيين اللذين صاحبانا المزيد من النقود تحت الطعام المجمد في المبرد بالطابق السفلي، بينما وجد كونكلين مخبأ للأسلحة في

خزانة غرفة النوم، وتحت السجادة، وتحت الباب السري. ووجدنا المزيد من المال في غسالة الصحون كذلك.

أغلب الظن أن نانسي خبأتها هناك في عجلة من أمرها.

أدرجت سيارة سوانسون في أمر التفتيش، ووجدنا بداخلها خمسة جوازات سفر وبعض النقود في مكان خفي داخل لوحة القيادة. وضعنا كل شيء في أكياس، وفي أثناء نقلها إلى سيارتينا، اتصلت بجاكوبي. تنهد بقوة وقال: "أحبكِ يا ليندسي".

ضحكت، وكذلك فعل هو.

عندما عدنا إلى مقر قيادة الشرطة، ذهبنا مباشرة إلى مكتب جاكوبي مع صناديق مليئة بما وجدناه في منزل سوانسون وسيارته. التقط جاكوبي الهاتف، واتصل بأحدهم ثم قال: "نحن مستعدون أيتها الرقيبة".

وبعد بضع دقائق، كنا جالسين على المقاعد الجلدية المريحة في مكتب جاكوبي، نخبر فيل بيكلني بما وجدناه بمنزل تيد سوانسون. كان بيكلني شرطيًا رشيقًا، في الخامسة والثلاثين على الأغلب، أتى من الساحل الشرقي من نيويورك أو بوسطن، ولم تكن لديه لكنة واضحة. كان مصفَّف الشعر، أنيق الملبس، ووسيمًا. كان سوانسون، وفاسكيز، وكالهون، وروبرتسون يعملون جميعًا تحت إشرافه.

قال: "هذا أمر لا يصدق. كم وجدتم من المال؟".

قلت له: "مليونًا أو نحو ذلك. بناء على كم الأسلحة وجوازات السفر، فإنني أعتقد أن سوانسون كان يخطط للمغادرة قريبًا".

قال فيل: "كنت أثق بتيد ثقة عمياء".

سأل جاكوبي فيل عما يعرفه عن فاسكيز فقال: "لقد أحببته كثيرًا رغم أن رأيي في فاسكيز لا يعني شيئًا الآن على الإطلاق. ليس لديَّ أي فكرة عن مكانه، وهو بالتأكيد لم يتصل بي".

علمنا أنا وكونكلين أن المبلغ كان يناهز المليوني دولار بالإضافة إلى ست بنادق متنوعة.

ثم أطلعنا برادي على ما حدث في منزل سوانسون.

كان برادي قد اتصل للتو بالمستشفى. قال: "ظني أن سوانسون لن ينجو".

ثــم أخبرنا أن براند وويتني مختفيان، ولا يجيبــان على الهاتف، ولم يذهب أيهما إلى منزله.

وأكمل برادي: "ولا يزال فاسكيز مفقودًا. تم العثور على السيارة التي هربت مــن حي ناجلي علــى الطريق السريع وقد أطلق علــى هيكلها ما يقترب من مائة رصاصة. كان هناك دم في المقعد الخلفي، والمعمل الجنائي يفحصها الآن".

هل قتل فاسكيز أم اختطف، أم أنه هرب من المدينة؟

قال برادي: "لماذا لا تأخذان بقية اليوم راحة؟".

لا أتذكر آخر مرة ذهبت فيها إلى المنزل في الخامسة، لكن هذا كان جيدًا. فقد كانت لديَّ خطط للمساء.

الفصل 99

كان لـديَّ ثـوب أحمر رائـع يقبع في خزانـة ملابسي، اشتريته قبـل أن أصبح حامـلًا في جولـي، دون مناسبة واضحة في ذهني، حتـى بطاقة السعر كانت لا تزال مثبتة عليه.

كان جو لا يزال بالخارج مع مارثا وجولي عندما وصلت إلى المنزل. تحممت ووضعت مساحيق التجميل، ولم أنس الكحل.

كـان الثوب الأحمر بقصة غير متماثلة عند فتحـة الرقبة والحاشية، ضيقًا عنـد الخصر. ارتديتـه، وانتقيت حذاء بكعب منخفض، ونظـرت إلى نفسي في المرآة.

لـم أكن المرأة نفسها التي كانـت ترتدي البنطال الرسمي والسترة الزرقاء كل صباح.

رائع. كانت هذه أنا أيضًا.

كـان هناك اجتماع خاص بنـادي السيدات لجرائم القتـل في مطعم لوكال إيديشن. كانـت مناسبة رسمية تحت عنوان "مرحبًـا بعودتكِ يا سيندي"، وكنا نحتفل أيضًا بكتاب *فتـاة فيش* الذي مدحته صحيفة *لوس أنجلوس تايمز*. كانت هذه أسباب جيدة لقضاء أربعتنا وقتًا ممتعًا معًا.

تركت لزوجي ورقة تخبره بمكاني، وتوجهت نحو المطعم. بعد قليل وفي أثناء الازدحام المروري، رن هاتفي. كان المتصل غير معروف. كنت عالقة بين سيارة بورش وشاحنة، فرأيت أنه لا مانع من أن أجيب على الهاتف.

كان الصوت مكتومًا، لكن الرسالة كانت واضحة: "لقد تخطيتِ الحدود، وستحصلين على ما تستحقينه. أنت وعائلتك في خطر، يا بوكسر. لن تعرفوا الأمان أبدًا".

تجمدت الدماء في عروقي، وسقط قلبي في قدميَّ.

قلت: "من يتحدث؟".

كان الخط مفتوحًا، وكنت أسمع صوتًا ثابتًا، لكن لم تكن هناك إجابة.

حدقت في مؤخرة سيارة البورش، لكنني لم أر أحدًا. كنت أتخيل وجه شرطي، شرطي بعينه، وقلت: "وأنت لست بمأمن مني يا فاسكيز".

سمعت نقرة وانقطع الاتصال. وفي اللحظة نفسها تقريبًا، أطلق سائق الشاحنة نفيرًا.

انطلقت بسيارتي متساءلة عما إذا كنت محقة في أنه فاسكيز فعلًا.

ولكن سواء كان المتصل فاسكيز أو أي شرطي آخر شرير، لم أكن لأدع هذا الاتصال يفسد أمسيتي. كان هذا ما قلته لنفسي، لكنني كنت أشعر برعشة أشبه بزلزال داخلي – إحساس بعدم الأمان داخل بيتي. كان شعورًا لا يطاق.

فما الذي سأفعله حيال ذلك؟

الفصل 100

انتقت يوكي المكان المثالي للاحتفاء بصديقتنا المراسلة الصحفية الجنائية بمناسبة عودتها من جولتها الناجحة لترويج كتابها.

أوقفت السيارة في مكان به عداد انتظار السيارات في شارع ماركت، وسرت قليلًا حتى وصلت إلى مبنى هيرست التاريخي.

اصطحبني الحارس إلى الدرج نحو غرفة تحت الأرض كانت تضم سابقًا مطابع جريدة *سان فرانسيسكو اكزامينر*، وصارت الآن ناديًا ساحرًا.

كانت الأسقف مرتفعة، والآلات الكاتبة مصفوفة على الجدران. كان المشرب عبارة عن شريط طويل من الخشب المصقول، مع صفوف وصفوف من كؤوس الشراب المتدلية من رفوف علوية. تفقدت الغرفة، وشاهدت مقصورات جلدية حمراء تواجه مقاعد دوارة من الجلد الأبيض عبر طاولات رخامية بيضاء، وكان لا يزال هناك عدد كبير من المطابع الضخمة مرصوصة على الأرض، ما يوحي للزائر بجو فترة الخمسينيات الساحر.

وصدرت عني تنهيدة طويلة.

كنت سأشرب وأضحك الليلة، كان هذا مؤكدًا.

أوصلني النادل إلى طاولتنا، وكنت على وشك الجلوس عندما ظهرت يوكي تكاد ترقص وهي تسير.

كدت أعانق يوكي عندما سمعت صوت كلير يقول: "أهلا يا عزيزتيَّ"، وانضمت إلينا في عناق ثلاثي.

عندما جلسنا، قلنا في صوت واحد: "فلنغلق الهواتف". وبعد أن فعلنا، قالت كلير ليوكي: "سمعت أنكِ لديك أخبار مهمة".

لقد اتصلت يوكي بي وأخبرتني بالفعل بشأن التسوية التي حصلت عليها لموكلها، ولكن كان من دواعي سروري أن أسمعها تخبر كلير بالقصة، مستخدمة يديها، مقلدة صوت باريزي.

"عندما وقَّع على الاتفاقية، قال: *أنتِ لعينة حقًا يا يوكي*، فكان ردي: لقد *تعلمت من الأكبر والأفضل*".

ثم ضحكت يوكي ضحكتها المبهجة، وضحكنا معها، ضحكة عالية طويلة. عندما تمكنت من الكلام مجددًا، أكملت: "ثم غمز لي بعينه".

سألت: "حقًّا؟".

"حقًّا. غمز لي، وابتسم، ومرر الأوراق عبر المائدة وقال: استمتعي بيومكِ. أعتقد أنكِ ستفعلين".

قالت كلير: "إنَه يحترمك كثيرًا".

شعرت بوجود سيندي قبل رؤيتها. ثم جاءت في ثوب أسود حريري، تفوح منها رائحة الليلك بينما انحنت لتعانق وتقبل ثلاثتنا.

ثم سألت يوكي: "من الذي يحترمك كثيرًا؟"، بينما جلست جوارها.

بدأت يوكي في رواية القصة مجددًا، وبما أن سيندي كانت بعيدة هذه الفترة فقد استمعت إلى النسخة الطويلة من القصة. ضحكت وطلبت توضيحات أكثر تفصيلاً، ما كان يعوق التدفق الدرامي أحيانًا، لكن سيندي مراسلة والحقائق هي محور اهتمامها.

ثم قالت سيندي: "لديَّ أخبار مهمة خاصة بي".

"نحن نعلم أن كتابكِ حصل على إشادات رائعة، فماذا لديك أيضًا؟".

قالت سيندي: "لقد وجدت هذه بجانب ساعتي هذا الصباح". ثم أخرجت علبة مخملية سوداء من حقيبة يدها ووضعتها على الطاولة. شهقنا جميعًا في صوت واحد. لقد رأينا هذا الفيلم من قبل. في النسخة الأولى، جثا ريتشي على ركبته في صحن دار العبادة، وطلب يد سيندي وقدم لها خاتم والدته. ولحظتها سمعت هديل الحمائم يتردد عبر دار العبادة وشعرت بأنها في النعيم.

لكـن بعد انتهاء فترة النشوة الأولى، عندما تحولـت المحادثات إلى إنجاب الأطفال، بدأ جدار سميك يفصل بينها وبين ريتشي.

فما الذي تغير الآن؟

فتحت سيندي العلبة وسحبت قلادة ذهبية رفيعة بدلاية كبيرة من الألماس.

قالت: "إنه الخاتم. لقد حوله ريتشي إلى شيء مختلف – لأجلي أنا".

وضعت سيندي القلادة حول عنقها، ثم حركت الدلاية الألماسية إلى الأمام والخلـف على طـول السلسلة. كان منظـر حجر الألماس مبهـرًا عندما كان في الخاتم، وحينما حوله ريتشي إلى دلاية كان مبهرًا أيضًا".

ثـم سألت يوكي سيندي، الفتـاة الوحيدة في مجموعتنـا التي كانت لا تزال عازبة: "إذن أنت *لست* مخطوبة؟".

قالـت سينـدي: "كانت هناك ورقة مـع القلادة. كتب ريتشـي يقول: *عندما نصبح مستعدين للزواج، سنختار خاتمًا معًا*"

قالت كلير: "جميل. القلادة والملحوظة كلاهما جميل".

قالت يوكي: "هذا يستدعي تناول مشروب".

ظهـر النادل وأوصـى بعدة كوكتيلات خاصة سميت باسـم الناس والأماكن والأحداث الرئيسية في مجال الصحافة.

شربنـا احتفالًا بكل شـيء: تجديد الالتـزام بين سيندي وريتشـي، وتسوية يوكـي لآل كورديل، ودخول طفلة كلير الصف الأول بالمدرسة، وحقيقة أنني بعد تسعة أشهر مـن ولادة جولي، تمكنت من ارتداء فستان أحمر مناسب، وأنه كان "مذهلا".

كان من المعتاد أن يناقش أربعتنا قضايانا، لكنني لم أرغب في التحدث عن "رقم واحد" وعصابة سترات الشرطة – ليس الليلة على الأقل.

أمسكت بهاتفي، وقلت: "سأتصل بزوجي لأخبره أنني في طريقي".

اتصلـت بجـو، وعندما أجاب، قلـت: "مرحبًـا. سأكون في المنـزل بحلول التاسعة".

الفصل 101

كان ريتش كونكلين ينتظر في سيارة دورية، متوقفة أمام صف من المباني الخشبية المكونة من ثلاثة طوابق في شارع ستوكتون في الحي الصيني. كانت جميع المباني يشغل طابقها الأرضي شركات البيع بالتجزئة، في حين كانت الطوابق العليا سكنية في معظمها. ومن حيث كان كونكلين يقف، كان بإمكانه رؤية متجر بيع الفاكهة والخضراوات بالطابق السفلي والباب المجاور له، والذي كان يقود لمدخل فندق سيلفستري، وهو عبارة عن فندق رخيص لاستئجار الغرف بالساعة.

كان كونكلين يعرف هذا المكان جيدًا، حيث إنه شن هجومًا على تجار المخدرات وبائعات الهوى هناك، قبل أن ينقل إلى قسم مكافحة جرائم القتل بتوصية من ليندسي.

أكثر ما تذكره عن سيلفستري هو أن الغرف كانت سيئة التأثيث، تغطي نوافذها ملاءات قذرة بدلًا من الستائر، وأن المكان كان دائم الاهتزاز بسبب تكييف الهواء الخاص بالسوق في الطابق السفلي.

في هذا المساء، كان كونكلين في طريقه إلى منزله عندما أتته معلومات من كيه. جيه. هيركوس، وهو مرشد سري وتاجر مخدرات صغير. عاش هيركوس وعمل في شوارع الحي الصيني طوال حياته، ما جعله يتعرَّف بسهولة على

الشرطـي ذي اللحيــة القصيرة والنظـارة المستديرة الـذي استأجر غرفة في فندق سيلفستري.

أمل هيركوس في أن تنشأ صلة بينه وبين الشرطي ذي النظارات عن طريق كونكلين، حيث ربما كان بإمكانه تقديم معلومات مفيدة له من حين لآخر.

قــال كونكلين: "لا تقترب منه إلا إذا أخبرتك. اتفقنا يا هيرك؟ إنه متخفٍّ. سأبحث عن عمل لأجلك".

ظـل كونكليـن يراقب الفنــدق لمــدة ساعتين قبـل أن يرى المحقــق ستان ويتنــي يخرج منه. ذهــب ويتني إلى المتجر، وخرج بعد عشر دقائق ومعه حقيبة بلاستيكية بداخلها شــيء ما، ثم دخل الفندق مجددًا. اعتقد كونكلين أن ويتني ربمــا خرج لشراء عشائه كيلا يخرج مرة أخــرى. فكر في الذهاب إلى الفندق، والحصول على رقم غرفة ويتني، والطرق على بابه.

لكنه سرعان ما نبذ الفكرة.

كــان ويتنــي علــى الأرجــح يائسًــا بما يكفــي لإقحــام سلاحــه المحشو في المحادثــة. وكان كونكلين يعــرف أن أفضل شيء يمكنه فعله هــو الاستمرار في المراقبة والاستعداد لتعقب الشرطي الهارب.

اتصــل كونكلين ببــرادي، ووصف قميص ويتني، وسروالــه الجينز، والقبعة الزرقاء التي تخفي وجهه جزئيًا، وطلب قوة داعمة في سيارة لا تحمل أرقامًا.

دوَّن برادي ما أخبره كونكلين إياه، ثم قال له: "لا تفقد أثره".

استأنف كونكلين مراقبة الباب، وكانت المفاجأة أنه رأى ويتني يخرج ويسير يمينًا، ثم يسارًا نحو حي فاليجو.

تــرك كونكلين إحدى السيارات تسبقه، ثــم تحرك في الوقت المناسب عند تحــول الضوء إلى اللــون الأحمر. عندما تغير إلى الأخضــر، أمكنه رؤية ويتني، كــان لا يــزال يتجه جنوبيًــا نحو ستوكتون عبــر الحي الصينــي، ويمر بالمحلات والمخابز، ويداه في جيبه، كما لو كان خارجًا للنزهة.

تعقب كونكلين ويتنــي دون مشكلات، ووجده ينعطف يسارًا نحو شارع كلاي ثــم انعطف يسارًا مرة أخرى نحــو شارع كيرني. تبعه كونكلين لمربعين سكنيين آخريــن، وكــان خلفه عندمــا اختفى فــي مــرآب بورتسموث سكوير فــي الجهة المقابلة لفندق هيلتون.

أوقف كونكلين سيارته في منطقة غير مخصصة لوقوف السيارات. مرت سيارة شيفروليه فضية بكونكلين، كان السائق هو الضابط ألين بنجامين، وهو شرطي يعرفه كونكلين جيدًا. اتصل كونكلين ببرادي باستخدام اللاسلكي، والذي أخبره أنه أبقى قناة مفتوحة لثلاثتهم: بنجامين، وبرادي، وكونكلين.

قاد بنجامين للأمام، وأوقف سيارته التي لا تحمل أرقامًا أمام صنبور إطفاء، وانتظر هناك. في الساعة ٨:١٥ مساء، بعد عشر دقائق من دخول المرآب، خرجت شاحنة خفيفة زرقاء من المرآب وانعطفت يمينًا.

كان سائقها ويتني.

قاد كونكلين سيارته متجاوزًا بنجامين، وتناوبا على تعقب الشاحنة الخفيفة. انعطف ويتني يسارًا نحو شارع واشنطن، ثم يسارًا آخر نحو شارع ستوكتون عبر الحي الصيني الذي كان لا يزال مزدحمًا بالشاحنات التي تسلم البضائع، فضلاً عن المشاة والسائحين في سيارات الأجرة التي تتلألأ على زجاج نوافذها أضواء المساء.

ودون سابق إنذار، توقفت شاحنة ويتني عند تقاطع شارعي ستوكتون وبوش لمدة طويلة بما يكفي ليتمكن رجل منتفخ العضلات من مغادرة الرصيف وركوب الشاحنة.

تعرف كونكلين على الرجل، كان ويل براند، شريك ويتني.

لم يكن ويتني وبراند ينتهكان القانون، ولذلك لم يكن يستطيع توقيفهما. مع وجود سيارتي شرطة في أعقابها، تحركت الشاحنة الزرقاء يمينًا مباشرة نحو حي سوتر، وسارت نصف ميل وصولاً إلى بولك، ثم توقفت في مكان فارغ أمام صالون تجميل للأظافر.

عندما خرجا من الشاحنة، كان ويتني وبراند يرتديان سترتي شرطة سان فرانسيسكو زرقاوين. عبرا الشارع إلى مبنى رمادي من الجص كانت لافتته تقول: "باي داي لونز، مكتب صرف الشيكات، ويسترن يونيون".

كان مكتب صرف الشيكات مضاء ومفتوحًا. عندما وصل ويتني وبراند إلى الباب، أخرجا قناعين من جيبيهما وارتدياهما. فتح رجلا الشرطة الباب ودلفا إلى الداخل.

الفصل 102

دخلت شقتنا وسمعت صوت موسيقى يتردد من غرفة النوم. كان جو جالسًا في السرير يرتدي قميصًا وسروالًا قصيرًا، بينما يعمل على حاسبه المحمول ويستمع إلى موسيقى البلوز.

نظر جو لأعلى ورآني في ثوبي الأحمر الأنيق، فأطلق صفيرًا. ابتسمت ابتسامة صغيرة ودرتُ بثوبي قليلًا، قبل أن أقول: "بعد كل هذه السنوات في السترة والبنطال ما زلت ساحرة، أليس كذلك؟".

قال: "نعم، بالتأكيد يا شقرائي".

قلت: "سأعود على الفور"، وتحركت نحو الغرفة الأخرى لرؤية جولي.

لكن جو أوقفني وقال: "إنها عند السيدة روز. ومارثا هناك أيضًا".

"حقًا؟ لماذا؟".

قال جو: "أخبرت السيدة روز أنني في حاجة إلى بضع ساعات لإنجاز بعض الأعمال، فقالت: سيكون من الجميل أن أحظى ببعض الصحبة"، مقلدًا لهجة السيدة روز البريطانية.

ضحكت. لقد قلد السيدة روز بمهارة حقًا.

جلست بجواره فسأل: "كيف كان عشاؤك؟".

قلت له: "صدقًا، كان أفضل وقت حظينا به منذ شهور. كنا جميعًا هناك، وكنا في حالة مزاجية رائعة. كما منح ريتشي سيندي ماسة والدته ولكن في شكل جديد"، ثم رحت أصف له القلادة.

أخبرته كم أحبه، وقال إنه يحبني أكثر. كنت مرهقة تمامًا فغفوت وأنا أقول لنفسي إن الأمر كان على ما يرام. فقد كان جو يتولى المسئولية، ولم يكن عليَّ أن أقلق بشأن أي شيء. كان سيحضر الطفلة ومارثا في الوقت المناسب.

كنت نائمة وربما أحلم بحلم جميل عندما قال جو: "ليندسي، كان هاتفك يرن كل دقيقة أو دقيقتين".

ثم أعطاني إياه.

أخذته على مضض، وقلت: "كنت أتلقى اتصالات مقطوعة"، ولكن عندما نظرت لأعرف من المتصل، وجدت أنه كونكلين.

قال كونكلين: "يا إلهي! أين كنتِ؟ حسنًا. لا يهم. حاول كل من براند وويتني سرقة مكتب صرافة شيكات. لدينا قتلى، ورهائن أيضًا. إنهم داخل المكتب الآن".

سمعت صوتًا يتردد من مكبر صوت يقول: "ارفعا أيديكما واخرجا. أنتما لا تريدان أن يقتل أحد آخر، أليس كذلك؟".

أعطاني كونكلين عنوانًا في شارع بولك، وكان على بعد ثلاثة أميال، أي خمس دقائق، أو أربع إذا ذهبت مسرعة. فنهضت متعثرة أحاول ارتداء شيء ما، وشغل جو الأنوار.

قال: "اعتني بنفسكِ يا ليندسي. نحن نريدكِ هنا. عائلتك تحبكِ".

ذهبت إليه وعانقنا بعضنا بقوة. كنت بحاجة للذهاب، لكنني كنت أعرف أن جو وأنا نفكر في الشيء نفسه: كان لدينا الكثير لنعيش لأجله.

الفصل 103

سمح لي أحد رجال الدوريات بدخول المنطقة المطوقة بسيارتي الإكسبلورر، وواصلت القيادة إلى أن رأيت كونكلين وبرادي واقفين أمام صالون لتجميل الأظافر يقع إلى جنوب الطريق. كانت عيون الجميع مثبتة على الجانب الشمالي، على مكتب صرافة الشيكات الواقع أمامهم مباشرة.

أوقفت سيارتي في منطقة غير مسموح فيها بإيقاف السيارات على بعد بضع ياردات من الشارع الذي يقف فيه برادي وكونكلين، تمامًا خلف شاحنة خفيفة زرقاء طراز فورد تحمل لوحة ولاية تكساس. خرجت من سيارتي وسمعت صافرات سيارات الشرطة القادمة من جميع الجهات.

توجهت إلى شريكي وسألته: "ماذا حدث؟".

رفع شعره من فوق عينيه، وتنحنح وقال: "جاءتني معلومة بأن ويتني نزيل في فندق سيلفستري، لذلك ذهبت إلى هناك، وراقبته إلى أن وجدته يغادر الفندق حوالي الساعة الثامنة مساء، فتعقبته. قاد إلى أن وصل إلى مرآب لتصليح السيارات في كيرني، وركب تلك الشاحنة"، وأشار إليها بذقنه.

ثم أكمل قائلًا: "ثم أقل براند عند تقاطع شارعي ستوكتون وبوش، كلاهما في ملابس غير رسمية. عندما خرجا من الشاحنة، هنا، كانا يرتديان سترات الشرطة".

كـان صـوت أبـواب السيارات وهـي تنفتح وتغلق بقـوة ينتشر فـي الأرجاء، وكـان رجال الشرطة يخرجون ويقفون علـى الرصيف وينظرون من فوق سقوف سياراتهم، بينما خرج مـن أجهزة اللاسلكي لحن نشاز على طول الشارع. كنت أرتدي سترتـي الواقية، وأحمل مسدسي، لكنني شعـرت رغم ذلك بأنني عارية وضعيفة.

نظرت عن كثب إلى مكتب صرافة الشيكات. كانت اللافتات لا تزال مضاءة فوق واجهة المكتب، ولكن المكتب كان مظلمًا من الداخل.

قال كونكلين: "وضع أحدهم لافتة مغلق على الباب. كانت الأضواء مشتعلة، ورأيتهمـا يدفعان عميلتين إلى الجانب الأيسـر من المتجر. جعلاهما تستلقيان وبدأ براند يقيدهما".

ثـم أضاف: "وبينما كان براند يفعل ذلك، صوب ويتني بندقيته على حارس الأمن وقاده نحو الخزانة. أظن أن ويتني قال شيئًا مثل: افتحها وإلا سأقتله".

قلتُ: "اللعنة. وهكذا سمحوا له بالدخول".

قال كونكلين: "بالضبط. وفي أثناء ذلك، ضغط أحدهم على زر الإنذار".

ثـم رفع بـرادي مكبر الصوت وصـاح: "ويتني. براند. أنـا أتصل بالمكتب. أجيبا". كـان برادي يتعرق بغزارة، وكان العرق متقصدًا على جبهته، وشفته العليـا، لكنك لا تستطيـع أن تستشف أنه كان متوترًا من صوتـه أو أفعاله. كنت سعيدة لأن برادي كان المسئول.

قلت لشريكي: "استمر".

أكمل كونكلين: "رأيت الصراف يفتح باب الأمن، وفجأة وجدت ويتني يطلق النـار على الحارسـ وينفـذ تهديده، ثم ركضـ الصرافون نحو البـاب الخلفي وبـدأ ويتنـي يطلق الرصاص فـي كل مكان. أعتقد أنه أصيـب بالذعر أو لم يعد يهتم، وغالبًا قتل صرافيْن أو أكثر. فأنا لم أرهم جيدًا".

كانت الأسلحة موجودة في كل مكان في هذا المكان الصغير، وقريبا ستطلق القوات الخاصة قنابل دخان وتقتحم مكتب صرافة الشيكات.

تحـدث برادي في مكبر الصوت قائلًا: "اسمعاني. سينتهي هذا بشكل سيئ إذا لـم تفعلا ما أقولـه بالضبط. المكتب محاصر، لدينـا قناصة على السطح، ضما الأسلحة واخرجا وأيديكما في الهواء".

بعد لحظات، فتح الباب الأمامي بضعة سنتيمترات وصاح ويتني: "*لا تطلقوا النار*. سنخرج مع الرهائن".

نادى برادي من مكبر الصوت: "لا تطلقوا النار!".

فتح البـاب وخرجت منه امرأتـان مرتعبتان وأيديهمـا وراء ظهريهما. كان ويتني وراء إحداهما، وبراند وراء الأخرى.

رأيت سلاحيهمـا في ظهر المرأتين وكان كلاهما يحمل حقيبة من القماش الخشن، وغالبًا تحتوي على أحدث غنائمهما وآخرها.

كنت واقفة بجوار كونكلين عندما كان ويتني وبراند، وهما لا يزالان يرتديان الأقنعة القذرة، يحركان رهينتيهما بين السيارات المتوقفة ونحو الشاحنة. كانا على بعد خمسين قدمًا فقط وعلى أقدامهما، لكنهما كانا مرهقين وكان عليهما أن يمـرا عبر صفوف من الأسلحة المصوبة نحوهمـا، بما في ذلك أسلحتنا أنا وبرادي وكونكلين.

لا أعـرف ما الذي حدث لريتشي. ربما لم يستطع أن يتحمل ما كان يحدث. وجدته يصيح في ويتني وبراند: "أنتما *حثالة!* حثالة قذرة!".

رفـع ويتني مسدسه ووجهه نحو كونكليـن. فرأيت شريكي يرفع ذراعه، وفي الوقت نفسه الذي سمعت فيه صوت سلاح ويتني، سحبتُ مسدسي. كنت أعرف أن كونكلين أصيب، لكني لم أستطع التوقف عما كنت أفعله.

لم أكن أقف بزاوية تسمح لي بتسديد طلقة صائبة للرأس أو الصدر، لذلك جثـوت على ركبتي وأطلقت النار علـى ساق ويتني. قبل أن تترنح ساقه، انطلقت بضع مئات من الرصاصات من الأعلى.

سقـط ويتني، وركضـت الرهينتـان صارختيـن. ثم سقطـت إحداهن على الأسفلت وهي تنزف.

وصـل برادي إلى براند في حركـة بطيئة مرعبة، ووضع مسدسه في مؤخرة عنقه. فألقى براند سلاحه ورفع يديه.

قال براند: "أستسلم، لا تطلقوا النار".

سمعـت طلقتين، لكننـي لم أرَ أيـن وجهتا. كان عقلي مركـزًا بالكامل على كونكلين. كان على الأرض بلا حراك. انحنيت على شريكي وهززت كتفه قائلة: "*ريتشي. تحدث إليّ*".

الفصل 104

كانت غرفة الانتظار الصغيرة خارج قسم الطوارئ بلون البيج الباهت، بينما لاح الضوء العلوي أبيض ساطعًا.

كان ريتشي في غرفة الجراحة. جلست أنا وسيندي معًا، وكانت مذعورة خوفًا عليه. ظلت تحاول استجماع شتات نفسها، لكن الدموع كانت تتدفق على وجهها بلا انقطاع. كنت أمسك بيدها وأقول الأشياء التي تقال في المواقف التي لا نعرف فيها ماذا سيحدث: "سيكون على ما يرام. سوف ترين".

كانت يوكي تذرع المكان جيئة وذهابًا، بينما وقفت كلير في المدخل تنتظر خروج الطبيب. كانت كلير قد فحصت جرحه وأكدت لنا أن الطبيب ستار كان الأفضل.

كان جو بالخارج يجلب القهوة، وبعد أن انتظر برادي معنا لساعات، عاد إلى مقر قيادة الشرطة ليدلي بأقواله، هذه المرة لقسم الشئون الداخلية.

كانت أحداث الساعات الأخيرة تدور في ذهني بلا توقف.

ظللت أسمع أصوات الطلقات النارية السريعة وصراخ الرهائن. رأيت بعين خيالي جثتي براند وويتني، وتأكدت أنهما لم تكن لديهما خطة حقيقية، وغالبًا لم يتوقعا البقاء على قيد الحياة من الأساس.

وتذكرت تسليم مسدسي إلى برادي، ثم الصعود إلى سيارة الإسعاف التي أقلت ريتشي إلى المستشفى. كان من المفترض أن أبقى في موقع الجريمة،

لكن كان هذا مستحيلًا بأية حال. كان ريتشي مصابًا في الرقبة إصابة خطيرة، قاتلة بالأحرى. إنه صديقي العزيز وشريكي وأخي، ويمكن أن يموت.

تذكرت الاتصال بسيندي من سيارة الإسعاف وسماع صرختها المذعورة، وتذكرت الاتصال بجو قائلة: "أنا بخير". أما الآن، في غرفة الانتظار بالمستشفى، وجدته يضع صينية من أكواب القهوة على الطاولة. ثم يجلس بجواري، ويمسك بيدي.

بعد ذلك بلحظة، نهضنا جميعًا لحظة أن دخل الطبيب الغرفة. كان رجلًا ضئيل الحجم ذا لحية صغيرة وأصابع طويلة.

قال الطبيب: "المحقق كونكلين خرج من الجراحة. ولديَّ أخبار جيدة. أصابت الرصاصة ساعده الأيسر، وكسرته، ثم انحرفت، مما أبطأ مسارها. لقد كان هذا من حسن حظ المحقق كونكلين".

ثم أضاف: "ولأن الرصاصة انحرفت، فبدلًا من قطع شرايينه أو عموده الفقري، خدشت عنقه. لقد سبب جرحه تمزقًا ما أدى إلى انهياره ونزفه الشديد، لكن التمزق خُيط بالكامل، وأصلحنا وضعية ذراعه. سيكون على ما يرام".

ثم سأل: "من منكن سيندي؟".

وقفت سيندي، ووجهها أحمر وعيناها مغرورقتان بالدموع، وقالت: "أنا".

قال الدكتور ستار: "سيكون بخير يا عزيزتي. طلب مني أن أخبركِ أنه يحبكِ".

قالت سيندي: "حمدًا لله"، وجلست منهارة من وطأة انفعالها وجزعها. كنا جميعًا مشحونين بالعواطف، وظللنا نحمد الله ونشكر الطبيب، بينما انحدرت الدموع من مآقينا جميعًا.

عندما رن جرس هاتفي، قلت لجو: "ربما كان برادي".

ولكن عندما أمسكت بالجهاز ونظرت إلى اسم المتصل، صدمت لمعرفة من كان يتصل بي.

كان *فاسكيز*.

أين هو؟

أكان يعلم أن شريكه تيد سوانسون في العناية المركزة؟ وأن كايل روبرتسون توفي؟ وأن جنتي براند ويتني في المشرحة؟ أجبت الاتصال قائلة: "بوكسر تتحدث".

لم يكن الصوت الذي جاء عبر هاتف فاسكيز هو صوت فاسكيز. كان صوت رجل غير مألوف لي، ولا يتحدث بلكنة مميزة.

"وقع حادث أليم أيتها الرقيبة بوكسر، وفاسكيز لا يمكنه إجراء المكالمة".

"من معي؟".

"استمعي فقط. فاسكيز لا يمكنه الاتصال بأي شخص، أفهمت ما أقوله؟ إنه راقد بلا حراك في موقف سيارات ويكر هاوس. لكن فاسكيز ليس مهمًا. إليكِ المهم. أريد ما أخذ مني. أريد ثلاثة ملايين من الدولارات، ومائتي رطل من الماريجوانا الاصطناعية، ومائة كيلوجرام من الهيروين عالي الجودة".

قلت: "لا أعرف عن ماذا تتحدث".

"بل تعرفين. إنها قضيتك. أنتِ المسئولة. أتمنى أن تعرفي مع أي شخص تتعاملين".

سألت مجددًا: "من يتحدث؟".

"اسمي كينج فيشر. اسألي عني. ستسمعين مني مجددًا، في القريب العاجل يا ليندسي بوكسر. تأكدي من ذلك".

وانقطع الاتصال.

قال جو: "ليندسي؟ من كان هذا؟".

أجبت متلعثمة: "وو .. وغد كان يضايقني".

ليت كينج فيشر كان وغدًا عاديًا، لكنه لم يكن كذلك مطلقًا. لقد كان يتصدر قائمة أباطرة المخدرات في البلاد، ومطلوبًا القبض عليه لجرائم تهريب المخدرات والتعذيب والقتل والجريمة المنظمة على طول كاليفورنيا والعديد من الولايات بالشرق.

والآن هو الملك هنا.

هنا لأن بضاعته في ويكر هاوس سرقها بعض رجال الشرطة، ولم يكن سيعتبرها خسائر وينساها. لم يكن قادرًا على استرداد ممتلكاته من كالهون أو فاسكيز، وكان روبرتسون وبراند وويتني موتى أيضًا.

الشخص الحي الوحيد الذي يعرف مكان بضاعة ويكر هاوس هو شرطي فاسد يعرف باسم "واحد"، واسمه الحقيقي إدوارد سوانسون، لكنه أدخل المستشفى مصابًا بعدة أعيرة نارية ولم يكن متوقعًا أن يعيش.

وهكذا صار كينج فيشر يستهدفني.

شكر وتقدير

نتوجه بخالص شكرنا إلى جميع الخبراء البارزين على توجيهاتهم ومشوراتهم الحكيمة التي ساعدتنا على تأليف هذا الكتاب: المحامي فيليب آر. هوفمان من نيويورك، والنقيب ريتشارد كونكلين من قسم شرطة ستامفورد بولاية كونيكتيكت، وهامفري جيرمانوك، الطبيب الشرعي ومحقق الوفيات في مقاطعة ترمبول بولاية أوهايو.

كما نود أيضًا أن نشكر باحثينا الرائعين إنجريد تايلار ولين كولوميلو. وأخيرًا، جزيل الشكر لماري جوردان، التي أبقت كل ذلك متماسكًا في وحدة واحدة.

نبذة عن المؤلفين

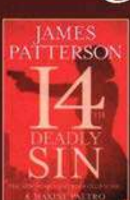
ابتكر جيمس باترسون شخصيات خيالية مؤثرة أكثر من أي مؤلف آخر على مستوى العالم. وهو مؤلف سلسلة روايات أليكس كروس، أكثر السلاسل البوليسية رواجًا في الخمسة والعشرين عامًا الأخيرة. كما أنه مؤلف للعديد من الروايات التي حققت أعلى المبيعات ومن ضمنها سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل، وسلسلة مايكل بينيت، وسلسلة برايفت وNYPD Red. ومنذ أن فازت روايته الأولى بجائزة إدجار في عام ١٩٧٧، باعت روايات جيمس باترسون أكثر من ٣٠٠ مليون نسخة.

كما كتب جيمس باترسون العديد من أفضل الكتب مبيعًا للقراء الصغار، بما في ذلك: Maximum Ride و Witch & Wizard و Middle School وسلسلة Treasure Hunters. وفي عام ٢٠١٠، حصل جيمس باترسون على لقب كاتب العام في حفل جوائز الكتاب المفضل للأطفال.

كان شغف جيمس باترسون الدائم بالكتب والقراءة هو دافعه لإنشاء موقعه الإلكتروني ReadKiddoRead.com، والذي يمنح البالغين أداة قيمة للعثور على الكتب التي تشجع الأطفال على القراءة مدى الحياة. ويمارس جيمس التأليف بدوام كامل، ويعيش في فلوريدا مع عائلته.

ألفت ماكسين باتيرو ثلاث روايات وكتابين، وشاركت في تأليف ما يزيد على عشرة كتب مع جيمس باترسون. وهي تعيش في نيويورك مع زوجها.

رواية



حينما تتعرض مدينة سان فرانسيسكو لحصار ويصبح كل شرطي مشتبهًا به، تخاطر عضوات نادي السيدات لجرائم القتل بحياتهن لكشف غموض جرائم القتل لإنقاذ المدينة وإنقاذ أنفسهن.

في وجود طفلة صغيرة جميلة وزوج محب مخلص، يمكن للمحققة ليندسي بوكسر أن تقول بصدق إن حياتها في أفضل حال. في الواقع، تبدو الأمور على ما يرام لكل عضوات النادي النسائي (على غير العادة). ولكن حفل ميلاد الطبيبة الشرعية كلير واشبورن يُقطع بعد قليلٍ من بدايته حينما تُستدعى ليندسي للذهاب إلى مسرح جريمة مروعة، حيث قُتلت امرأة في وضح النهار.

وبعد أن شرعت ليندسي في تحري الأمر، ظهر تسجيل فيديو لجريمة أخرى، كان التسجيل مخيفًا أفزع المدينة بأكملها. كان من الممكن للقتلة المتمرسين في شريط الفيديو والذين يرتدون سترات أفراد شرطة سان فرانسيسكو، ويغطون وجوههم بالأقنعة، أن يكونوا أيًا من الأفراد المحيطين بها - وأصبح كل زملاء ليندسي مشتبهًا بهم. وبينما يتعاظم الخوف والغضب في أنحاء المدينة، كان على ليندسي وصديقاتها أن يخاطرن بأرواحهن باسم العدالة، قبل أن يفوت الأوان.

"يصف باترسون المشهد بإيجاز رائع يبرز طبيعة الشخصية، أو يدفع بالحبكة للأمام. إنه الأمر الذي يدير آلة عرض الأفلام في عقل القارئ".

— مايكل كونلي

"يوجد بهذه الرواية من الأحداث، والتقلبات، والمفاجآت، وخطوط الحبكة ما يكفي 14 كتابًا، وأنا لا أبالغ مطلقًا بهذا الشأن".

— BookReporter.com

لقراءة النبذات المختصرة والمعلومات عن المؤلف، زر الموقع الإلكتروني
JamesPatterson.com

لمزيد من المعلومات عن
إصدارات السلسلة بالكامل
زوروا موقعنا على شبكة الإنترنت
www.languageshome-eg.com
بيت اللغات الدولية languages home




ISBN 978-977-827-024-2